وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة المستنصرية
كلية العلوم السياسية



المجلة السياسية والدولية

مجلة علمية فصلية محكمة تصدرها كلية العلوم السياسية-الجامعة المستنصرية

في هذا العدد

عرض الكتب

السنة الثانية العدد السادس ٢٠٠٦-٢٠٠٧

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة المستنصرية
كلية العلوم السياسية



المجلة السياسية والدولية

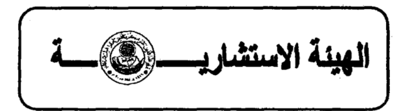
مجلة علمية فصلية محكمة تصدرها كلية العلوم السياسة –الجامعة المستنصرية

السنة الثانية العدد السادس ٢٠٠٦– ٢٠٠٧

ISSN = 1991-8984

المجلة السياسية والدولية

مجلة علمية فصلية محكمة تصدرها كلية العلوم السياسية-الجامعة المستنصرية



قواعد النشر

ترحب المجلة السياسية والدولية والتي تصدرها كلية العلوم السياسية في الجامعة المستنصرية بإسهامات الكتاب والمفكرين من الكليات في الجامعات العراقية والعربية والمتخصصة بالقضايا السياسية والعلاقات العربية-العربية والعربية-الدولية، مع الاهتمام بشكل خاص بما يتعلق بالمشروع السياسي والحضاري والنهضوي العربي وتحيطكم علماً بشروط النشر فيها:

١. ان تعالج القضايا باسلوب علمي موثق.
٢. ان يكون التوثيق بذكر المصادر والمراجع باسلوب اكاديمي، يتضمن الكتب والمجلات.
٣. معيار النشر هو الموضوعية والدقة ودرجة التوثيق.
٤. ترسل البحوث بنسختين مع قرص مرن.
٥. ان لا يزيد حجم الدراسة او البحث عن اربع عشر صفحة A4.
٦. يشترط ان لا تكون البحوث او الدراسات قد نشرت في مجلات اخرى.
٧. تخضع البحوث او الدراسات المرسلة الى التحكيم العلمي من جانب الهيئة الاستشارية في المجلة.
٨. تحتفظ المجلة بحقها في نشر المادة المجازة وفق خطة التحرير.
٩. لا تدفع المجلة او الكلية أي مكافات مالية عما تقبله من النشر فيها ويعد النشر اسهاماً معنوياً من الكاتب.

أن الآراء الواردة في البحوث والدراسات المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة او الكلية

الاشتراك في المجلة تراجع كلية العلوم السياسية – الجامعة المستنصرية

بغداد– باب المعظم – صندوق بريد ٤٦١٥٩

هاتف ٤١٤٠٨٥١ ، ٤١٤٠٨٥٢ ، ٠٧٩٠١٩٢٣١٥٢

البريد الالكتروني : E-mail : Psc_Mustainsiriyah@yahoo.com

E-mail: politicalcollege@yahoo.com

المحتويات

كلية العلوم السياسية
الجامعة المستنصرية



المجلة السياسية والدولية

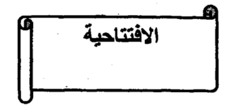
2007-2006

ISSN
1991-8984



المحتويات

اسم المادة — رقم الصفحة



على الرغم من تأخر صدور هذا العدد، الا ان التزامنا، ومن خلال الاصرار، في هذه الظروف الصعبة، على بذل المزيد من العطاء العلمي والاكاديمي، باصدار هذا العدد الذي يحمل في طياته العديد من البحوث والدراسات في مواضيع شتى تهم القارئ والمختص، نؤكد تعهدنا الذي قطعناه في اول خطوة بدأناها في ارساء هذا التقليد العلمي، باصدار المجلة السياسية والدولية، لتشكل لبنة واساس متين لكيان متكامل علمي رصين لكلية العلوم السياسية-الجامعة المستنصرية، التي دأبت باصدار دوريتها ونشرتها الشهرية، ومن خلال تحليل موضوعي والتزام اخلاقي ومبدئي بقضايا الشعب والامة، مستمدة من غناءهما الحضاري والانساني طريقاً لبناء المستقبل، لعراق يحفل بالامن والاستقرار.

والله الموفق........

المشرف العام
الأستاذ الدكتور
ناظم عبد الواحد الجاسور
عميد كلية العلوم السياسية – الجامعة المستنصرية

اثر المتغيرات الدولية في القيم الاخلاقية والاجتماعية العربية "مكافحة الإرهاب أنموذجا"

الاستاذ الدكتور

ابراهيم سعيد البيضاني[*]

تتأثر القيم الأخلاقية لأي مجتمع بالأوضاع السياسية وبالتطورات الاقتصادية والظروف التي يعيشها ذلك البلد، فضلا على تأثرها بالظروف والتطورات الدولية ، وهذا الوصف ينطبق على المجتمع العربي بشكل كبير، فالوطن العربي يتمتع بخصائص جغرافية واقتصادية واستراتيجية جعلت منه يحتل أهمية في قلب الصراعات والتنافسات الدولية، وشهدت ساحته صراعات وتحركات وتنافسات دولية، واحتلت أرضه وأصبحت مسرحا رئيسيا ومهما للإحداث.

لذلك فان ما يجري في العالم من تطورات ومتغيرات ومن غياب لقوى سياسية وعسكرية كبرى وظهور لقوى جديدة يؤثر بشكل مباشر في أوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية ،وان الحرب العالمية الأولى كمتغير دولي مهم في العلاقات الدولية انهت سيطرة الدولة العثمانية من جهة ولكنها أدخلت الوطن العربي في دوامة جديدة من الاحتلال والانتداب والنفوذ الأوربي، واستغلت موارده وعاش أوضاع اجتماعية واقتصادية متردية ومتدهورة نتيجة لذلك .

اضف الى ذلك ان الحرب العالمية الثانية أفرزت ظواهر ونتائج اجتماعية ألقت بضلالها على المجتمع من خلال تردي الأحوال الصحية وانتشار الإمراض ، فضلا على ان التضخم النقدي وارتفاع مستوى المعيشة أدى الى ضعف وتدهور في مستوى التعليم ، وتدهور في الأوضاع الاجتماعية بين العمال والفلاحين، وخلق أزمات وظواهر سلبية سلوكية[1]، بالإضافة إلى ذلك فان نتائج الحرب العالمية الثانية أفرزت معطيات جديدة في إطار العلاقات الدولية وظهور قطبين رئيسين في السياسة الدولية.

وبالنظر لما يحتله الوطن العربي من أهمية في الموقع وفي الأهمية الاقتصادية فقد احتفظ بأهميته في إطار الصراع الدائر خلال الحرب الباردة ، و ألقت الحرب الباردة بظلالها وتأثيرها الواضحين على المجتمع العربي ، فانقسم الوطن العربي بين مؤيد لهذا الطرف او

---

[*] كلية العلوم السياسية-الجامعة المستنصرية

[1] جعفر عباس حميدي ، الاثار الاجتماعية للحرب العالمية الثانية على العراق ، مجلة الحكمة العدد٢ لسنة ١٩٩٨ ، ص ص ٦٦-٨٣.

ذلك من طرفي الصراع والتنافس ،اذ كانت المصالح الاستراتيجية لكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي مؤثرة وفاعلة في الإحداث التي تجري في الوطن العربي[٢].

رافق قيام النظام الدولي الجديد محاولة فرض منطلقات وقيم غريبة هدفها الهيمنة على العالم ووظفت الأمم المتحدة لتحقيق هذا الهدف، مستغلة الأوضاع في الوطن العربي التي تعاني من هشاشة في مجال حقوق الإنسان والتي تعاني من انتهاكات كبيرة في هذا المجال ، وأيضا لان في مجتمعنا العربي أقليات دينية وقومية متعددة مما جعلها مهيأة للتوتر، وفسح فرصة اكبر للتدخل من قبل القوى والدول الكبرى، لذلك مارس النظام الدولي الجديد تدخلا وبمعايير مزدوجة انتقائية في شوؤن الدول بهدف تحقيق مصالح سياسية واقتصادية[٣]. ومنذ إحداث الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١ أصبح العالم يعيش وضعا دوليا رسم أفاق مرحلة جديدة شكلت منعطفا مهما في العلاقات الدولية تمت صياغتها تحت عنوان جديد هو مكافحة الإرهاب .وبهدف معالجة موضوع البحث نشير الى تأثير المتغيرات الدولية في القيم الأخلاقية والاجتماعية في الوطن العربي وبالتحديد أنموذج مكافحة الإرهاب كمتغير دولي من جانبين الاول كانعكاس الحملة الدولية لمكافحة الإرهاب على الواقع السياسي والاجتماعي العربي والثاني اثر تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات وهي التقنية التي وظفت بشكل فاعل في النظام العالمي الجديد والتي جعلت من العالم قرية صغيرة .

أولا:انعكاسات الحملة الدولية لمكافحة الإرهاب على المجتمع العربي

يعد الحادي عشر من أيلول منعطفا مهما في تاريخ الولايات المتحدة وفي العلاقات الدولية ،بل انها وظفته واعطته بعدا خارجيا لرسم سياستها الخارجية وفق أهداف ومخططات تؤكد زعامتها لقيادة العالم الجديد ، ان عدة الحرب التي أعلنتها الولايات المتحدة على الإرهاب أقرب الى ان تكون عدة حرب عالمية ركيزتها الأساسية انتشارا عسكريا لا مثيل له.

واذا كانت الولايات المتحدة قد بدأت حربها في أفغانستان بهدف إسقاط حكومة طالبان ومطاردة تنظيم القاعدة، فأنها وسعت من خطتها بحجة حرمان الإرهابيين من أي ملاذ امن في العالم، وهذا تطلب انتشار واسع لقواتها العسكرية في العالم، فضلا على ان مهمات تدريب لهذه القوات تحت هدف مكافحة الإرهاب ،وهكذا بعدما انتشرت القوات الأمريكية في أفغانستان وباكستان وآسيا الوسطى في إطار المرحلة الأولى من الحرب، انطلقت "مهمات التدريب" من الفيليبين الى كولومبيا ومن جورجيا الى اليمن، ومعها تدفق المال الأمريكي والأسلحة في كل اتجاه لتثبيت قواعد جديدة في العالم[٤]. وبذلك فان الولايات المتحدة أعلنت الحرب في العالم ونشرت الات الدمار والقتل وأدخلت المجتمع الدولي في حالة من الخوف

---

[2] موسى محمد ال طويرش ، تاريخ العلاقات الدولية من كندي حتى غورباتشوف ١٩٦١ - ١٩٩١ ، بغداد ٢٠٠٥ ، ص ٧٢ .

[3] باسل بستاني واخرون ،النظام الدولي الجديد ..اراء ومواقف ،ص /٧٤.

[4] خليل حسين، الاستراتيجية الإمبراطورية في وثيقة الأمن القومي الأمريكي.

والقلق وعدم الاستقرار وفي حرب لا تعرف ما هي أهدافها وما هي حدودها.وكان نصيب الوطن العربي كبيراً في مجال الحشود والتحركات والعمليات العسكرية ، وأصبح المجتمع العربي يعاني ويتأثر بشكل مباشر وغير مباشر بالانتشار العسكري الأمريكي في ساحة الوطن العربي او في مناطق الجوار.

وفي الوقت الذي يدرك فيه المتتبع للحملة العسكرية الأمريكية في العراق انها لم تحقق أهدافها المعلنة في الحد من الإرهاب ، فقد تكونت قناعات أنها أدت الى تغذيته، ومما يؤكد ذلك ان الأعمال الإرهابية والتفجيرات التي جرت في العراق وفي مناطق أخرى من العالم تؤكد ان الحرب الأمريكية ضد كل من أفغانستان والعراق وتعاملها مع القضية الفلسطينية كلها سهلت من عمل هؤلاء الذين يقومون بتجنيد عناصر تنظيم القاعدة وزيادة الأعمال الإرهابية(٥). فقد نجحت الولايات المتحدة في إسقاط أنظمة لكنها لم تنجح في مكافحة الإرهاب، وجعلت المجتمعات فريسة للفوضى وعدم الاستقرار.وتأزم الاوضاع في الوطن العربي لا يقتصر على العراق وحده، بل انعكست على القضية الفلسطينية وعلى سوريا ولبنان وتطورات الاوضاع في مصر واليمن.

فالحرب على العراق لم تؤد الى إزالة الخطر والتهديد الذي تتعرض له الولايات المتحدة ، فضلا على ان الأخيرة عجزت عن مواجهة تنظيمات القاعدة في العراق، وان الحرب على العراق واحتلاله جعلت الولايات المتحدة أكثر تعرضا وفتحت لها جبهة جديدة لتجنيد الإرهابيين(٦). ان الأوضاع المأسوية التي عاشها العراق في ظل الاحتلال من جهة وفي مواجهة الإرهاب من جهة أخرى، جعلته يعيش أوضاع اجتماعية في غاية التعقيد، انعكست على قيمه واخلاقيته وأفرزت معطيات جديدة قد تؤدي في حالة استمرارها لمدة طويلة الى انعكاسات خطيرة.

ومن النتائج السلبية التي رافقت الحملة الدولية لمكافحة الإرهاب ومسار العلاقات الدولية الجديدة هو ازدهار تجارة الأفيون ، اذ ان لهذه التجارة انعكاساً كبيراً وخطيراً على حياة المجتمعات ومنها المجتمع العربي ، وقد ذكرت وزارة الخارجية الأمريكية في تقريرها لسنة ٢٠٠٢ ان مكافحة تهريب المخدرات تشكل عنصرا في المعركة ضد الإرهاب، وعبرت وزارة الخارجية الأمريكية عن قلقها خصوصا من استئناف إنتاج الأفيون في أفغانستان ومن الوضع في كولومبيا ، وأكد التقرير ان هذه التجارة "تهدد السلام والاستقرار العالمي".وقدر الإنتاج غير المشروع من الأفيون الأفغاني بـ١٢٧٨ طنا في ٢٠٠٢ مقابل ٧٤ طنا فقط في ٢٠٠١ السنة التي غزت فيه الولايات المتحدة أفغانستان(٧). وقد عجز التواجد العسكري في

---

[5] الان غريش ، موجة الفوضى الضاربة .

[6] جون غيرشمان ، امريكا امنة في عالم امن ، تقرير نشر في مجلة المستقبل العربي العدد ١٣٠ لسنة ٢٠٠٤ ، ص١٥٤.

[7] تقرير وزارة الخارجية الأمريكية ، شبكة الإنباء المعلوماتية .

أفغانستان عن مكافحة المخدرات، بل انه أسهم في تشجيعها وزيادة إنتاجها.وان المجتمع العربي بالتأكيد يتأثر سلبا بهذه التجارة كاسواق او طريق لمرورها .

والمتغير الدولي الذي تمت صياغته تحت اهداف مكافحة الارهاب انعكس على المجتمع الاسلامي عامة والمجتمع العربي خاصة ، في الوقت الذي يدرك فيه الجميع ان الإسلام تتنافى قيمه وتعاليمه السمحة مع الجرائم التي ترتكب بحق المواطن وبحق المجتمع الدولي ،فأن الولايات المتحدة حاولت ان تعبئ الرأي العام الأمريكي والأوربي نحو المسلمين في أوربا وفي الولايات المتحدة ، فضلا على توجيه الأنظار الى العرب والمسلمين عامة بوصفهم حاضنة للإرهاب.

وقد عبئت الولايات المتحدة الراي العام تعبئة خاطئة ضد ابناء الجاليات العربية والاسلامية، زيادة على ذلك استغلت أجهزة الإعلام الصهيونية بشكل خاص استغلال الحادث من خلال إثارة مشاعر العداء ضد كل من ينتمي إلى المجتمعات والجاليات العربية والإسلامية، وزرع الشكوك والمخاوف في صفوف أبناء تلك المجتمعات، وقد أحدث ذلك ضجيجا وشكوكا وعدم اطمئنان بين الغرب وأمريكا من جهة والدول العربية والإسلامية من جهة ثانية، وأوجد شكوكا أثرت في مصالح الجميع. لأن الإرهاب خطر على الجميع ،ولابد أن تستخدم وسائل عدة لمواجهته[٨].

وألقت الحملة بظلالها على القضية الفلسطينية، اذ انه على الرغم من ان الخطاب الفلسطيني يدين العمليات الإرهابية ويدين الجماعات الإرهابية ضد المدنيين ويتنصل من العمليات التي تنفذها جماعات ضد المدنيين، ويميز هذا الخطاب بين الإرهاب وبين المقاومة المشروعة للشعب الفلسطيني، بل عد أعمال المنظمات الإرهابية عرقلة لجهود الشعب الفلسطيني، واستعداد السلطة الفلسطينية كجزء من المجتمع الدولي للمشاركة في الحملة الدولية لمكافحة الإرهاب ، ولكن الحملة التي تقودها الولايات المتحدة وقفت ضد أمال وطموحات الشعب الفلسطيني ، واعتمدت الولايات المتحدة خلطا متقصدا بين الإرهاب والمقاومة، ووصفت المنظمات الفلسطينية المجاهدة من اجل تحرير بلادها بأنها منظمات إرهابية[٩]. وبذلك جاءت السياسة الأمريكية مطابقة للمصالح الصهيونية ووظفت الحملة لصالحها وحددت مسارها تجاه الوطن العربي وتجاه القضية الفلسطينية والعراق وفق ما تقتضيه المصالح الصهيونية.

فالحرب التي تقودها الولايات المتحدة تحت عنوان مكافحة الإرهاب، كانت ساحتها الرئيسية الوطن العربي ودول الجوار المحيطة به كأفغانستان وإيران ، اذ شملت العراق وفلسطين والان لبنان وسوريا ، وغدا مصر ، مما خلق أوضاعا مضطربة كان المواطن

---

[8] علي عبدا لله صالح رئيس الجمهورية اليمنية في حديث لصحيفة الأهرام المصرية ٢٠٠٢/١/١١.

[9] عزمي بشارة ، الخطاب في سياقه ليس مجرد كلام ، ١٢ حزيران ٢٠٠٣ .

العربي يدفع ثمنها ويفقد فيها حريته وأمنه واستقراره ويعرض قيمه وأخلاقياته ومبادئه للخطر.

وعلى الرغم من ان استراتيجية الولايات المتحدة للأمن القومي ترى ان مكافحة الإرهاب تتحقق من خلال الترويج للحرية والديمقراطية وتعزيز المؤسسات الديمقراطية وتشجيع الدول التي تسير بهذا الاتجاه،وترى ان الدعوة الى الديمقراطية هي السبيل لمكافحة الإرهاب،إلا انها في حقيقة الأمر أضرت بالديمقراطية وأساءت الى حقوق الإنسان ، اذ ان قيادتها للعالم تحت ما تسميه مكافحة الإرهاب وفرت مناخا لكثير من الدول والحكومات لسن قوانين مكافحة الإرهاب وظفتها ضد المعارضة الديمقراطية ومارست من خلالها كثير من الانتهاكات لحقوق الإنسان ، وبذلك دخلت كثير من منظمات تطالب بالديمقراطية والتعددية في خانة الكيانات التي تهدد الأمن القومي والعالمي وواجهه الكثير من المدافعين عن حقوق الإنسان والعاملين في مجالات الديمقراطية والعدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان تهما بالتمرد والأضرار بسمعة بلادهم ، ووظفت المحاكم وإجراءاتها القانونية لمضايقة الناشطين في هذه الميادين ، واعتمدت إجراءات تعسفية بمراقبة منظمات المجتمع المدني والتضييق عليها [١٠].

وبذلك فان الوطن العربي تاثر بالمتغيرات الدولية والاوضاع السياسية الدولية خلال الحملة الدولية لمكافحة الارهاب من خلال عدم جديه منهجها المعلن في تعزيز الديمقراطية وان دعواتها في مسالة الديمقراطية خلقت أوضاعا مرتبكة في الوطن العربي ولم تحقق نتائج ايجابية بهذا الشأن .

حول العلاقة بين الفقر والإرهاب، فأن هناك رأياص يشير الى انه ليس هناك علاقة بينهما والقول ان الفقر لا يسبب الإرهاب والرخاء لا يعالجه ، وان الإرهابيين ليسوا فقراء ولا يأتون من مجتمعات فقيرة ، وان ظاهرة الإرهاب ليست منتشرة في أفقر خمسين دولة في هذا العالم، وقد أكدت الدراسات ان هناك تخلفا ثقافيا وفكريا وليس تخلف اقتصادي واجتماعي ، وساهمت الصراعات القومية والعرقية والدينية والقبلية بشكل كبير وملموس بظاهرة الإرهاب([١١]).

وهناك راي اخر قد يكون مختلفا عنه يقول ان التنافس الدولي والمتغيرات الدولية أشاعت الفقر في العالم ، وان فقراء العالم سينفجرون نتيجة ما يعانونه من ماسي ومن فقر ، فقد قدم جورج ماكفرن السفير الأمريكي السابق لدي منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة (فاو). ففي مقال له نشرته صحيفة (نيويورك تايمز) الصادرة في ٢٠٠٢/١/٩، خلاصة تجربته بالقول انه بالامكان وضع نهاية للجوع في العالم من خلال توظيف ما يقارب من ١٥% من الميزانية التي ترصدها بلاده لمكافحة الارهاب وتخصيصها لتحسين الانتاج

---

[10] الأطر الأساسية للحملة الدولية من اجل النساء المدافعات عن حقوق الانسان، 22 شباط ٢٠٠٦.

[11] Wwalter Liqueur , to come the Terrorisom ,

الزراعي والنهوض بالاحوال المعيشية والمعونات الغذائية(١٢).مما يؤكد ان هناك اهدافا ودوافع للبرامج والسياسات الامريكية بشان مكافحة الارهاب وان هذه الاموال التي تخصص للحملة هدفها تحقيق اهداف سياسية تؤكد زعامة الولايات المتحدة وليس مكافحة الارهاب ، واذا كانت الولايات المتحدة غير جادة في محاربة الفقر فان برنامج مساعداتها هو الاخر خاضع لاهداف سياسية اخرى غير تلك المعلنة .

وفي اعقاب أحداث الحادى عشر من سبتمبر تغير الدور الذى يلعبه برنامج المساعدات الأمريكية من أجل التنمية تغيراً جذرياً وذلك فى مجال السياسة الخارجية للولايات المتحدة. وأن تلك المعونة يمكنها أن تكون أداة قوية فى حملتها الكبيرة على الإرهاب الدولى. هذا علاوة على أن تلك المعونة كانت تخدم أغراضاً أخرى أهمها المساعدة فى محاربة الفقر الذى تفشى على نطاق عالمى. ولعل الولايات المتحدة كانت دائماً تستخدم المعونة بطريقة استراتيجية فبرنامج مارشال الكبير للمساعدات الخارجية، كان مبعثه دائماً قلق الولايات المتحدة بالنسبة لأمنها القومى علاوة على رغبتها فى إيقاف التوسع السوفيتى فى أوروبا.وأثناء الحرب الباردة توزعت المعونة الأمريكية على دول مثل كوريا الجنوبية وفيتنام الجنوبية وزائير، وكل هذه الدول كانت حليفة لأمريكا فى حربها ضد الشيوعية. ولقد استخدمت المعونة الأمريكية لأغراض أخرى مثل دعم وتقوية أجندات الأمن الإقليمي. وتعد إسرائيل ومصر هما الدولتان المستفيدتان من مثل هذا الدعم وذلك بعد توقيع اتفاقيات كامب ديفيد.ولكن سرعان ما اكتسبت المعونة الأمريكية مؤخراً أبعاداً استراتيجية أكبر وذلك بالنسبة لصانعي السياسة الذين غالباً ما كانوا يميلون إلى الربط بين الأمن والفقر الدولي وحالة الدول الفقيرة، وكان صانعو استراتيجية الأمن القومي فى أمريكا يزعمون أن الفقر وضعف المؤسسات القومية والفساد يمكن أن تعرض هذه الدول الضعيفة لهجمات الإرهابيين وشبكاتهم ومافيات المخدرات وعصاباتها (١٣).

ثانيا:تأثير وسائل وتقنيات العولمة في المجتمع العربي:

اقترن المتغير الدولي الجديد في ظل العولمة واخذ مدى اكبر واوسع الان بالتزامن مع الوضع الدولي الجديد في الحملة الدولية لمكافحة الارهاب ، بالثورة المعلوماتية الهائلة التي حققتها التطورات التكنولوجية في مجال المعلومات والتطور الالكتروني وانعكاساتها على التطورات العلمية الحديثة ، فضلا على تاثر العلوم الاجتماعية والمجتمع باسره لهذه التطورات.

زيادة على ذلك وفرت الثورة المعلوماتية وعصر المعرفة بعد انتشار الثقافة الالكترونية وتطور وسائل النشر الالكتروني قدرة هائلة في تطوير وسائط تخزين حاسوبية

---

12 خالد الخيرو ، بعيدا عن استفزاز انسانية الغرب والشرق - من حق المجتمع الدولي أن يري المنتصر ملتزما بقواعد القانون الانساني .

13 الحرب الكونية على الارهاب وبرنامج المعونة الامريكية للتنمية ، اعداد علي محمد السيد ، قراءات استراتيجية ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية.

اعتيادية ، و قدرة معالجة وبحث الكترونية سريعة ، ووفرت فرصة أوسع أمام الكتاب الالكتروني العربي والعالمي وبنوك المعلومات ، وهذا كله انعكس بدوره على مستقبل النشر المعرفي في الوطن العربي ([14]).والذي أصبح لا يواكب هذه التطورات الهائلة.

ووفر التدفق الحر للمعلومات الذي حققته ثورة المعلومات والاتصالات فرصة منح المجتمعات البشرية الدخول الى مجتمع المعلومات ومن ثم الانتقال الى مجتمع التكنولوجيا الرقمية والانخراط في ثورة الاتصالات المعاصرة وتطوير المعلوماتية وتمكينها من التغلغل اجتماعيا وعالميا والمكتبة الجامعية مرشحة للانخراط ضمن مجتمع المعلومات واللحاق بركب مجتمع التكنولوجيا الرقمية ([15]).مما يعني ان هناك ثقافة جديدة يقتضي التعامل معها ، اذ أصبحت هي سمة العصر الذي نعيشه.

لذلك تصاعدت الدعوات والضغوط في الوطن العربي للإصلاح والتغيير ،اذ ان العالم أصبح يعيش في ظل استحقاقات العولمة السياسية والفكرية والاقتصادية والثقافية تفرض تبني إصلاحات تؤهل المجتمع العربي التعاطي مع هذه التحولات السياسية والعلمية والاقتصادية تفرض تغييرات اجتماعية واقتصادية ([16]).

وقد تكون فهم مشترك يدعو الى ضرورة تحصين الذات حيال حجم التحديات العظام غير المسبوقة التي تواجه الأمة العربية من المشرق الى المغرب، والى تغيير نمط العلاقات الدولية التي خلفتها العولمة ضمن القرية الدولية الواحدة، والى ظهور ظاهرة الإرهاب، والحرب على الإرهاب بعد أحداث ١١ من أيلول.

وقد توصلت دراسة صدرت عن مركز الدراسات الاستراتيجية والمستقبلية بجامعة الكويت الى ان التنمية السياسية التي تعد وسيلة لتحقيق التنمية الشاملة المستدامة، لا يمكن أن تتم الا من خلال قناعات النظم في طرحها وتبنيها غاية لا وسيلة او شعارا يرفع دون تنفيذ وتطبيق، فالتنمية السياسية التي تعني المشاركة الفاعلة عند الفرد في بناء بلده مما ينعكس على أمته، تتم من خلال قناعات لدى الحاكم والمحكوم، بان الانتماء لتراب وطنه وعالمه العربي، وهو انتماء ذاتي وشعار مقدس، يجب ان يزداد يوما بعد يوم ليكبر كل من الوطن والمواطن بالأخر، والولاء للنظام والدستور والسلطات ومؤسسات الوطن من العوامل الأساسية للوصول الى مجتمع عربي متقدم، والتفاعل بين أفراد المجتمع هو الطريق الصحيح نحو العمل المثمر الذي يصب في غاية الإصلاح المنشودة من اجله ومن اجل وطنه وأمته كلما انعكس ذلك إيجابا في حل كافة المشاكل المختلفة سواء الاقتصادية، ام الاجتماعية، ام الثقافية، كما ان المجتمع العربي بما يمتلكه من قواسم مشتركة عند أبنائه، وما يحتويه من مكانة جيوبولوتكية، قادر على الوصول الى وضع أفضل، وانه أصبح من اليقين بمكان ان

---

[14] هاني شحادة الخوري ، الكتاب ومستقبل النشر الالكتروني ، ٢٣ كانون الثاني ٢٠٠٤ .

[15] كما بطوش ، المكتبة الجامعية العربية في ظل مجتمع المعلومات:حتمية مواكبة ثورة التكنولوجيا الرقمية ، ٩ شباط ٢٠٠٤ .

[16] محمد بن مبارك العريمي ، التحولات الراهنة ودورها في احداث التغيير في العالم العربي .

تولي القيادات السياسية العربية اهتمامها بقدراتها الذاتية في عملية الاعتماد على الذات دون الانحراف الملموس لسياسات الخارج.

والثقافة الجديدة التي عرفت بالثقافة الالكترونية التي دخلت مع الحاسوب وشبكات المعلومات والانترنيت تعد ثورة حقيقية لها فوائد مهمة ويومية في حياتنا نشاهده في المطارات وفي البنوك والمكتبات ووسائل الاتصال وحققت فوائد كثيرة للمجتمع ، ولكنها تستعمل للخير والشر ، اذ ان الخطر يكمن فيما لو استخدمت لترسيخ الفساد والانجراف ونشر الرذيلة والانحلال وهذا يجعل من دورها واستخدامها ينعكس سلبا على المجتمع (١٧).اذ من خلالها وبنفس وسائلها تنفذ جرائم وممارسات أخلاقية تنعكس سلبا على التكوين الاجتماعي ، منها تصفح المواقع الجنسية الإباحية والاختراقات والجرائم المالية وتكوين مواقع معادية وارتكاب القرصنة وغيرها من المشكلات (١٨).

زيادة على ذلك فأنها وفرت وسيلة سهلة أمام مرتكبي الجرائم لانتهاك الأعراض والحرمات والتغرير بالأطفال وتشويه السمعة، والإساءة الى سمعة المجتمعات الإسلامية ، فضلا على عمليات تزوير بطاقات الائتمان ودعارة الأطفال ، واستخدم الانترنيت في الابتزاز والتهديد وجرائم انتحال الشخصية والتغرير والاستدراج التي تستخدم مع الأطفال من مستخدمي الانترنيت من خلال الإغراء بنشر الأفلام والصور الإباحية ، وهذه المخاطر الناجمة عن استخدام وسائل الاتصال المتطورة دفعت دول العالم الى عقد مؤتمر في بودابست لتوقيع الاتفاقية الدولية الأولى لمكافحة الإجرام عبر الانترنيت (١٩).لذلك فان هذه التقنيات التكنولوجيا في مجال المعلومات المرافقة للعولمة قد انعكست على التكوين الاجتماعي وخاصة في الوطن العربي .

ويدعم الإرهاب اليوم باستخدام واسع ومتنامي لنظم المعلومات والاتصالات عالية التقنية ، وقد وفرت هذه النظم المعلوماتية والاتصالاتية المتطورة للإرهابيين وسائل اتصال أمنة وسهلة وغير مكلفة وأعطتها مساحة تغطي العالم كله (٢٠).

أسهمت شبكات الحاسوب العملاقة وبنوك المعلومات الضخمة والأقمار الصناعية في صياغة النظام الدولي الجديد وقيام الاقتصاد العالمي الجديد والتجارة الحرة العابرة للقارات وفتحت الأسواق وخلقت ثقافة كونية جديدة ، وأصبح امتلاكها شرطا من شروط المشاركة في غمار الصراعات والتنافسات الدولية حول صياغة مفهوم العلاقات الدولية والزعامة على العالم ،اذ ان ما يميز العولمة التي نعيش عصرها ألان هو امتلاكها التقنيات المتطورة وتقترن بانتشار تكنولوجيا المعلومات والاتصال الجديدة وما تميزت به من التسارع وإعادة صياغة العلاقة بالزمان والمكان ، وتقلص الفضاء العالمي واهتمت المجتمعات البشرية بحاضرها

---

17 احمد فضل شبلول ، ثقافة الطفل في عصر التكنولوجيا ، ٢٠٠٣/٥/١٥.

18 محمد بن عبدالله بن علي المنشاوي ، جرائم الانترنيت في المجتمع السعودي ، رسالة جامعية .

19 ميرفت عوف ، جرائم الانترنيت .زقوا ابناءكم نارها .

20 محمد قدري سعيد ، ارهاب بدون قيادة..العالم والارهاب الجديد ، التقرير الاستراتيجي العربي ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية .

وانقطعت عن الماضي وصرفت اهتمامها بالمستقبل (٢١).مما جعلها تمتلك وسائل التأثير والتغيير في التكوين المجتمعي وإشاعة ثقافة جديدة لها قواعدها وأسسها .

فضلا عن ان هذه الثقافة الجديدة خلقت فجوة بين الأبناء من جهة والوالدين من جهة أخرى نتيجة ما يمتلكه الأبناء من ثقافة واسعة هائلة في حجم المعلومات وسرعة الاتصال، انعكست على العلاقات الأسرية الاجتماعية ، اذ توفر هذه الخدمة المعلوماتية قدرة تأثير في الأفراد قد يوظفها الآخرون للتأثير السلبي منهم وإلحاق الأذى الاجتماعي والنفسي لهم ودفع الأبناء القاصرين الى السلوك غير السوي .ومع أهمية نشر الثقافة الالكترونية والبرامج المكثفة التي تدفع نحو امتلاك وسائلها المتطورة الحديثة تبرز اهمية التثقيف والتوعية والتربية الحديثة لحماية الأفراد وحماية الشباب من النتائج والممارسات السلبية المرافقة لاستخدام هذه الوسيلة وبناء شخصية الفرد والمراهق في الطريقة التي يتعامل بها مع هذه التقنيات والحد من أضرارها ونتائجها الجانبية .

وانتشرت بفضل الاستخدام الواسع للانترنيت ما يعرف بالعامية الانترنيتية وهي اللغة التي استخدمت وطورت بين مستخدمي الانترنيت ، اذ ضيعت حروفها واقتصرت كلماتها لكي تساعد على الاختصار والسرعة في استخدام لوحة الانترنيت والنقر فيها، فأدت هذه اللغة إلى كثرة الأخطاء الإملائية والنحوية وخلقت مفاهيم مختلفة بين جيلين ، جيل يتمسك بثقافة الانترنيت ولغته الجديدة المختصرة وجيل يبحث عن التمسك بلغته واستخدام الكلمات كاملة ليحافظ على معنى وشكل الكلمات، وعموما فأن الثورة المعلوماتية وتكنولوجيا الاتصالات خلقت تحد جديد للمجتمع العربي في لغته العربية ، وإشاعة مفاهيم وكلمات وأخطاء من خلال غرف الدردشة والرسائل النصية ، وهذه الثقافة الجديدة ستنعكس على ثقافة الجيل الجديد ويحدث افتراق بينهم وبين لغتهم وثقافتهم وهويتهم (٢٢).

ان التقدم الكبير في نظم الاتصالات وخاصة الانترنيت والأقمار الاصطناعية ساعدت على نقل المعلومات بكثافة عالية وزيادة نوعية وكمية في نقل المعلومات مما أدى الى تغييرات جوهرية في مفاهيم التنشئة الاجتماعية والتدريب مما يتطلب وجود ثقافة جديدة تتعامل مع معطيات ثورة الاتصالات ، فضلا على ان حجم المعلومات الفكرية والثقافية والترفيهية والعلمية ويسر الحصول عليها والتعامل معها وجاذبيتها تجعل منها قادرة على التأثير في المجتمعات وعلى النشئ الجديد وعلى ثقافة وتقاليد وقيم المجتمع (٢٣).وأحدثت التكنولوجيا الحديثة تغييرات مهمة وميلاد مجتمع جديد يقوم على المعلومات والمعرفة والسرعة الفائقة وأحدثت تغييرا شاملا ، وأصبحت المعلومات والمعرفة مبدأ عاما ينظم أمور الأفراد والمجتمعات ، وان مجتمع المعلومات يتطلب قدرة اندماجية متطورة جدا (٢٤).

---

21 **قاسم حجاج ، المفهوم والاهمية المعرفية .**

22 **فاطمة البريكي ، لماذا تفوقت العامية الانترنيتية على اللغة العربية .**

23 **عثمان بن صالح العامر ، دور المؤسسات التعليمية في تحقيق الامن الخلقي والمجتمعي في عصر العولمة ، ورقة عمل مقدمة لندوة المجتمع والامن المنعقد بكلية فهد الامنية.**

24 **عزالدين بودربان ، المختصون في المكتبات والمعلومات ودورهم في ارساء مجتمع المعلومات ، ٩ شباط ٢٠٠٤ .**

فضلا على ذلك فأنها أحدثت تأثيرا كبيرا في صياغة الواقع الاجتماعي ومفاهيم التفاعل والاتصال التقليدية ، وفتحت الأفاق واسعة رحبة للأفكار والاتجاهات والـو لاءات والانتماءات وانعكست على التكوين الاجتماعي والثقافي حتى أصبح لا مكان للتمايز والاختلاف في تكوين الأفراد والمجتمعات ، و أسهمت في انفراط عقد الكيانات الاجتماعية التقليدية ، بل جعلت من هذه النظم الاجتماعية واهنة أمام منظومة ثقافية عالمية تمتلك إغراءات ووسائل تأثير يصعب مقاومتها [٢٥].

ويتمثل تأثير تكنولوجيا المعلومات وثورة الاتصالات المرافقة للنظام الدولي الجديد في التكوين المجتمعي في أجلى صوره في ارتباطه الوثيق وتأثيره الكبير في ميدان التربية والتعليم الذي يلقي بظلاله على المجتمع . اذ اصبح لا مفر من استخدام هذه التقنيات وقبول التطورات والنتائج والانعكاسات التي ترافقها ، اذ لابد من مراعاة ضرورة مواكبة التطورات العصرية التي تتسم بثورة هائلة في مجال المعلومات والتكنولوجيا وأصبح استخدام الحاسوب الآلي وشبكة الانترنيت ضرورة حتمية أحدثت تغييرا في أنماط التربية ووسائل التعليم الحديثة ،دفعت الى وضع الخطط الكفيلة بشان التعامل مع أحدث التطورات والآليات الحديثة والتعامل مع مشكلاتها المعقدة.

تنعكس التكنولوجيا المتطورة في مجال المعلومات والاتصالات على تربية الطفل وعلى تربية المجتمع بشكل عام ، إذ إن أي تكنولوجيا لا تحقق أهدافها إلا من خلال جعلها متاحة لجميع الناس ولكل شرائح المجتمع ، وان تنصهر في الكيان المجتمعي ، وهي بذلك تصبح أكثر أهمية وأكثر تأثيرا في مجال تربية الطفل وتعد اليوم من الأمور الضرورية لمواجهة تحديات العصر ، فالعالم يعيش في قرية الكترونية صغيرة الحجم والمساحة وكل شئ فيها يتحرك عن بعد وبواسطة الأزرار ، اذ أصبح الكومبيوتر الشخصي بكل مكوناته واستخداماته هو الأساس والركيزة للتطور الذي يشهده المجتمع اليوم وفي المستقبل [٢٦].

ان الاهتمام بالتعليم وامتلاك وسائل وتكنولوجيا الاتصال واعتماد وسائل متطورة في الإدارة والإنتاج وتبني إستراتيجية وطنية لإعادة صياغة الواقع الاجتماعي الذي يساير ويواكب لغة العصر المعلوماتية ونتمكن من ان يكون لنا حضور فاعل في صياغة النظام العالمي والمنظومة العالمية ويكون ذلك أكثر فاعلية وواقعية من اعتماد آليات المنع والحجب والانعزال [٢٧].

ويواجه المجتمع ضغطا ثقافيا تفرضه طبيعة الوسائل والقدرات المستخدمة في وسائل الإعلام والتقنيات العالية وشبكة الانترنيت ، مما يتطلب برنامجا واسعا لمواجهة هذا الضغط الثقافي الذي وفرته التقنيات والثقافة الالكترونية وجعلت منه أكثر فاعلية وتأثيرا ، وان هذه الحاجة للأمن الثقافي تتطلب الانفتاح وعدم الانغلاق وتتطلب توفير وإشباع الحد الأدنى من الحاجات الثقافية والجمالية والرمزية والمعلوماتية للناس ، وان نبني مؤسسات تمتلك

25 عبدالله الطويرقي ، مستقبل بلا سلطات ..بلا تخوم ، جريدة الشرق الاوسط ٢١ اب ٢٠٠١ .
26 احمد فضل شبلول ، ثقافة الطفل في عصر التكنولوجيا ، ٢٠٠٣/٥/١٥.
27 عبدالله الطويرقي ، مستقبل بلا سلطات ..بلا تخوم ، جريدة الشرق الاوسط ٢١ اب ٢٠٠١ .

مواصفات وشروط المنافسة العصرية ، لكي نتمكن من امتلاك برنامجا ثقافيا تنفذه أجهزة ووسائل متطورة في تقنياتها(٢٨).إن مجرد ركوب الموجة دون امتلاك وضوح في البرنامج والرؤئ ودون تحقيق قدرة إشباع الرغبات ومواكبة التطور ، ستجعل منا مستسلمين تائهين .فالشبكة العالمية للمعلومات توفر الوسيلة الفعالة التي من خلالها نقدم خطابنا ونقدم فلسفتنا ووجهة نظرنا ورؤيتنا للحياة ، إذ أصبحت هذه التقنية عاملا في تحقيق التقارب والتفاعل بين الثقافات والحضارات .

مضامين وتصورات نهائية :

- ومثلما ان الإرهاب الحق الضرر بالمجتمع العربي والمجتمع الدولي عامة وأشاع نوعا من عدم الاستقرار وزرع الخوف وغياب الأمان والأمن الإنساني ، فان الحملة الدولية لمكافحة الإرهاب دفعت الأوضاع الى مزيد من التعقيد وألحقت الضرر بالمجتمع العربي ، وجعلت منه ساحة مهمة من ساحات تنفيذ المخططات الدولية والسياسات التي تمثل المصالح والاستراتيجيات للقوى الكبرى ، فعاشت المنطقة حالة من عدم الاستقرار والفوضى .
- ظلت مفاهيم حقوق الإنسان والمجتمع المدني والديمقراطية مجرد شعارات وأهداف بعيدة عن الواقع ، بل أنها استخدمت كمبررات للضغط والتدخل في الشوؤن الداخلية ، وارتبطت هذه المؤسسات بالمخططات الدولية الخارجية ، لذلك فأنها لم تؤد الأهداف المنشودة لها في الارتقاء بالمجتمع العربي والانتقال به الى مرحلة جديدة يسودها الاستقرار والحوار والتفاعل والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان .
- ان امتلاك القوى الكبرى التكنولوجيا المتطورة في مجالات الاتصالات والمعلومات ، جعلها أكثر قدرة وتأثيرا في امم وشعوب العالم ، فأصبح الغزو الثقافي ألقيمي الأخلاقي هو الممهد وهو الوسيلة الأكثر تأثيرا لتامين وتحقيق السيطرة والنفوذ ، بل أصبح تأثير الثقافة الجديدة أكثر من تأثير المدفع والسلاح .
- ان المجتمع العربي بحاجة الى إصلاح الكيان السياسي بإرادة داخلية وطنية دون الخضوع للسياسات والارادات الخارجية ، اذ ان أي تدخل أجنبي في التغيير والإصلاح سيؤدي الى نتائج عكسية ومدمرة ، فضلا على ضرورة ان يكون الإصلاح سلميا وببرنامج حكومي شعبي مشترك ، ينطلق نحو تنفيذ برنامج وطني لبناء مجتمع جديد يمتلك وسائل البناء التي رأسها امتلاك التكنولوجيا والتطور العلمي. ان امتلاك القوى الكبرى الفاعلة في النظام العالمي الجديد للقدرات العسكرية والتكنولوجية والتطور العلمي الهائل أمام غياب وضعف القدرات والبرامج وامتلاك مقومات التطور العلمي في الوطن العربي يجعل من المجتمع العربي متلقي ومستسلم لما يجري حوله وتجعل منه عرضة للتأثر بمجريات الأحداث والتطورات الدولية.

---

28 عبدالاله بلقزيز ، اية ستراتيجية لمقاومة الاختراق الثقافي الاعلامي .

- لا تزال الصورة التي تصف العلاقة بين الوطن العربي والقوى الغربية الكبرى بانها صورة سلبية قاتمة ، اذ كان المجتمع العربي ضحية دائما لسياسات ومخططات هذه القوى .
- لا يمكن المراهنة على بناء اجتماعي قيمي او الحفاظ على أسس بناء اجتماعي موروث او تحقيق تطور اجتماعي دون إصلاح النظام السياسي العربي وامتلاك ارادة وطنية مستقلة .
- ان تحصين المجتمع العربي أمام التحدي الثقافي والفكري والأخلاقي يأتي من خلال امتلاك الوسائل والتقنيات نفسها ، وامتلاك شرط التطور العلمي ، وليس الوقوف السلبي من هذه التطورات الهائلة في مجالات المعلوماتية والاتصالاتية، والاهتمام بالتطورات التقنية والوسائل الحديثة في مجالات التربية والتعليم .

التحولات العالمية واشكاليات الاصلاح السياسي في الوطن العربي

الاستاذ المساعد الدكتور
ثامر كامل محمد الخزرجي(*)

المقدمـــة

تزعم تكهنات عديدة وإحصائيات رقمية وتصريحات رسمية أن الوطن العربي الذي يحفل بامتداد جغرافي وثروة بشرية، وقضايا وأهداف وقدرات، وتحديات، يمكن أن يكون في مطلع القرن الحادي والعشرين ميداناً لحراك اجتماعي وسياسي، ففي هذا الفضاء يحتشد قرابة ٣٠٠ مليون نسمة وتتضارب السياسات والطموحات وتتعاظم الأدوار وتتكاتف المساعي للتعاون فعلياً على خطوط الخلافات والنزاعات والتنافسات. وإن هذا الفضاء الذي يعتمد على قاعدة شعوبه وأهمية منطقته الجغرافية تتوافر لديه إمكانيات التمتع بنمو ديناميكي مستثمراً لصالحه ثراءه وتنوعه وإمكانية انفتاحه، وهو مع ذلك ظل يواجه معضلات في ميادين التنمية الاقتصادية والسياسية والبشرية، وأزمات أمن واستقرار، فضلاً عن مواجهة معظم نظمه السياسية لإشكاليات مختلفة. ومن خصائص هذا الفضاء الرحب، إن دلالته الجغرافية يمكن أن تعينه على تعظيم قدراته وتدعيم عملية الإصلاح، فهو يتشاطئ مع المحيط الأطلسي، ويحتضن شواطئ كل من البحر المتوسط والبحر الأحمر والبحر العربي والخليج العربي. بيد أن هذا الفضاء لم يستثمر بما فيه الكفاية هذه المزية بل أصبحت توفر فرصة للضغط عليه بالوجود العسكري والأمني الأجنبي وعرض القوة العسكرية.

إن هذا البحث ينطلق من حقيقة وفرضية وتساؤل. **الحقيقة**: هي إن هذه المعضلات والإشكاليات ليست مقطوعة الجذور في البيئة العربية، بل لها امتدادات في التاريخ المتوسط والقريب، والدعوة إلى معالجتها تعتمد على خلفية فكرية واجتماعية تعود إلى عصر النهضة العربية، وفي السياق ذاته الذي أصبح يتزايد باطراد برز الاهتمام بمسألة الديمقراطية وحقوق الإنسان، وتبلورت رؤى وأفكار جريئة حول المجتمع المدني: مفهوماً، وبناءً، ومؤسسات، ، ودوراً، وتحديات، ومستقبلاً.
والفرضية: هي إن الذي حدث في البيئة الدولية خلال العقدين الماضيين قد أسبغ سمات أساسية وجديدة يمكن أن تكون لها تأثيرات وأفضليات تتباين عن تلك التي سادت أبان الانهيارات الكبرى (انهيار الإتحاد السوفيتي السابق)، (انهيار جدار برلين)، ولايمكن للوطن العربي أن يعفي نفسه من تلك التأثيرات التي غدت توظف في سياقها خماسية

(*) استاذ جامعي - باحث اكاديمي

أضلاع (القوة، الثروة، الإعلام، ثورة المعلومات، كونية الاتصالات) فضلاً على القدرات الإستخبارية ولوبيات مراكز البحوث والتخطيط الإستراتيجي للولايات المتحدة التي تراوحت تقويماتها للأحداث بين النقد والدعوة للترشيد والتحريض، وإعداد سيناريوهات دراماتيكية وآليات وتوصيات لتنفيذها.

وفي الوقت الذي ترددت الأنظمة السياسية العربية أو معظمها عن الاستجابة لصوت الإصلاح النابع من بيئتها المحلية خشية أن تقودها عملية الإصلاح إلى المغامرة بمستقبل وجودها، توالت الدعوات والضغوط الخارجية التي تدعو هذه الأنظمة ووحداتها القرارية إلى الإسراع في تطبيق برامج الإصلاح، مستغلة هشاشة وضعف الإنجاز في ميادين تعزيز سلطة القانون والديمقراطية وحقوق الإنسان من ناحية، وإصرار الأنظمة السياسية العربية الحاكمة على تحكمها بكل العملية الاجتماعية، ومحاولتها فرض نفسها مركزاً وحيداً للشرعية إلى جانب كونها مصدراً وحيداً للقوة. وإن مانتوخى إثباته هنا هو إن الإصلاح السياسي والتحول الديمقراطي في الوطن العربي ينبغي أن يكون تعبيراً عن رؤية وطنية وقومية واستجابة لمطالب اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية ذاتية، ويقتضي أعمار المجتمع المدني وبناء علاقات تفاعلية سليمة بينه وبين المجتمع السياسي أو الدولة. **والتساؤل:** ينطلق من إن المشاكل المفهومية والبنيوية باتت تدور حول كم من التغيير قد حصل في البيئة الدولية إلى القدر الذي يمكن أن يضعنا أمام استقراء هل إن القادم من التطور قد اكتمل في ضوء الافتراضات والتأثيرات والاهتمامات السابقة، أو إنه أصبح يتأسس في ضوء الجديد من التغيرات؟ لاسيما وإن أي عملية تحليل دقيقة لسمات الهيمنة الجديدة تفضي إلى تأكيد حقيقة أنها تتخذ من القوة العسكرية وسيلة وظهيراً، والاقتصاد والتجارة طُعماً، والديمقراطية شعاراً، وحقوق الإنسان عصا.

وعلى هذا فإن هذا البحث يمثل محاولة لتوصيف طبيعة أداء الأنظمة السياسية في الوطن العربي وفرضيات الإصلاح، وتحليل ما نحسبها أهم العوامل المؤثرة في تدعيم إرادة الإصلاح السياسي ، واستشراف مشاهده المحتملة في الوطن العربي. وهو تعبير عن رؤية استدراكية لمعالجة أزمات الحكم وعمليات اتخاذ القرار، ويمثل في المعنى ذاته دعوة لمأسسة المجتمع المدني والارتقاء بآلياته وتفعيل أداء مؤسساته انطلاقاً من إدراك حقيقة أن المجتمع المدني الحديث لايمكن أن يوجد إلا في إطار الدولة، وإنه بقدر ما تكون الدولة تعبيراً عن مختلف قوى وفئات المجتمع المدني، وتفسح المجال وتوفر القنوات لهذه القوى لتوصيل مطالبها والتعبير عن تصوراتها يمكن أن تعمق وتجذر شرعيتها في المجتمع، وتحقق جوهر غاية الإصلاح والتحول الديمقراطي، ذلك إن الحقيقة والحكمة لديهما فرصة أكبر في الظهور حيثما تتوافر المشاركة وتوجد المناقشة الحرة المفتوحة.

المبحث الأول

أداء الأنظمة السياسية في الوطن العربي وفرضيات الإصلاح

إن تحليل وجهات النظر الواردة في الدراسات العربية حول نشأة الدولة في الوطن العربي وطبيعة تلك النشأة، وأنماطها، وصيرورتها، يفيد الاستنتاج بأنها عموماً لم تستطع أن تستكمل عناصر الحداثة وظلت تحمل معها ظواهر نقيضة للحداثة كالاستبداد السياسي وحكم الفرد وشخصنة السلطة بين الحاكم وبين الدولة، ومحاولة اندماجها مع الواقع الاجتماعي بتضييق الخناق أمام تشكل مجتمع مدني يتسم باستقلالية نسبية، وتبعاً لذلك فإن معظم الأنظمة السياسية التي سادت في الوطن العربي يؤخذ عليها عدم السماح بقيام المجتمع المدني وذلك لكونها تقوم على مفاهيم السيطرة والتحكم والتعبئة والتشكيل الإداري للأفراد والجماعات، بينما يمثل المجتمع المدني ميدان نشوء وتهيكل علاقات وسلطات ورهانات مستقلة عن السلطة السياسية وغير تابعة لها[1]. فالدولة العربية الحديثة في مرحلة ما بعد الكولونيالية كانت تجهل وتتجاهل الديمقراطية السياسية باعتبارها صيرورة نمو المجتمع المدني، وقد حظرت ممارسة السياسة على الصعيد الداخلي، وألغت لمدة طويلة حرية الفرد وحقوق الإنسان والمواطن[2].

ومع ما حدث من تطور في علاقة الدولة بالمجتمع خلال العقدين الماضيين في معظم الدول العربية، فإن المجتمع المدني في الوطن العربي عموماً يجد نفسه مع نهاية القرن العشرين وبداية الألفية الجديدة في وضع الأزمة، ذلك إن الوقائع تشير إلى دولة لا تثق في المجتمع المدني، وأيضاً مجتمع مدني لا يثق في الدولة، فالعوامل البنائية التاريخية أسهمت ومازالت تسهم في ضعف الثقافة المدنية، والآليات الداخلية للنظم السياسية العربية تضعف من فاعلية منظمات المجتمع المدني، ويدخل في هذا النطاق ضآلة قيمة العمل الجماعي ومحدودية قبول فكرة تداول السلطة، وترجيح التسلسلية، والتعامل مع أهل الثقة بدلاً من أهل الخبرة، وضعف المشاركة في المسؤولية[3].

---

[1] سامي خالد، المجتمع المدني: المقومات والمعوقات، الطريق، العدد الثامن، السنة السادسة والخمسون، (بيروت، آذار – نيسان / مارس - ابريل ١٩٩٧)، ص ٦٢.
[2] توفيق ألمديني، المجتمع المدني والدولة السياسية في الوطن العربي - دراسة - ، (دمشق، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٧)، ص ٨٢٤.
[3] أماني قنديل، المجتمع المدني في مصر : في مطلع الألفية الجديدة، (القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ٢٠٠٠)، ص ١٥٥.

وقد تعزز إدراك المجتمع لمعضلة الدولة في الوطن العربي، نتيجة إدراك صيرورتها التاريخية وضعف مصادر شرعيتها، وضعف ومحدودية أدائها، الذي غذته الهزائم المتكررة التي منيت بها المشاريع التحررية ونتائج التجارب التنموية التي باءت بالفشل. الأمر الذي أعاد النقاش مرة أخرى إلى مستواه الحقيقي وتسبب في فقدان الدولة بعض جاذبيتها، وعلى هذا فإن النقد الموجه للدولة في الوطن العربي اليوم لا ينحصر في المستوى العملي حيث تتأسس عناصره السياسية والاقتصادية بل يتجاوز إلى اللا اجتماعي والعبور إلى الاجتماعي. وهو قائم حتى الآن على إدراك الهوة التي تفصل بين المجتمع والدولة، وبخاصة إن فقدان الدولة لجاذبيتها يتلاقى مع اكتشاف الممارسة السياسية لدى الفاعلين الاجتماعيين، تلك الممارسة التي تخلوْ عنها طويلاً لصالح الدولة في سبيل قضايا كانت ولا تزال محور اهتمامات المواطن العربي وتطلعاته[٤].

وإذا جاز التسليم بدرجة كبيرة ونسبية بان الدولة الوطنية في المجتمعات العربية قد أضعفت المجتمع واستقوت عليه وأنهكته عبر شبكة الممنوعات التي أقامتها باسم بناء الدولة والدفاع عنها، فلابد من النظر إلى المجتمع المدني نظرة ايجابية لإقامة التوازن بين ضعف المجتمع وقوة الدولة، لكن الرغبة في وجود الشيء لا تكفي لإيجاده وذلك لكثرة العوائق التي تعيق أعمار المجتمعات المدنية في بلداننا العربية[٥].

وعلى هذا فإن أول متطلبات الإصلاح السياسي أن يؤهل المجتمع المدني لدوره في الديمقراطية، من خلال تنظيمات أهلية مؤسسية حزبية ونقابية وثقافية، اتحادات وجمعيات وأنماط شتى من أشكال العمل الجماعي غير الحكومي، تقيمه فئات اجتماعية تحمل رؤية مشتركة، هدفها الدفاع عن مصالح مشتركة، لفئة أو فئات اجتماعية معينة داخل المجتمع، ويأتي عملها في إطار تنظيم المصالح المتباينة داخل المجتمع والدفاع عنها، ويتم العمل في هذه التنظيمات بأسلوب جماعي وديمقراطي وعلاقات داخلية تقوم على الحوار والوعي وتبني أهدافا واضحة مشروعة يمكن تحقيقها، وبهذه الطريقة تبدأ مسيرة التنظيم الاجتماعي وتستكمل بناء التنمية السياسية والاجتماعية، بمعنى إن التنمية السياسية التي كانت في الماضي اجتهاداً في إطار دولة الموظفين وليس دولة المجتمع، مطلوب الآن عكس الاتجاه لتأتي التنمية السياسية بمشاركة مجتمع الدولة المنظم والواعي بشكل واسع، أي أن يتحول المجتمع إلى عون للإدارة ورافدٍ لها وليس عبئاً عليها ويقتضي منطق الأمور أن يكون النظام الحديث

---

[٤] فهمية شرف الدين، الواقع العربي وعوائق تكوين المجتمع المدني، المستقبل العربي ، العدد ٢٧٨، (بيروت، م.د.و.ع، ٢٠٠٢)، ص ٣٨.
[٥] المصدر نفسه، ص٤٢.

نظاماً ديمقراطياً بالفعل وتعبوياً قادراً على التكيف والمواجهة واستيعاب المتغيرات والتشكيلات الاجتماعية والسياسية والاثنية وغيرها، ويضع التقدم غاية أيديولوجية له وليس مجرد تحسن في الظروف العامة[٦]. فالهامش الذي جرى التحرك خلاله عبر الزمن في إطار مرحلتي التغير والتكيف كان ضيقاً جداً لتحقيق التطور الداخلي في معظم الأنظمة السياسية العربية، بحيث أصبحت هيكلياً وربما موضوعياً متخلفة عن بنية المجتمعات التي تحكمها، وربما حاولت بعض هذه الأنظمة التجدد، ولكن ضمن سياقات محكومة سلفاً وتحت ضغوط دولية قبل أن تكون داخلية، ولهذا فمن أجل إدراك مدى وجدية سعي الأنظمة السياسية العربية للتطور باتجاه الأنظمة الحديثة وللتأكد من ذلك يمكن تعريض كل منها على حدة لمجموعة من الأسئلة الاستدراكية والمعيارية وعلى الوجه الآتي[٧]:

١- في ضوء ما استقر العمل عليه في مؤسسات النظام: ما هي الفرص المتاحة لتجديد النظام السياسي العربي المعني من حيث القدرات والكفاءات والنخب المسيطرة على مقاليد الأمور؟ وبعبارة أخرى ماهو المعيار الذي بموجبه يتم تداول السلطة بين النخب السياسية وهل خرجت هذه النخب من دوائرها التقليدية ؟

٢- ما هي قدرة النظام السياسي العربي المعني على التكيف السلمي مع الشروط الموضوعية للحركة الاجتماعية الداخلية، التعاون مع المعارضة الحقيقية، أو استيعابها أو الثقة بها كمؤسسة وطنية ؟ وماهي قدرة ذلك النظام على الانفتاح على الحركة الدولية والتفاعل الايجابي مع المتغيرات الدولية مشاركة وليس مساومة، وعياً وخياراً وطنياً وليس إتباعا واضطراراً ؟

٣- ماهي قدرة النظام السياسي العربي المعني على الحشد والتعبئة والفعل اللازم لمواجهة التحديات بصورتها الداخلية والخارجية، وإعداد الأفراد المواطنين بالاقتناع للدفاع عن النظام وسياساته العامة، والتضحية من أجل ذلك ؟

٤- ماهي درجة فعالية النظام السياسي العربي المعني في أداء الوظائف السيادية والأمنية والإدارية والاستجابة للظروف الطارئة ؟

٥- ماهي درجة ادارك النظام السياسي العربي المعني لازمات التنمية المتمثلة بـ(أزمة الهوية، أزمة الشرعية، أزمة المشاركة، أزمة التغلغل، أزمة التوزيع،

---

[6] محمد عبد الكريم محافظة، عبد الله حسن، التنمية السياسية: الإطار المفاهيمي النظري للمصطلح، ط١، (عمان، دار نور الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤)، ص ٣٦-٣٧، ٤٢.

[7] ينظر بالتفصيل ، المصدر نفسه، ص ٤٣-٤٦.

أزمة الاندماج، أزمة التنظيم، أزمة الاستقرار السياسي) ودرجة حدتها على ذلك النظام، ومدى قدرته على مواجهتها وحل اشكالياتها ؟
في ضوء الإجابات المحتملة يتحدد مستوى حداثة النظام ومدى ملاءمته للداخل والخارج وقدرته على الإصلاح السياسي ومواجهة الضغوط المحتملة.

الإجابة المحتملة لمعظم الأنظمة السياسية العربية لايمكن أن تكون بالنفي أطلاقا أو بالإيجاب أطلاقا، بمعنى أنها عموماً مدعوة لإجراء إصلاحات سياسية حقيقية تتجاوب مع التطورات المعاصرة، وينبغي أن تفضي هذه الإصلاحات إلى إحداث تغيير جوهري على طبيعة العلاقات التقليدية القائمة في غير نظام عربي، وان لا تكون تعبيراً عن استعراضات جديدة لإعادة التوزيع والأدوار، ذلك أن الإصلاحات السياسية المطلوبة والتي يمكن أن تحظى بالنجاح والقبول يفترض أن تؤدي إلى نتيجتين هامتين[8]:

الأولى: إذا كان الإصلاح السياسي الحقيقي يتناقض مع مصالح قادة الدوائر الغربية المبشرة به والتي ترى أن يكون الإصلاح شكلياً خدمة لهذه المصالح، فإن من مصلحة الأنظمة السياسية العربية أن تعمل على أجراء إصلاحات حقيقية وجادة لتأكيد شرعيتها ولإلزام مواطنيها بالدفاع عنها وعن سيادتها فيما لو واجهت تحديات من أي نوع.

الثانية: إن الإصلاح الشكلي تجاوباً مع أي طرف يؤدي إلى أيهام بعض القوى السياسية التي تقبل المساومة وببعض الحلول الجزئية بأنها أصبحت شريكة في النظام السياسي وستتحول من ثم إلى جانب القوى المعادية للتغيير والتطور وتظاعف من الأزمات القائمة أو المحتملة، ولا تشكل في النهاية إضافة نوعية للنظام السياسي.

وعلى ذلك فإن تطور المجتمع في الدول العربية باتجاه المجتمع المدني الديمقراطي المفتوح وتطور المؤسسات باتجاه سيادة القانون كغايات أساسية للإصلاح السياسي والتقدم، يعد المحدد لأي خطوة من خطوات الإصلاح السياسي في الوطن العربي الآن وفي المستقبل.

وفي سياق ترسيخ وتوظيف التنمية السياسية في الوطن العربي والنهوض بها باعتبارها آلية من آليات الإصلاح السياسي والاجتماعي فيتسع معناها ليمثل برنامج عمل يستهدف تخليص المجتمع من آفة التخلف السياسي بكل سماته المتمثلة في غيبة فكرة المواطنة، وافتقار المجتمع إلى التكامل والاستقرار السياسيين، وتدني معدلات

[8] المصدر نفسه، ص٤٦.

مشاركة المواطنين في الحياة السياسية وتضاؤل قدرة الحكومات العربية على إعمال قوانينها وسياساتها داخل أرجاء أقاليم دولها كافة. وعدم كفاءتها فيما يتصل بتوزيع القيم والموارد الاقتصادية المتاحة توزيعاً عادلاً ، فضلاً على شيوع ظاهرة شخصنة السلطة، وافتقادها للشرعية وعدم استنادها إلى أساس قانوني فيما يتصل باعتلائها وممارستها وتداولها، إلى جانب تركيز السلطتين التشريعية والتنفيذية في هيئة واحدة وعدم الفصل بينهما.

وفي ضوء ذلك تكون التنمية السياسية : عملية سياسية متعددة الغايات تستهدف ترسيخ فكرة المواطنة، وتحقيق التكامل والاستقرار داخل البيئة الاجتماعية للأنظمة السياسية العربية، وزيادة معدلات مشاركة المواطنين في الحياة السياسية، وفسح المجال لنمو مؤسسات المجتمع المدني، وتدعيم قدرات الحكومات العربية على إعمال قوانينها وسياساتها على سائر أقاليم دولها، ورفع كفاءة هذه الحكومات فيما يتصل بتوزيع القيم والموارد الاقتصادية المتاحة، فضلاً على إضفاء الشرعية على السلطة في الدول العربية بحيث تستند إلى أساس قانوني لاسيما فيما يتصل باعتلائها وممارستها وتداولها ورضا المواطنين عنها، مع مراعاة الفصل بين الوظيفتين التشريعية والتنفيذية بحيث تقوم على كل منها هيئة مستقلة عن الأخرى، فضلاً على إتاحة الوسائل الكفيلة بتحقيق الرقابة المتبادلة بين الهيئتين[٩].

---

[9] احمد وهبان، التخلف السياسي وغايات التنمية السياسية: رؤية جديدة للواقع السياسي في العالم الثالث، (الإسكندرية، شركة الهلال للطباعة، ٢٠٠٠)، ص ١٤٣-١٤٤.

المبحث الثاني
آليات الإصلاح السياسي في الوطن العربي

أولا: المأسسة

المأسسة هي مجموعة علاقات اجتماعية منظمة لتوظيف وتنظيم جهود الأفراد من أجل تحقيق الأهداف المشتركة، كما إن تنوع الحاجات في المجتمع يكون باعثاً على إنشاء مؤسسات متنوعة ومتعددة، وإذا كانت المجتمعات تتماثل من ناحية الحاجات الإنسانية كالغذاء والمأوى والملبس وغير ذلك من الحاجات المادية الأخرى، وضمان الأمن والنظام والتحرر من الخوف المادي والمعنوي وإشاعة الحرية والمشاركة ومواجهة التحديات الخارجية وهي حاجات تتشابه فيها كل المجتمعات الإنسانية، فإنها من ناحية أخرى تختلف في كيفية أداء وظائفها[10] وعلى هذا فأن ربط موضوع الإصلاح السياسي للدولة والمجتمع بالديمقراطية والحرية والمأسسة، يمثل إعطاء نوع من المشروعية السياسية لمشروع الحداثة الذي تمثله الدولة، إنه محاولة لإعادة بناء العقيدة الحداثية للنخبة، وهو بذات الوقت مقاومة ومواجهة تيارات نقض الدولة أو رفضها. فالتنظيمات المؤسسية المدنية هي البنية الوسيطة التي تشغل المجال الحيوي من الحراك الاجتماعي، وهي التنظيمات التي لا يخلو منها أي مجتمع بشري منظم، وضموره (أي المجتمع المدني) أو وتفككه سواء لصالح تعسف السلطة أو لصالح تنامي المؤسسات التقليدية يقود إلى سيادة منطق الفوضى وعدم الاستقرار ... ولكن مع ذلك تبقى هذه التنظيمات المدنية غير كافية للقيام بجميع الوظائف التي تحتاجها عملية الاستجابة والتفاعل مع التطورات الحضارية في البيئة الدولية[11].

١- التحديات الداخلية:

لم يعد من المبالغة القول إن الحديث المتزايد اليوم عن المجتمع المدني بمعنى تنظيمات المجتمع المدني ومؤسساته الحديثة التي ينظر لها وكأنها في مواجهة مع التنظيمات المدنية القديمة، الدينية أو العائلية، ينطوي على ثمة نزعة تصفوية وإستبعادية لا ينبغي التقليل من مخاطرها، إن هذا التوصيف لا نفترض بأنه يعني إن التكوينات التقليدية تنطوي على أو تخفي نزعة ديمقراطية، بل إن المقصود منه عدم إمكانية تجاهل العلاقة بين النظام السياسي والنظام الاجتماعي المدني، بمعنى ضرورة

---

[10] صادق الأسود، علم الاجتماع السياسي: أسسه وإبعاده ، (بغداد، دار الحكمة للطباعة والنشر، ١٩٩١)، ص٢٨١.

[11] قارن مع: برهان غليون، المجتمع المدني في الوطن العربي: دور العوامل الداخلية والخارجية ، ورقة قدمت إلى ندوة المجتمع المدني في الوطن العربي ودوره في تحقيق الديمقراطية ، (بيروت، م.د.و.ع، ١٩٩٢) ، ص ٧٣٤-٧٣٥، ٧٤٨-٧٤٩.

تأكيد هذه العلاقة، مع التشديد على إن كل نظام سياسي لا ينجح في خلق فرص وإيجاد آليات لاحتواء تناقضات المجتمع المدني والعمل على تجاوزها أو السيطرة عليها، يكون قد أخفق في إدراك مقومات استمراره ويمكن أن تتعاظم إشكالياته وتحدياته وتصبح شرعيته موضع تساؤل فإما أن يسقط فعلياً، أو أن يتحول إلى نظام تعسفي قهري ويسقط في نظر مجتمعه. وتبدو الإشكالية في البيئة العربية متأتية حسب تشخيص بعض المختصين من الباحثين، من عدم وجود مجتمع مدني متسق أساساً، فضلاً على انقسام هذا المجتمع وتشتته بين نزوعين مختلفين ومتعارضين بشدة: **الأول** نحو الاندماج بالخارج **والثاني** ينطلق من رد فعله على الضغط الخارجي، ويدفع باتجاه العودة المستمرة نحو الماضي. بما في ذلك الدعوة للتمسك بالمؤسسات والتكوينات التقليدية.

إن رواج فكرة المجتمع المدني في البيئة العربية ونقد التمركز والتمحور في العمل الوطني حول الدولة، كانت بحد ذاتها في مرحلة ما بعد مأسسة الدولة، تعد وتحسب من قبيل الأعمال الموجهة ضد سلطة الدولة الشمولية، وكان هاجس الدولة ينصب حول كيفية سد منافذ العمل السياسي العام، أي الذي يتخذ من تغيير السلطة أو حتى تعديل سلوكها منطلقاً لتفكيره وممارسته، بمعنى إن السلطات الحاكمة كانت قد نجحت في فرض حصار شامل على المجتمع وعلى كل مظاهر العمل السياسي، وهو ما دفع بالنخب المثقفة وبدافع من وعيها لازمة هذه العلاقة ولتدارك احتمالات تفاقمها، إلى العمل على إحياء وتشغيل البنى الاجتماعية المدنية ما تحت السياسية كوسيلة لتفعيل المجتمع وإعادة تكوين القوى التي يمكن أن تشارك لاحقاً في العملية السياسية التغيرية، وكان الحافز وراء هذا السلوك وما يرتبط به من آليات تحرك وعمل، هو الاعتقاد بتوفير إمكانية المراهنة على إن السلطات الحاكمة قد لا تشعر بالخطر الشديد على وضعها ووجودها عندما يتعلق الأمر بإحياء التنافس والصراع حول سلطات لامركزية نقابية أو دينية أو اجتماعية أو ثقافية، ومع ذلك فقد قاومت الدولة والسلطات المركزية الحاكمة فيما سبق كل محاولات التغيير التي راهنت على تفعيل عناصر القوة في المجتمع المدني.

وقد أظهرت عملية تحليل سوسيولوجيا البيئة العربية بوجه أعم إن مؤسسات المجتمع القديم قد فقدت الكثير من فاعليتها ومقوماتها الذاتية، وفي المقابل لم تظهر مؤسسات المجتمع المدني الحديث أي قدرة على أن تقوم بنفسها وتعمل باستقلال عن الدولة ومن دون حمايتها وكفالتها، وإذا كان يصعب على المجتمع المدني في البيئة العربية تكوين حركة مستقلة قوية وقائمة بذاتها نتيجة انعدام فرص الإجماع الممكن، فيبقى ثمة احتمال للتفاهم بين النخبات المختلفة، لاسيما في ظل مطالبة واستجابة حقيقية لعملية تجديد جذري لمفهوم السلطة والسياسة وإصلاح عميق وحقيقي للدولة. ومعنى

ذلك إن عمليات إعادة تجديد المجتمع المدني بالعمق، أي على مستوى القيم والأخلاقيات والثقافة يجب أن تترافق اليوم بإستراتيجية تآلفات كبرى لتغيير السلطة وتجديد بنى الدولة ومفهومها ووسائل عملها، وعلى ذلك فمن غير الممكن اليوم الاحتفاظ بدعم الجمهور والمجتمع المدني وكسب ثقته من قبل النخبات الجديدة الراغبة في التغيير من دون طرح مشروع وطني منطقي وواقعي وعقلاني للإصلاح السياسي. فالحل لا يكمن إذاً في رفض الدولة ولا في المعارضة بين الدولة والمجتمع المدني، ولكن في تغيير الدولة ذاتها من الداخل، أي في تبديل نمط الإرادة التي تسيرها وتحويلها من إرادة خارجية، إلى إرادة داخلية، أي نابعة من المجتمع ذاته وتابعة له[12]. إذ لايمكن الحديث عن مجتمع مدني فاعل ومتطور في إطار دولة ضعيفة وهشة وتسلطية وتابعة وناقصة أو فاقدة الشرعية، ومن ثم فإن عملية الإصلاح السياسي تتضمن قبل أي شيء بناء مؤسسات المجتمع المدني وفي الوقت نفسه إعادة بناء الدولة، بحيث تصبح دولة المؤسسات والقانون، أي دولة ملتحمة بمجتمعها ومتفاعلة معه ومعبرة عنه وليست دولة غريبة وخارجة عنه.

٢- التحديات الخارجية:

لقد أسهمت التجديدات الاقتصادية والتقنية والعلمية التي عرفتها المجتمعات الأوربية أولاً والتي تحقق تعميمها، في شكل أو آخر، على بقية أنحاء العالم عن طريق الرأسمالية وانتشار الاستعمار وغزوه الشامل العسكري ثم الاجتماعي والاقتصادي، في إحداث تغيير في نمط السياسة المدنية، وبشكل خاص في طبيعة العلاقة القائمة بين المجتمع المدني والدولة. ونتيجة ذلك تم تعميم نمط جديد من العلاقات الاقتصادية والاجتماعية أدى إلى تغيير بنية المجتمع المدني وبروز قوى اقتصادية واجتماعية جديدة، ولا يزال القسم الأكبر من مجتمعات العالم التي تعرضت إلى تحدي التغيير والتحول ومنها العديد من مجتمعات البيئة العربية يعاني من إشكاليات في العلاقة مع نظمها السياسية الأمر الذي كان باعثاً للتنافرات وعدم الاستقرار. ومما يزيد من الإشكالية ضعف قدرة هذه الأنظمة في مواجهة تيارات التغيير العالمي وتحدي الثورة الحضارية وتعاقب الإنجازات العلمية والتقنية وتأثيرات ثورة المعلومات وعالمية الاتصالات والتداول السريع والواسع للأفكار والمعلومات والقيم والمعاني والرموز الناجمة عنها، التي محور نشاطها وتفاعلها بيئة كونية لا تعترف بالحدود والمسافات، وبعبارة أخرى انفتاح الفرصة أمام توحيد المجال الكوني[13]، بيد أن ذلك لايعني البتة

---

[12] المصدر نفسه، ص ٧٥١ ـ ٧٥٢.

[13] ينظر: المصدر نفسه، ص ٧٣٩-٧٤٠؛ وكذلك: نبيل علي، العرب وثورة المعلومات، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٨٤، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، ١٩٩٤)، ص ١٠٠-١٠٢. وكذلك: محمود علم الدين، ثورة المعلومات ووسائل الاتصال والتأثيرات السياسية لتكنولوجيا

إمكانية التعامل أو الاستفادة بالقدر نفسه للجميع أو من قبل كل الأقطار والأوطان بل على العكس تماماً، إذ إن هذا الأمر قد أدى إلى تراجع مستمر ومتفاقم في مقدرة بعض النظم السياسية أو الدول التابعة أو الضعيفة على مسايرة تغييرات المجتمع المدني والسيطرة عليها، أو بشكل أدق إمكانية التطابق والاتساق بين بنى المجتمع المدني والمجتمع السياسي أو الدولة. فتعاظم دور المدن وحجمها، وتقلص دور الريف وزيادة ارتباطه كما لم يحصل من قبل واندماجه رمزياً أو سياسياً أو مادياً بالمدينة، وتبدلت علاقات الجماعات داخل المدينة وفيما بينها، فانفتحت الأحياء المختلفة بعضها على بعض بعد أن كانت تشكل عوالم مستقلة ومنفصلة ومتنافسة أو معادية أحياناً. وازداد بشكل عام حجم التبادل والتواصل بين جميع السكان وأبناء المجتمع، وتعاظمت درجة الاندماج والتعارف بين جميع أجزاء البلد الواحد ، وهو ما يعني نشوء بنية مدنية تتيح ظهور بنية وطنية لسلطة الدولة الوطنية[١٤].

وهذا التغيير لا يمثل تفاؤلاً مطلقاً بأن المجتمع المدني العربي قد أصبح مجتمعاً عصرياً، أي ينتج قيم العصر ويقوم عليها ويحققها معاً، وإن كان قد أصبح حديثاً. فالحداثة لا تعني هنا المعاصرة، بل نشوء أساليب تماثل في الشكل الأساليب العصرية في الاقتصاد والثقافة والمجتمع.

إن اعتبار المدنية هي الوحدة الأساسية وليس الدولة هو جزء من الاستراتيجية العالمية التي أصبحت أكثر وضوحاً وتبلوراً في مرحلة ما بعد الحرب الباردة ، فالبلدان التي سوف تنجح في تجاوز التقسيم التقليدي الماضي للدول والوصول ومن ثم إلى توحيد المجال أو الفضاء الثقافي والحضاري الذي يجمع بين شعوبها ويميزهم عن غيرهم هي التي سوف تحظى بالمكانة الأفضل في تقسيم العمل العالمي المتزايد وتضمن لنفسها أفضل الفرص لدفع عملية التنمية الحضارية في العقود القادمة من معايير المنافسة العالمية المنظورة. فالتدويل الراهن للعملية الحضارية أو ما يطلق عليه البعض عولمة الاقتصاد والعلاقات السياسية والثقافية عامة يعمل لا محالة على تطوير اتجاهين متناقضين:

الأول إيجابي، يتمثل بما تسهم به ثورة المعلومات والاتصالات من تقديم فرص التوحيد الفعلي للفضاءات الكبرى الثقافية التي كانت الوسائل القديمة عاجزة عنها.

الاتصال: دراسة وصفية، السياسة الدولية، العدد ١٢٣، (القاهرة، مؤسسة الأهرام، كانون الثاني/ يناير ١٩٩٦)، ص١٠٥. وكذلك : عمر الجو يلي ، العلاقات الدولية في عصر المعلومات: مقدمة نظرية، السياسة الدولية، العدد ١٢٣، المصدر السابق، ص ٨٥-٩١.

[14] المصدر نفسه، ص ٧٤٠-٧٤١.

أما الاتجاه الثاني، فيقوم على تعميق تواصل النخبات الحاكمة وغير الحاكمة بالنظام العالمي السائد وتمثلها قيمه، وانفصالها المتزايد عن شعوبها ومن ثم إمكانية تحويلها الى أدوات لتطبيق السياسات الخارجية والأجنبية.

وهناك من يذهب بالتحليل إلى أقصاه، ويرى إن الدول الأوربية والغرب عموماً تبذل جهداً متميزاً لتغيير عقلية وثقافة هذه النخبات وجعلها تخجل من ثقافتها وقيم شعوبها، ومن ثم إمكانية تحويلها إلى أدوات لتحقيق أهداف الغرب في بلدانها. وفي إطار السياق نفسه يتم العمل على تطوير استراتيجية واعية وشبه رسمية لتدمير عنصرين وقيمتين في مدن وبلدان الوطن العربي، وهما مفهوم الوحدة أو التضامن، ومبدأ إحياء الثقافة العربية والانتماء إلى حضارة الإسلام. إن مرد هذا التحليل نابع من تشخيص وتوصيف لذلك الجهد الذي تبذله دوائر الثقافة الغربية الرسمية وغير الرسمية لإظهار الإسلام بمثابة المصدر الأول لما يعيشه النظام العربي الراهن، السياسي والاقتصادي والأخلاقي من وهن وعيوب وعاهات، وإن جعل التخلي عن الإسلام هو شرط التمدن أو التعامل السلمي والسليم مع الغرب، ماهو في واقع الأمر إلا جزءاً من استراتيجية الحرب الحضارية والمواجهة الشاملة، والتي تدرك إن السيطرة على الجماعات الكبرى أو منعها من التقدم يستدعي حل شخصيتها ودفعها إلى التخلي عن القيم الأخلاقية والرمزية التي تكوّن لحمتها العميقة .. لذا فإن الأمر يقتضي فهم قوانين العصر وسبر أغوار ثورة المعلومات والاتصالات ليس كمتلقين فقط وإنما كمتفاعلين بمعنى الاستفادة القصوى من فرص التقدم التي تتيحها ثورة الاتصالات لصالح بناء الوطن العربي المستقل ، وهو جوهر المجتمع المدني المعاصر.

ويبقى من الأهمية بمكان القول إنه لا مجتمع مدنياً من دون نظام سياسي قادر على حماية هذا المجتمع من التخريب والاحتواء الخارجي ، وإن بناء المجتمع المدني في الوطن العربي وتوافر أرادة الإصلاح السياسي والاجتماعي في كل وحدة من وحداته (دوله) يتطلب بناء السياسة العربية فيما وراء سياسة الأقطار وبما يمكن من تجاوزها والجمع بينها في الوقت نفسه، أي بناء الجماعة العربية أي التأسيس لمجتمع مدني عربي له القدرة على مقاومة تحديات الآخرين، ويتفاعل مع الآخرين من موقع مؤثر، والأمر هنا يعكس علاقة تجمع أفراد متعددين ومؤسسات متماثلة ومندمجة لإقامة علاقة مع الخارج والعالم تعبر عن أهداف وتطلعات ومصالح واحدة ، فالمشكلة ليست سياسية ولا مدنية حصراً، وإنما هي جيو- سياسية، أي بناء استراتيجية المدنية العربية، كحاصل جمع وتفاعل الشعوب والدول والأقطار في المواجهة الحضارية[١٥].

---

15 المصدر نفسه، ص٧٥٥.

ثانياً: الضغوط والدوافع

لاشك إن الحديث المتجدد عن التحول نحو الديمقراطية في الوطن العربي بعدما حدث في الأعوام القليلة الماضية من تحولات ، يشكل مؤشراً لا يخطئ على عمق المشاعر الشعبية المراهنة على هذا التحول في اتجاه الديمقراطية والتمتع بالحريات السياسية ، وذلك مهما كانت طبيعة النيات الكامنة خلف هذه التحولات، والنظم والسياسات المباشرة التي نبعت منها، والصعوبات التي تواجهها. وإذا كانت الديمقراطية في البيئة العربية لم تحقق بعد تقدماً يذكر على مستوى الممارسة العملية، ومازالت التجارب القائمة تحتاج إلى مزيد من الوقت حتى تبلور طريقها وتثبت جدارتها، فإنها حققت على صعيد الوعي قفزة هائلة دون شك، والدليل الذي يمكن إن يؤكد ذلك هو إن أحداً لا يستطيع اليوم أن يدافع كما كان الأمر في السابق، عن نظام السلطة المطلقة أو قيمها، لا بأسم التنمية ولا بأسم الأمن القومي، وأصبح هناك ميل قوي وإيجابي عند معظم المفكرين العرب وحتى بعض النخبات العربية، إلى الربط بين التنمية والتحرير من جهة، والديمقراطية وحقوق الإنسان والمشاركة الشعبية من جهة أخرى. ولم يعد المراقب بحاجة إلى نظر ثاقب حتى يدرك إن نظام الاستئثار القائم على سياسة القوى قد استنفد إغراضه، وفقد شرعيته، ويكاد ينهار من تلقاء نفسه تحت وطأة تضاؤل قدرته على مواجهة التحديات الداخلية والخارجية في آن معاً[16].

إن الحديث عن عصر الديمقراطية العربية، لايعني إنها قد أصبحت قاب قوسين أو أدنى من حيث توفر الشروط الذاتية والموضوعية لتحقيقها، ولكنه يشير إلى انهيار المشروعية التاريخية لنظام الحزب الواحد، وهذا يعني إنها وإن أصبحت قريبة من حيث الإمكانية التاريخية والفكرة الشعاراتية، فهي مازالت بعيدة، ومازال هناك الكثير مما ينبغي عمله قبل أن يترسخ السير في اتجاهها، وضمان ألا يكون الإصلاح والانفتاح السياسي مدخلاً إلى مزيد من الانهيار الاقتصادي، وانعدام الإرادة والقدرة التنموية، أو أن تكون التعددية مدخلاً إلى مزيد من الفوضى والتمزق، ومن ثم إلى تعميق التبعية السياسية، وفي ما بعد الارتداد[17].

---

16 لمزيد من التفصيل ينظر: برهان غليون، الديمقراطية العربية، جذور الأزمة وآفاق النمو، في (مجموعة مؤلفين) حول الخيار الديمقراطي: دراسة نقدية ، (بيروت، م.د.و.ع، ١٩٩٤) ، ص ١١٣-١٢٥.

17 المصدر نفسه ، ص ١١٣.

وليس من الممكن للديمقراطية أن تصبح هدفاً مشروعاً للعمل السياسي الجماعي، أي ميدان استثمار حقيقي في البيئة الاجتماعية العربية، إلا عند تحقق أمرين[١٨]:

أولهما: تَضمّن لواقع العرب الموضوعي، أو ظروفهم الموضوعية، بصرف النظر عن العوامل المؤثرة فيها، داخلية كانت أم خارجية، فكرية أم مادية، الحد الأدنى من العناصر والإمكانيات التاريخية، التي لايمكن من دونها الحديث عن الدخول في تجربة ديمقراطية.

وثانيهما: سيطرة الوعي السياسي العربي على منطق هذه الظروف الموضوعية، وامتلاكه من الرؤى والمصادر المعنوية المحفزة، والنظريات المنيرة ما يجعله قادراً على بناء مسيرة سياسية متسقة، قوية ومستمرة، تجسد النضال التاريخي من أجل الديمقراطية وتبديل قيم ونظم الممارسة السياسية فيه.

ولعل ما يمكن عدها ابرز الضغوط والمسوغات باتجاه الشروع بإصلاحات سياسية في البيئة العربية تتمثل في هذه المرحلة بتحديات النظام العالمي الجديد وضغوط آلياته ، ودوافع القيم والمواطنة، ودور القوى الاجتماعية الجديدة:

١- تحديات النظام العالمي الجديد:

تتضمن طروحات وآليات النظام العالمي الجديد (ولو ظاهرياً) الحث على احترام حقوق الإنسان ودفع المجتمعات المتأخرة إلى ولوج طريق الديمقراطية لذا فإنها تبدو أولى الحوافز التي تشجع على التحولات الديمقراطية في البيئة العربية كما هو الحال في غيرها من البلدان.

وفيما يتعلق بالوطن العربي أو البيئة العربية التي نحن بصدد الحديث عنها فهناك جانب من التحليل السوسيولوجي يرى بأن النظام العالمي الجديد الذي يخضع حتى الآن، ولفترة غير منظورة، للتحالف الغربي الذي تبلور في مرحلة ما بعد الحرب الباردة كما لم يتبلور من قبل، لا يشكل عاملاً موضوعياً للتحول الديمقراطي في الوطن العربي، بل يمكن أن يكون عاملاً مثبطاً، بدعوى إن المقصود من التحول الديمقراطي هو العنصر الرئيسي في الفكرة الديمقراطية، أي القبول بأن تصدر السياسة والسلطة عن الأغلبية الشعبية المعبر عنها من خلال الاقتراع العام ، لا أن تكون ثمرة مشاورات وتسويات ضيقة، تجري بين النخبات أو القيادات المحدودة المدنية والعسكرية أو ثمرة التسلط واستخدام القوة، سواء غطت على هذه القوة واجهات تمثيلية شكلية، أو بقيت من دون تغطية شكلية، وهذا هو جوهر الصراع السياسي الراهن من حول الديمقراطية. وتجدر الإشارة إلى إن بناء السلطة والعلاقات السياسية العامة على

---

18 المصدر نفسه ، ص ١١٥.

مبدأ إرادة الأغلبية الشعبية لا يتفق فيما يتعلق بالبيئة العربية ومصالح القوى المسيطرة والمهيمنة على النظام العالمي الجديد والبيئة الدولية، بل إن المصلحة الراهنة والمنظورة لهذه القوى تحتم عليها منع هذه الإرادة من التعبير عن نفسها، وذلك لتعارض مصالح هذه القوى في جوهرها مع مبدأ صدور السلطة السياسية عن الإرادة الشعبية في البيئة العربية. ولا يعني هذا بالضرورة، أن ليس من مصلحة القوى المهيمنة على النظام العالمي الجديد إيجاد بعض التعديلات الشكلية في طبيعة وسياسات النظم الحاكمة في البلدان العربية، إذ أن لهذه القوى مصلحة كبرى في تحسين مظهر معظم هذه النظم ومحاولة إلباسها أكثر ما يمكن لباساً خارجياً مشابهاً للنظم الديمقراطية، لكي تعطي هذه القوى لنفسها شكل السيطرة الشرعية والإنسانية حتى تغطي على حقيقتها الفعلية وأهدافها الجوهرية[19].

٢- دوافع القيم والمواطنة:

إن المواطنة هي التمتع بالحرية السياسية، وبحق المشاركة من مستوى الندية، والمساواة في تقرير مصير الجماعة الإنسانية، ولا وجود لحرية سياسية دون وجود علاقة وطنية، واندماج سياسي في الجماعة. فالسعي للحرية، والى بناء قيم المواطنة كإطار للاندماج والمشاركة الجماعية، وتحمل المسؤولية الجماعية، تمثل بمجملها حوافز التغيير الرئيسية اليوم في منظومات قيم المجتمعات العربية، التي لابد من الرهان عليها في بناء الديمقراطية كإطار لعلاقة اجتماعية جديدة، مؤسسة على الاعتراف الفعلي بالمواطنة بدلاً عن القبيلة والعشيرة والفرقة والطائفة .

لقد عانى المواطن في البيئة العربية وتعب من حمل ألهويات اللاتاريخية الجزئية الطائفية والقبلية والعشائرية والجهوية والمناطقية كما عانى من حالة العطالة واللامسؤولية والتبعية للغير والسلبية واللافاعلية، وعلى ذلك فقد أصبح العمل من أجل الحرية والتماهيات المدنية والسياسية، يساوي العمل من أجل بناء المصداقية الذاتية وتأسيس الفاعلية، بمعنى احترام ألذات والنظر إلى النفس كمستودع لقيم إيجابية[20]، ولعل هذا النزوع نحو بناء وطنية حقيقية قائمة على تأسيس علاقات تضامن واعتراف متبادل وتعاون شامل كفيل بتأمين قدر من المناعة والحصانة إزاء الشعارات والتحديات الخارجية أو التعبئة السياسوية المحلية، إذاً هو الحافز لتنامي الدافعية للإصلاح والتحول الديمقراطي فمصائر البلدان والشعوب والأمم تقررها العوامل

---

19 المصدر نفسه ، ص ١١٨.

20 المصدر نفسه ، ص ص١٢٠-١٢١.

الداخلية في المقام الأول، وانه ما لم تتضح شروط التحول الديمقراطي ذاتياً لن يكـون في وسع أية جرعة خارجية أن تفعل شيئاً[٢١].

٣- القوى الاجتماعية الجديدة:

لم يعد من الممكن الحديث عن الإصلاح والتحول نحو الديمقراطية، دون تحديد القوى الاجتماعية صاحبة المصلحة الحقيقية في الإصلاح، وتكون حياتها وفكرها وقيمها متسقة وفي سياق مشروع الديمقراطية ومكرسة لعملية الإصلاح والتحول الديمقراطي. ولعل القسم الأكبر من المشكلات التي ينبغي على مشروع الإصلاح في البيئة العربية مواجهتها حتى يتسنى له أن يترسخ، تتبع من هذا المسار الذي يعكس بالفعل حقيقة أساسية هي إن هذا التوجه الجديد قد جاء نتيجة قناعة ونضج عام بقدر ما جاء حلاً جانبياً أو تعويضاً لمشاكل اقتصادية وأمنية وسياسية قد وجد لها الحل. وعلى هذا فان التوافق بين مطلب الديمقراطية وشعارها مع مطلب الإصلاح وشعاره، بل تطابق المطلبين وشعاريهما، يكاد يعطي الانطباع بأن الوطن العربي قد كسب نهائياً لصالح الفكرة الديمقراطية، بيد أن تعدد القوى الاجتماعية وتنوع الأهداف والمطالب السياسية والاقتصادية والعقائدية، بقدر ما يوحي بتوافر المناخ الديمقراطي، يمكن أن يسهم في ضعف الحركة الديمقراطية ويفضّي الشعار الديمقراطي من مضمونه الحقيقي، وذلك لكونه يجمع معظم المصالح والمضامين الشعبية والوسطى، فمصير الديمقراطية على الرغم من المناخ الديمقراطي، يتوقف على النجاح في إيجاد تسوية ثابتة وتاريخية، بين الطبقة الوسطى المتعددة المواقع والحساسيات الدينية والاجتماعية من جهة والنخبات المرتبطة بالطبقات الشعبية، التي تسعى إلى الخروج من عزلتها وهامشيتها أو تهميشها من جهة ثانية[٢٢]. وان ما ينبغي مراعاته هو أن حداثة أسرع من اللزوم يمكن أن تحول المجتمع إلى حقل مغلق بداخله تنبثق قوى اجتماعية مباشرة مسيسة بشراسة وتتصارع وواعية جداً بحدة تناقضاتها، راديكالية التماثل أو الاندماج أو الصراع وهذه تعيق المساعي الرامية إلى إقامة حد أدنى من النظام ومتابعة إنجاز مشروع الإصلاح والحداثة[٢٣].

---

21 عبدالاله بلقزيز، في الديمقراطية والمجتمع المدني: مراثي الواقع، مدائح الأسطورة، (بيروت، أفريقيا الشرق، ٢٠٠١)، ص ١٠٦.

22 برهان غليون، المصدر السابق، ص ١٢٣.

23 بيرتراند بادي ، التنمية السياسية في الوطن العربي، ترجمة محمد نوري المهداوي، (طرابلس ، تالة للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠١)، ص ٨٩-٩٠.

ثالثاً: المقومات والحوافز

١- المقومات الاقتصادية والاجتماعية:

تمثل معالجة الأزمة الاقتصادية ، وما يرتبط بها من تقلص فرص التنمية المخططة والسريعة العامل الأهم من بين الإصلاحات الأساسية التي لابد من تحقيقها أو البدء بها حتى يمكن تمهيد الطريق أمام التحولات السياسية الديمقراطية وجعل الاختيار الديمقراطي هدفاً ممكناً ورهاناً حقيقياً، أي ينطوي على مصالح ومنافع، بالنسبة إلى جميع الطبقات الاجتماعية. وينصرف معنى استمرار الأزمة الاقتصادية إلى ازدياد التفاوت في المداخل، ومن ثم ازدياد حدة التوترات الاجتماعية، وانكماش هامش المبادرة السياسية لدى السلطة السياسية مهما كانت. كما يعني تفاقم مشكلة الفقر، والتهميش المتزايد للأغلبية الاجتماعية، والاستبعاد والإقصاء من الحياة العامة بما فيها الحياة السياسية للملايين من البشر، وعلى ذلك فان الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية، والتخفيف من التفاوت بين الطبقات ومن التبذير وهدر الإمكانيات والموارد، ودعم عملية التنمية بجميع الوسائل، تشكل الشرط الأول والمهمة الأساسية وكذلك المؤشر الفعلي، لأي مقاربة جدية للديمقراطية في المجتمعات العربية. ولا يقل أهمية عن ذلك العمل على مواكبة الديمقراطية بإصلاحات اجتماعية جديدة وعاجلة تخفف من الضغط الاجتماعي، والتفاوت في المداخيل، وتفاقم البطالة، وانعدام الأمل واليأس من المستقبل عند الأجيال الشابة. لذا فان الموضوع الأساسي للمجتمع هو تأمين الشروط الأساسية للحياة، المادية أولاً والمعنوية ثانياً[٢٤]. وذلك لان التنمية الاقتصادية أو ما يطلق عليه مفهوم (التحديث) سوف تفضي حتماً إلى التنمية الاجتماعية والسياسية والتقدم العلمي والثقافي[٢٥].

وفي المعنى ذاته فان الدعوة إلى الديمقراطية والمشاركة السياسية لايمكن أن تستقل عن الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي، وكلتاهما تمثلان وجهين لعملية تغيير اجتماعي سياسي، فكما إن الإصلاح الاجتماعي والسياسي هو شرط ترسيخ الديمقراطية ونجاحها، يشكل احترام الإنسان وتفجير قدراته على المبادرة والعطاء والتضامن الطوعي والاعتزاز القومي، وهو ما يبعثه نظام الحرية، شرطاً مماثلاً لدفع عملية التنمية والتقدم الاجتماعي والمادي.

٢- احتواء مظاهر التوتر والإرهاب في البيئة الاجتماعية:

---

[24] برهان غليون، المصدر السابق، ص ١٤٠-١٤١-١٤٢.

[25] نصر محمد عارف، نظريات التنمية السياسية المعاصرة : دراسة نقدية مقارنة في ضوء المنظور الحضاري الإسلامي، ط٢، (الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٢)، ص ٣٠٥.

هذه المظاهر غير متأصلة في البيئة الاجتماعية العربية، وقد بدأت تطفو من فترة قريبة جداً وأصبحت تحتاج إلى معالجة خاصة حتى يمكن استعادة الأمل بالتحول الديمقراطي المطلوب، ويرى جانب من التحليل السوسيولوجي بأن مظاهر التطرف والإرهاب نشأت في سياق العمل على إجهاض عملية التحول هذه ونتيجة لإخفاقها.

وفي حالة ترافق مظاهر العنف مع أزمة اقتصادية واجتماعية وسياسية، فإن سلطة القانون لا توقفه وقمع السلطة يمكن أن يساعده على تطوير ذاته تنظيمياً وعقائدياً، وإذا كان من الصعب بل المستحيل على الحركات المتطرفة والإرهابية أن تصل إلى السلطة بسبب عدم قبولها اجتماعيا والخوف الذي تثيره ممارساتها، إلا أنها تظل تتجاوز على هيبة السلطات الحاكمة، وتعيق قيام سلطة مرهوبة.

إن إلغاء دوافع التطرف ، هو الذي ينبغي أن يكون الهدف الواقعي والممكن للسياسة الراهنة في الوطن العربي، الأمر الذي يقتضي عمليتين متزامنتين: تطوير المشاركة السياسية الفعلية في المسؤولية الوطنية، ومحاربة التفاوت الصارخ في مستويات المعيشة وأنماط الاستهلاك بحيث يمكن إعادة بناء روح التضامن الوطني والاجتماعي وتحقيق الاندماج التدريجي، حتى لا يبقى في المجتمع من يشعر بأنه غريب في بلده، أو محروم كلياً من ثمرات جهده[٢٦]. وهذا يمثل أحد الضمانات لإشاعة الاستقرار السياسي، وترسيخ الأمن الاجتماعي إلى جانب الشعور بالكرامة وبعث الروح الوطنية وهي مستلزمات أساسية لمواجهة قضايا الأمن الوطني والقومي والاستعداد للدخول في العصر الجديد. ذلك أن الاستقرار السياسي وسيادة النزعة السلمية وعقلية الحوار والتفاوض المدني، وكلها من أسس الديمقراطية والإصلاح مرتبطة في النظم السياسية بشكل أساس وجذري بانخفاض شدة التوترات والتناقضات والإشكالات التي يعرفها المجتمع.

٣- السيطرة على احتمالات الفوضى والانقسام:

تبرز في التحليل السياسي والاجتماعي ثمة مخاوف إزاء التطبيق العملي للتعددية السياسية، تتمثل في احتمالات أن تقود الديمقراطية والمشاركة الفعلية والواسعة لكل القوى السياسية، إلى الفوضى، وأن تؤدي هذه الفوضى إلى انفجار النزاعات الطائفية أو إلى تَسلُّم القوى غير الديمقراطية الحكم ... وعلى الرغم من إن هناك جزءاً كبيراً من المبالغة في هذه المخاوف، قد يكون مبعثها سعي النخبات القائمة في الحكم إلى تضخيم المخاطر الناجمة عن الانفتاح في سبيل التمديد لنفسها وتبرير تجميد الأوضاع، إلا إن ذلك لا يمنع من وجود مثل هذه المخاطر في بعض الدول العربية. وهذه المخاوف في أحيان كثيرة تمثل دوافع إما واقعية أو مفتعلة، لمنع جزء كبير من

---

26 برهان غليون، المصدر السابق، ص ١٤٦ ، ١٤٩.

النخبة داخل السلطة أو خارجها، من التسليم الجدي بالخيار الديمقراطي وسيلة للحكم وتداول السلطة[27].

ولعل ما يثير القلق ويستوجب التنبه له بدقة في هذا الصدد يتمثل في الآتي:

أ- طغيان العقائديات والمذهبيات، وتضييق دائرة حرية التعبير إلى أقصى حد، مما قد يؤدي إلى عدم تمتع المجتمعات بالنضج السياسي الكافي الذي يحصن الفرد من الردود العاطفية ويصونه من التأثر السريع بالدعوات الجزئية وغير الوطنية.

ب- افتقار المجتمعات إلى الهياكل والبنى الحزبية والمهنية والفكرية القوية التي تستطيع أن تؤطرها وتنظمها وتنسق نشاطها وتعقلن ممارستها، وتجعلها أقدر على إنضاج ردود أفعال عقلانية ومتماسكة ومفكر بها.

ج- غياب التفاهم والحد الأدنى من الإجماع الوطني بين النخبات الاجتماعية المختلفة، بسبب المنافسات والصراعات والأحقاد المنبعثة من سياسات الاستبعاد والتهميش للبعض، وإستزلام البعض الآخر، وتدمير البعض الثالث[28]. الأمر الذي يعيق إمكانيات التفاهم والاتفاق .

٤- تنامي مدركات احتواء الأزمات:

ليس من شك بأن الانفتاح يزيد من فرص التدخل الخارجي، وفاعلية التجمعات والتنظيمات النشطة أو (المتعصبة)، وفي السياسة ليس هناك ضمانات قانونية أو سياسية سوى صحة السياسة المتبعة ذاتها وملاءمتها الأهداف المطلوب تحقيقها ... وكي لا يستغل الانفتاح والتحول الديمقراطي ثمة مداخل يمكن أن تقدم إطاراً لاحتواء مظاهر الأزمات المحتملة[29]:

المدخل الأول: ويقوم على بلورة سياسة الانتقال السلمي، والمتحكم به، من خلال التأثير في الرأي العام والنخبات الاجتماعية، لحملها على التفكير بمنطق المستقبل وتجاوز الماضي، والتغلب على مشاعر العنف الداخلي والشعور بالتعرض للتعسف ، والمهم في هذا المدخل إن لاتكون النخبات الاجتماعية المتنافسة في تفكيرها وردود أفعالها حبيسة الماضي وما تركه من أثار، ولا يتم ذلك إلا بالارتقاء بأفق التفكير نحو المستقبل. فليس هناك أفضل من الديمقراطية لخلق إطار مصالحة وطنية تخرج أطراف المجتمع من مخاوفها المتبادلة.

المدخل الثاني: وينطلق من مبدأ إن السياسة السليمة تقوم على تطبيق مبدأ الصدق، بمعنى الجرأة في الاعتراف بالفشل ومواجهة الواقع، إذ ليس هناك إصلاح

---

27 المصدر نفسه، ص١٥٠.

28 المصدر نفسه ، ص ١٥٤-١٥٥.

29 المصدر نفسه، ص ١٥٦-١٦٣.

حقيقي للعلاقة مع البيئة الاجتماعية والرأي العام دون كسب ثقة الناس وإقناعهم بالتغيير من جهة، وإيمانهم بصدق النوايا من جهة أخرى. وفي جميع الأحوال، الأفضل هو أن يفكر الناس علناً بالمشاكل، ويعبروا عن أنفسهم وخلافاتهم بالكلام من أن يحققوها بالسلاح. وإن ما يمكن إن يقدمه مشروع الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي من فوائد وإغراءات للبيئة الاجتماعية تجعل الشعب والنخبات الاجتماعية تشعر بأن ما تجنيه من التسوية الجديدة في إطار انتقال ديمقراطي وسلمي، أكثر مما تجنيه من التمرد على الدولة والثورة على النظام أو من التناحر الفئوي.

المدخل الثالث: يركز هذا المدخل على إعادة البناء السياسي للبيئة الاجتماعية ، بمعنى إنشاء وتكوين المؤسسات والهياكل الحديثة المؤطرة والمنظمة والمعقلنة حركته وسلوكه، بما في ذلك خلق الشروط الملائمة لنمو الهياكل النقابية والحزبية المستقلة. التي يمكن أن تستوعب الاحتجاج والاعتراض والاختلاف والرأي الآخر، على أسس سياسية وأرضيات عقائدية صريحة وعقلانية، ومن ثم تطوير الهيكلية الجديدة للمجتمع . وينبع من ذلك احترام الآراء المختلفة للجماعات والمجموعات السياسية وغير السياسية، وإطلاق حرياتها، والتركيز على مساهماتها الإيجابية.

المدخل الرابع: يتمثل في إعادة التوازنات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بمعنى التمسك بمبدأ العدل والنزاهة والمساواة الفعلية بين الناس، والكف عن كل أشكال التمييز والحظوة والعصبية والقبلية أو الطائفية. ولكنها تعني أيضاً رفع وصاية الدولة عن العقيدة، باستثناء تلك التي تكون جوهر رسالتها، أي الالتزام بالمصلحة العامة والدفاع عن فكرة الصالح العام، ويعني العدل إعادة التوازن داخل النخبة الاجتماعية، بين أطرافها المثقفة والسياسية والإدارية والعسكرية.

المدخل الخامس: يتمثل في إدراك حقيقة إن السياسة أو الإصلاح السياسي هو قبل كل شيء التفاهم والتفاوض مع القوى الواقعية الموجودة والوصول معها إلى التسويات المؤقتة أو البعيدة المدى التي تساعد على تحقيق الأهداف المحددة، وهذا يعني أيضا أن تكون هذه الأهداف واضحة بدقة للجميع ومقبولة بل إن الديمقراطية لا تعني في العمق سوى افتتاح عصر المفاوضات العامة هذه داخل المجتمعات العربية، وبصدد كل المشكلات التي لم تجد الحل المناسب لها ، وليس من المعقول القبول بقاعدة المفاوضات على المستوى الدولي بصدد المشكلات الوطنية والقومية، ورفض تطبيق المبدأ نفسه على مستوى الشعب الواحد. كما ينبغي إدراك إن الديمقراطية ليست الحل السحري دائماً، إن ما تستطيع أن تقدمه هو إطار شرعي وعملي سلمي لمواجهة

المشاكل، وإيجاد أفضل الشروط لبلورة حلول عقلانية لها . إن الديمقراطية لاتحل تلقائياً مسألة الصراع العقائدي ولا التناحر بين الطوائف، ولا التفاوت في مستويات الدخل والمعيشة، وضمانة ألا تفلت الأمور من أيدي الحكم الديمقراطي كامنة في مقدرته على أن يستفيد من مناخ الديمقراطية وأطرها القانونية والسلمية، لتحقيق تسويات اجتماعية وسياسية جديدة ومعبرة عن مصالح الجماعات بالعدل، وليس في الاستسلام أو التسليم بأن ذلك سوف يحدث من تلقاء نفسه.

المبحث الثالث
المشاهد المستقبلية للإصلاح في الوطن العربي

لاشك إن المجتمع المدني يخترق الدولة عن طريق المجلس التشريعي بغض النظر عن أسلوب انتخابه، وعن طريق الرأي العام وما تعبر أو تفصح عنه من وسائل، وعن طريق المطالبة بفرض الشفافية أو العلنية، كما إن الدولة تخترق المجتمع المدني عن طريق السلطة العامة وأجهزة الدولة ومؤسساتها التنفيذية ووحداتها القرارية[٣٠].

هذا التداخل والاندماج الوظيفي لا ينفي وجود فجوة بين المجتمع المدني والدولة في الوطن العربي تصل بينهما أحياناً إلى درجة القطيعة ودخولهما في بعض وحدات هذا الفضاء إلى درجة المواجهة العنيفة لذا سوف نحاول استشراف مشاهد الإصلاح السياسي في الوطن العربي من خلال تسليط الضوء على طبيعة هذه العلاقة وتطوراتها:

المشهد الأول: عدم الاستجابة للإصلاح

يمثل هذا المشهد تعبيراً عن حالة استمرار لطبيعة العلاقة بين الدولة والمجتمع منذ نشوء الوحدات أو الدول في الوطن العربي، أو بمعنى أقرب للدقة ترجمة للوضع الراهن الذي يحفل بجو الأزمة اقتصاديا وسياسياً مع سيادة نزعة التسلط والهيمنة وتعسف الأجهزة وبيروقراطية المؤسسات على حساب بناء الدولة والمجتمع. وعلى ذلك فإن هذا المشهد يعكس بقاء النظام السياسي والسلطة الحاكمة في مواجهة مع حالة من عدم الرضا والانكماش الاجتماعي والافتقاد للقناعة والتأييد الشعبي وهذا النمط من المواجهة ينطوي على مظاهر من أزمة الشرعية ومظاهر من أزمة المشاركة، وغالباً

---

[30] عزمي بشارة، المجتمع المدني: دراسة نقدية مع إشارة للمجتمع المدني العربي، ط٢ (بيروت، م . د . و . ع ، ٢٠٠٠)، ص ١٥٠.

تكون ذريعة السلطة وربما قناعتها منطلقة من كونها الوحيدة التي تمتلك المبادرة الوطنية وشمولية الإحساس بالتحديات الأمنية وتقع على عاتقها مهمة المحافظة على الوحدة الكيانية وتعزيز مقومات الأمن الوطني وقيادة عملية التنمية والتحديث. هذا المشهد يعبر عن نفسه من خلال الكثير من المواقف والمظاهر، ويفضي إلى عدة نتائج:

١- **المواقف والمظاهر:**

أ- تردد النظم السياسية والسلطات الحاكمة عن الاستجابة لدعوات الإصلاح السياسي والاجتماعي، أما تعبيراً عن واقع خشيتها مما قد تنطوي عليه هذه الدعوات من تأثر هيمنتها أو فقدانها جوانب مهمة من أدوارها وصلاحياتها ومزاياها أو سلطتها، أو بسبب عدم استطاعتها القيام بعمليات إصلاح حقيقية وجذرية، الأمر الذي قد يدفعها أو يقودها إلى التصريح بالرغبة أو القيام بإجراءات شكلية ومسيطر عليها سلطوياً في سياق ماقد يفهم منه أنه المضي تدريجياً في طريق الإصلاح، إلى جانب المحافظة على توجه خفي لسياسة احترازية وتحسبية تنطوي على التحكم بكل العملية الاجتماعية بدءاً من المسائل الاقتصادية وانتهاءً بالتكوين ألعقيدي والثقافة، مروراً بوضع معايير التراتب الاجتماعي ونظمه[٣١]. فضلاً على ممارسة إجراءات أكثر عنفاً لضبط التيارات والقوى السياسية .

ب- تتميز الدولة كمؤسسة – في إطار هذا المشهد – بالتنظيم والمركزية وتفاقم البيروقراطية في التوجيه والإدارة، ومن سماتها هنا إنها تعمل على دولنة المجتمع سواءً في سياق عسكرته أو تثقيفه إعلامياً وتعبئته وتهيئته ذهنياً إلى مواجهة أعداء خارجيين قائمين ومحتملين لتبرير بعض مظاهر وسياسات الطوارئ والقيام بعدد من السياسات الضبطية والاحترازية، وبعبارة أخرى، لقد وسعت الدولة أغراضها ووظائفها وقواها وأجهزتها، إلى حد جعلها غاية في المركزية والشمولية، ونتج عن ذلك إن العلاقة بين الدولة والمجتمع قد شهدت نوعاً من التحييد أو الاحتواء أو التصعيد الدراماتيكي وممارسة العنف إزاء فئات المعارضة السياسية[٣٢].

ج- تباين الدول العربية من حيث طبيعة نظمها السياسية ودرجة تطورها أو تقنين سياساتها، فالبعض منها لا تزال في المراحل الأولى من تطورها السياسي

---

[31] برهان غليون، المحنة العربية: الدولة ضد الأمة ، ط٢ (بيروت، م.د.و.ع،١٩٩٤)، ص ٣٠٠ وما بعدها .

[32] ثناء فؤاد عبد الله، آليات التغيير الديمقراطي في الوطن العربي ، (بيروت، م.د.و.ع، ١٩٩٧) ، ص ٢٨٦ وما بعدها.

الحديث وأصبحت ترسم الخطى في طريق الإصلاح السياسي والاجتماعي وإطلاق العنان لمؤسسات المجتمع المدني شكلاً أو مضموناً أو كلاهما. وبعضها لازال يتردد في قبول المقومات الأساسية للحياة السياسية فلم تحفل بيئته الاجتماعية السياسية بتوافر الأحزاب والنقابات، وقد تمتد جهود بعض نظم الحكم لمنع أو تضييق فرص قيام قوى سياسية واجتماعية مستقلة عن الدولة معبرة عن مصالح فئات الشعب المختلفة.

د- في مقابل تردد النظم السياسية عن توسيع فسحة الديمقراطية والمشاركة والسماح لمؤسسات المجتمع المدني في التنامي، ولجوء أجهزة السلطة للعنف وعدم الاستجابة لدعوات الإصلاح، يمكن أن تتفشى ظاهرة اللامبالاة السياسية بمعنى بروز مستويات من الاغتراب السياسي على الصعيدين المجتمعي والفردي وفي ظل سيادة بعض المظاهر الاجتماعية مثل تخلف مستوى المعرفة والتباينات الاجتماعية وظاهرة الأمية يمكن أن ينطوي الاغتراب على نزعات سلوكية، كالاعتزال عن الحراك السياسي والاجتماعي، وحصر الاهتمام في إطار المصالح الشخصية، وهو ماقد يؤدي بالنتيجة إلى شيوع مظاهر تعبر عن عدم الانتماء الوطني، أو تتجاوز الانتماء الوطني إلى حالة من الانتماء الكوني.

هـ- إن الكثير من المؤشرات التي تؤكد بطء عملية نضج المجتمع المدني في الوطن العربي ترجع بعض أسباب ذلك إلى الوضع الاقتصادي في عموم البيئة العربية الذي لم تفض آلياته الذاتية إلى ما يكفي من البنى والمؤسسات التي تضفي على المجتمع الطابع المدني وتجعل الديمقراطية ومهمة الإصلاح اختيارا يفرض نفسه ليس فقط كهدف اجتماعي يتفاعل مع رغبات الناس وطموحاتهم بل أيضاً بقوة الأشياء ذاتها، قوة الواقع المؤسساتي المتنامي.

و- إشكالية المأسسة لازالت تمثل الطابع الذي تتسم به العملية السياسية الجارية في ظل الكثير من الأنظمة السياسية في الوطن العربي، كما إن عمليات بناء المؤسسات ولاسيما السياسية منها والتي تمثل أحد مقومات الإصلاح السياسي وتوسيع فسحة الديمقراطية تصادف عدة عقبات، منها على سبيل المثال لا الحصر تردد طيف واسع من القيادات السياسية في الإقدام على بناء المؤسسات، لأنها ترى إن بعض هذه المؤسسات يمكن أن تصبح قيداً على حركتها وتحد من قدرتها على المناورة أو دورها في صنع القرارات السياسية. وكذلك التعذر في إن بناء المؤسسات يتطلب كثيراً من التخطيط والجهد

والوقت، كي تكتسب الشرعية السياسية وتتضح وظائفها وأدوارها وعلاقاتها بالمؤسسات الأخرى[٣٣].

ز- إن القوانين في كثير من الدول العربية وفي كثير من الحالات تأتي تعبيراً عن إرادة الحكام، فضلاً على كونهم يتمتعون بسلطات فعلية أكبر من تلك التي تتيحها لهم الأطر القانونية التي يعملون في ظلها[٣٤]. وعلى ذلك فإن بعض هذه الدول وعلى اختلاف أنظمتها الدستورية وتوجهاتها السياسية تتضمن جملة من السمات الرافضة في إطار نمط آلياتها، السماح بتطوير أدوار المجتمع المدني، وغالباً تكون عملية شغل المواقع القيادية معتمدة على قاعدة التزكية التي تتيح فرصاً واسعة لأهل الولاء على حساب أهل الكفاءة، مما يسهم في تهميش أو مغادرة الكفاءات وفي مرحلة ما يكون حتى المستشارين وخبراء السلطة ممن يفتقرون إلى الكفاءة ويغلّبون عليها مجاراة الحاكم ومجاملة توجهاته وتسويغ قراراته. وفضلاً على ذلك فأن المجالس النيابية والانتخابات (إن وجدت) تحاط فعاليتها بهالة إعلامية واسعة وفي الغالب توظف في إطار تزكية القرارات المتخذة من السلطة الحاكمة، وبدلاً من أن تحاسب الحكومات على قصورها وإخفاقاتها تقوم بتجميل سياساتها ومواقفها وتلتمس لها السبل لتخفيف الضغوط عليها.

ح- ضعف وهشاشة مؤسسة الدولة على الرغم من احتكارها سلطة التشريع والتنفيذ وإصدار القرارات واتخاذ الإجراءات الأمنية ووجود أجهزة أمنية متطورة في خدمتها، ذلك لأنها مازالت دون مستوى المنافسة الدولية في مجال الإنجاز الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، بمعنى إنها لم تصبح فاعلاً دولياً ذا تأثير حقيقي، ولم ترتق في نظريتها الاجتماعية إلى المستوى الذي يقلص مساحة عدم الرضا عليها من جانب المحكومين.

٢- **النتائج:**

أ- المعارضة الداخلية الوطنية ومؤسسات المجتمع المدني يمكن أن تكون المرآة العاكسة لسياسات وإجراءات وفعاليات الأنظمة السياسية في الوطن العربي، ونتيجة للقضاء عليها أو إقصائها أو تهميشها، فقدت هذه الأنظمة فرصة اكتشاف نقاط ضعفها الداخلية وتصحيحها، وتبقى هناك فجوة بين النظام وبين

---

33 احمد شكر الصبيحي ، مستقبل المجتمع المدني في الوطن العربي، (بيروت، م.د.و.ع، ٢٠٠٠)، ص ١٧٢-١٧٣.

34 ثامر كامل محمد، التحولات العالمية ومستقبل الدولة في الوطن العربي، (عمان، مركز المستقبل للدراسات الاستراتيجية، ٢٠٠٠) ، ص ١٤٦.

الناس وتختصر العلاقة إلى أن تكون علاقة وظيفية في أحسن الأحوال بمعنى إنها تفتقد للتفاعل.

ب- إن أي عملية احتكار لمصادر القوة والسلطة في المجتمع سوءا عبر مصادرة أدوار المعارضة السياسية الوطنية، أو إخضاع المؤسسات الاجتماعية وتوظيفها بإرادتها أو بدونها لخدمة النظام السياسي المعني، وتهميش استقلالية هذه المؤسسات، يمكن أن تفضي إلى تقويض الأسس المادية لمؤسسات المجتمع المدني الحديث (كالنقابات والإتحادان والجمعيات والأحزاب والتنظيمات السياسية ومؤسسات النفع العام ... الخ) . مما يمكن أن يمهد لانتعاش أدوار التكوينات الاجتماعية التقليدية (كالقبيلة والعشيرة والطائفة فضلاً عن النزعات الإقليمية)، وهذه الشبكة من التكوينات في الوقت الذي تساهم في تضييق فرص بناء مؤسسات مجتمع مدني حديثة من ناحية، فهي لا تتوافق مع ما ينبغي إحداثه من إصلاح سياسي في البيئة الاجتماعية من ناحية أخرى.

ج- إن انغلاق النظم السياسية ومصادرتها لدور المؤسسات الاجتماعية أدى إلى شيوع حالة من عدم الرضا على سياساتها، وجعلها عرضة لازمات محتملة، ذلك لأن الدولة لم تتطور ككيان له استقلالية عن شخصية الحاكم، أو عن النظام السياسي الذي يمارس سلطة الدولة، بل أصبحت أداة في يد الحاكم لأحكام قبضته على المجتمع.

د- في الغالب تقود حالة عدم الاستجابة للإصلاح إلى انعدام الثقة بين الحكام والمحكومين، وهذه تؤدي إلى تنامي ظاهرة اللجوء للعنف أو العنف المتبادل، حتى أصبحت أو كادت أعمال العنف السياسي المتبادل الآلية الرئيسة لإدارة العلاقة بين الحاكم والمحكوم، أي بين الدولة والمجتمع، وتكمن الإشكالية المركبة هنا في إنه لايمكن الخروج من هذا الوضع بالقضاء على المجتمع المدني، لأن الشرعية تتدرج فيه، ولا في إزالة الدولة أو القضاء عليها، خشية أنه بانهيار الدولة قد يفضي الأمر إلى إعادة تنشيط التوترات والصراعات والانقسامات الداخلية[٣٥].

هـ- في أحيان غير قليلة يصاحب اشتداد عجز الدولة في الوطن العربي عن الشروع بالإصلاح والوفاء بوظائفها الأساسية والتزاماتها أو عن تحقيق المطالب الجماهيرية، تعاظم ممارساتها التسلطية في الداخل، وفي ظل هذا الوضع يصبح المواطن الذي يمثل لبنة في ركن أساسي من أركان الدولة

[35] برهان غليون، نقد السياسة: الدين والدولة، ط٢ (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣) ، ص ١٤١-١٤٢.

(الشعب)، فاقداً فعاليته، وقد يتحول إلى ذات بلا دور، ويتجرد أو يُجرّد من حقوقه الإنسانية أو المدنية ويعدم القوة للتأثير في القرارات ذات العلاقة بمجتمعه[٣٦].

المشهد الثاني: الاستجابة النسبية للإصلاح

يقوم هذا المشهد على إيجاد صيغة توفيقية بين السلطة السياسية وقوى المعارضة، أي قبول الدولة أو السلطة السياسية لفكرة الإصلاح ولعملية تدريجية للإصلاح السياسي والاجتماعي يغلب عليها الطابع السلمي أحياناً، والضغوط والمواجهة والتحدي والتصادم، أحياناً أخرى، وذلك في سياق إدراك كل من السلطة والمعارضة عدم إمكانية نفي أحدهما للآخر أو إقصائه. وعلى ذلك وجب العمل وفق آليات توفيقية ترجح منهج الحوار المبني على درجة من التفاهم وتقسيم المسؤوليات. هذا المشهد يحفل كسابقه بعدد من المواقف والمظاهر التي تفضي إلى عدة نتائج:

١- **المواقف والمظاهر:**

أ- تعالي الأصوات والضغوط المطالبة الأنظمة السياسية القائمة في الوطن العربي لإصلاح الهياكل والمؤسسات، وتوسيع فسحة الديمقراطية وهذه الصيحات والضغوط ليست داخلية فقط وإنما بعضها خارجية، ولكي لا تبدو الأنظمة السياسية مستجيبة للضغوط الخارجية، تحاول الاستجابة لبعض الضغوط والمطالب الداخلية وضمن هذا السياق أتجه بعضها نحو تبني أشكال من التعددية السياسية والتعددية الحزبية ، لتقليل شدة الضاغط الخارجي، واحتواء الضاغط الداخلي والخروج من مأزق الشرعية ومحاولة حل إشكالية المشاركة السياسية، والأمر بمجمله هنا ينطلق من إدراك النخبات الحاكمة لحتمية التغيير على وفق مقتضيات العصر، وإن مصلحتها وإمكانية المحافظة على ذاتها تقتضي وجود الأطر السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تمثل مجالاً ملائماً لتدعيم المجتمع المدني وتنامي مؤسساته.

ب- الاستجابة لإدخال بعض الإصلاحات التي من شأنها إحياء المجتمع المدني وتنشيطه، لا تعني بأي حال إنها بدافع الخشية أو الخوف من الإطاحة، وإنما هي في منظور بعض النظم السياسية في الوطن العربي تعبير عن استجابة حضارية وعن الحاجة لإقامة نوع من التوازن بين الدولة والمجتمع بحيث تتحدد واجبات كل طرف وحقوقه على نحو أفضل وأوضح.

---

[36] **سعد الدين إبراهيم، الدولة القطرية وسيناريوهات المستقبل العربي، في سعد الدين إبراهيم وآخرون، الدولة القطرية وإمكانيات قيام دولة الوحدة العربية ، تحرير وتقديم فهد الفانك (عمان: منتدى الفكر العربي، ١٩٨٩) ، ص ٣٢-٣٣.**

ج- على الرغم من إن معظم الأنظمة والمجتمعات في الوطن العربي تشهد تطوراً في الرؤى والمدركات، إلا أن هذا التطور لم يصل بعد إلى تحديد آلياته المستقرة، لذا لا تزال الدولة تحتفظ بدور مركزي أساسي يؤمن لها مجالاً للهيمنة في بيئتها الجغرافية، ولكن مع ذلك قد أسهم هذا التطور في تفعيل المهارات السياسية والفنية والإدارية، بمعنى إن تطوير المجتمع المدني وتوسيع مؤسساته يمكن أن يسهما في توفير فرص إضافية لبروز العناصر القيادية واكتشافها وتوظيف قدراتها في إطار مؤسسة الدولة.

د- لعل من أهم الاتجاهات المتنامية في الوطن العربي، في إطار فرضيات أو مظاهر هذا المشهد ، ذلك الأتساع النسبي في قاعدة المشاركة السياسية، إلى جانب الاتجاه المتزايد نحو الديمقراطية القائمة على التعددية الحزبية، هذه العملية مثلما هي واضحة في بعض الأنظمة السياسية فهي شكلية أو أقل وضوحاً في أنظمة سياسية أخرى، أو معدومة في بعضها، ومن الأهمية الإشارة هنا إلى إن التطور الديمقراطي في الوطن العربي عموماً يفتقد التراكمية وأحياناً القدرة على تخطي الطابع السلطوي لأنظمة الحكم، ولاسيما ضمن حدود المدى الزمني لهذا التصور، الأمر الذي يفضي غالباً إلى الاحتمالين الآتيين:

(أولاً): إن الانتخابات تكون على الأرجح محكومة بإجراءات وآليات تحول دون فوز المعارضة.

(ثانياً): العمل على أن يبقى إطار المشاركة السياسية مرسوماً ضمن الحدود التي ترسمها الأنظمة السياسية. وهو ما يرجح الاستمرار بتجربة تدريجية وتطويرية تهدف تحسين طرق الحكم وأساليب الإدارة، وترشيد عملية صنع القرارات والسياسات وإقامة التوازن بين الدولة والمجتمع[37].

هـ- زيادة أعداد المتعلمين والتكنوقراط الذين يرفدون الدولة والمجتمع بإمكانيات وطاقات متجددة. وقد تنطوي هذه الفئات على شرائح لا تقتنع بأداء أدوار وظيفية تنفيذية فقط ، لذا فإن أي تراجع في قدرة الدولة على استيعابهم في مرافقها العامة أولاً، ومن ثم في وحداتها القرارية بالنتيجة، سوف يتعارض مع تطلعات نسبة غير قليلة منهم إلى المشاركة وعملية صنع القرار، وتخسر الدولة خبرتهم وأدوارهم وتحرم عملية التنمية السياسية والتحديث من طاقات

[37] حسنين توفيق إبراهيم، بناء المجتمع المدني: المؤشرات الكمية والكيفية ، ورقة قدمت إلى ندوة المجتمع المدني في الوطن العربي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧١٢-٧١٣.

كان باستطاعتها توظيفها في إطار الإصلاح والعمل الوطني. هذا الوضع مع شدة الضغوط المطالبة بالإصلاح للبنى والسياسات والمؤسسات يحفز استجابة الأنظمة السياسية في الوطن العربي أو بعضها إلى النزوع والاتجاه نحو تعددية مقيدة لتخفيف الضغط عن النظام السياسي وإتاحة الفرصة للأصوات المعارضة لأن تعبّر عن نفسها في حدود تسمح بالمشاركة ولا تتضمن إمكانية تداول السلطة.

و- يفترض هذا المشهد بروز فاعلين اجتماعيين جدد وأتساع انتشار منظمات المجتمع المدني وتعدد أنماطها وأشكالها التنظيمية، وتوافر الإدراك بأن التغييرات الحاصلة ليست كمية فحسب بل نوعية بمعنى امتدادها إلى المفاهيم والفلسفة والرؤية التي تحدد توجهات هذه المنظمات وتؤثر فيها، ومن ذلك يمكن ملاحظة إن هذه المنظمات بالإضافة إلى اعتمادها ومناداتها بالمشاركة السياسية فقد أصبحت على درجة أكبر من المأسسة، وتنطوي على قدرة أكبر على استقطاب الطاقات وتعبئتها وتوظيفها في إطار عملية الإصلاح السياسي والاجتماعي، بالإضافة إلى قدر أكبر من التنسيق والتعاون في مابينها. وقد أثرت هذه المظاهر والفرضيات لصالح ظهور ديناميات جديدة ليست بالضرورة حزبية، بل يمكن عدها ديناميات ثقافية أو حقوقية أو عقائدية، وهي تسهم في الحراك الاجتماعي والعملية السياسية، وتتفاعل مع مطالب الإصلاح من خلال دورها في بناء المجتمع المدني.

٢- **النتائج:**

أ- المواقف والمظاهر أو الفرضيات التي انطوى عليها هذا المشهد أتاحت كما أسلفنا قدراً من الإصلاحات المحدودة والمقننة، وأفضت إلى نتيجة مفادها إن الدولة قد أصبح موقفها إزاء المجتمع المدني يتسم إما بالتردد أو بعدم الثقة، وإنها في الوقت الذي تسمح للتنظيمات المدنية وإحياء المؤسسات، تتمادى أحياناً في وضع القيود القانونية والإدارية التي تحد من تجاوز تأثير هذه التنظيمات المديات والحدود المسموح بها بموجب ميكانزمات المشاركة السياسية المعتمدة.

ب- غالباً تتعدد أنماط القيود التي تفرضها الدولة على تنظيمات المجتمع المدني، وتتراوح بين مراقبتها أو تحديد مجال حريتها، هذا فضلاً على القيود التشريعية والسياسية والتهديد بالحل، لذا فإن التحليل الذي يترتب على هذه النتيجة في ظل هذا المشهد يتمثل في توصيف بسيط هو إن مؤسسات المجتمع المدني الحديثة المتمثلة في الجمعيات والتنظيمات والأحزاب والمنتديات في حالة وجودها وبروز فاعليتها، فأن ذلك لا يمثل إلا مجرد منحة من قبل سلطة

الدولة بوصفها المؤسسة العليا، التي لابد أن يكون لها قدر من الإشراف أو الإطلاع إن لم نقل الهيمنة على بقية التنظيمات والمؤسسات[٣٨].

ج- إن عملية المشاركة السياسية المقيدة التي يمكن القول مجازاً بأن الدولة في الوطن العربي قد سمحت بها لقوى المجتمع المدني، حاولت هذه القوى الاستفادة منها قدر الإمكان للتعبير عن مصالحها بوسائل مؤسسية يمكن أن تكون على مساحة من الفاعلية لاسيما في المطالبة بحقوق المجتمع الأهلي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية من ناحية، وكبح جماح قوى التطرف وبإنسجامية مع الدولة – في هذه النقطة بالذات – من ناحية أخرى، وعلى ذلك فإن كلاً من الدولة ومنظمات المجتمع المدني يمكن أن تجمعهما مصلحة مشتركة في تحقيق الانسجام الاجتماعي والاستقرار الداخلي.

د- إن عملية التغيير الاجتماعي والإصلاح السياسي في ظل هذا المشهد تفضي بلا شك إلى بروز قوى اقتصادية واجتماعية جديدة، وتطرح مطالب جديدة يمكن أن تكون سياسية واجتماعية واقتصادية، وهذه بدورها تتطلب أطراً مؤسسية فاعلة لها القدرة على استيعاب هذه المطالب وتبويبها وإيصالها إلى صانع القرار أو السلطة السياسية، والنتيجة المهمة المترتبة على ذلك تتمثل في إن هذه الأطر المؤسسية عند تمتعها بدرجة من الفاعلية والقدرة على التكيف تؤدي دوراً مهماً لصالح النظام السياسي لاسيما وإنها تقدم له المساعدة ليتمكن من إدارة عملية الإصلاح والتغيير بمرونة ، وبعبارة أوضح توفر له فرصة كي يعبر عن استجابته للمطالب الاجتماعية المطروحة أو بعضها من ناحية، واحتواء أو تقليص إمكانيات بعض القوى واحتمالات اشتراكها في أعمال العنف المضاد للنظام أو للدولة بوجه عام.

المشهد الثالث: الاستجابة المرنة للإصلاح

يفترض هذا المشهد تطور العلاقة بين الدولة ومنظمات المجتمع المدني إلى درجة متقدمة جداً من قبول أحدهما للآخر والانفتاح عليه والتوازن معه والاستجابة بمرونة عالية من قبل الدولة لتحديات التحولات العالمية ولمطالب المجتمع، وقبول الأخير بذات المرونة لفروض الدولة. ويعبر هذا المشهد عن درجة عالية من التفاؤل تبدو غير واقعية في المرحلة الحالية في الوطن العربي. ولكن مادمنا في دراستنا هنا نتحدث حول المستقبل، إذاً لابأس من استعراض مواقف ومظاهر أو فرضيات هذا

---

[38] ثناء فؤاد عبد الله ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٨٣-٢٨٤.

المشهد والنتائج التي يمكن أن تفضي إليها طبيعة العلاقة بين الدولة والمجتمع المدني في ضوء ما يمكن تحليله واستنباطه من مواقف ومظاهر وفرضيات.

١- **المواقف والمظاهر:**

أ- يفترض هذا المشهد بلوغ المجتمع المدني لغايته وتحقيقه لأهدافه في ارتفاع سقف مطالبه وتحقيق الاستجابة الكلية لها في ظل أتساع مساحة المشاركة واتسام العملية السياسية بالديمقراطية الحقيقية، وإقرار السلطة السياسية لمبدأ تداول السلطة وتقنينه في دساتير معترف بها ومستفتى عليها من الشعب. وتكون الدولة محكومة بمبدأ سيادة القانون وضمان الحرية والعدل والمساواة، ويعني ذلك أن تكون القوانين متبلورة وواضحة، وأن يتولى إدارة هذه الدولة عناصر أكفاء لديهم المعرفة والخبرة.

ب- تمثل الدولة هنا الإطار السياسي والقانوني للمجتمع المدني، وعلى ذلك تصبح إمكانية الفصل بين المجتمع السياسي والمجتمع المدني متعذرة، باعتبار إن منظمات المجتمع المدني يكون لها دور أساسي في استقرار وتشكيل الإطار السياسي. بمعنى أن استقرار أنماط معينة من المؤسسات والعلاقات السياسية يتوقف على مدى استنادها إلى بنى اجتماعية وتكوينات ثقافية قائمة في المجتمع.

ج- في ظل هذا المشهد تعد الدولة مؤسسة محايدة إلى درجة كبيرة إزاء مختلف قوى المجتمع المدني، ولا تسخر من قبل فئة أو حزب من أجل ضمان سيطرته وهيمنته على المجتمع، وهي لذلك، وبقدر ما تفسح المجال وتوفر القنوات لقوى وفئات المجتمع المدني لتوصيل مطالبها وللتعبير عن تصوراتها، بقدر ما تكون تعبيراً أميناً عن هذه القوى والفئات وهو ما يسهم في تعميق وتجذر شرعيتها في المجتمع[٣٩].

د- الحالة الطبيعية هي أن تحتكر سلطة الدولة حق الاستخدام الشرعي للقوة، وفي إطار القانون الذي يمثل الحد الفاصل بين ممارسة الدولة لوظائفها واختصاصاتها التقليدية من ناحية ، وبين احتمالية تعسفها في ممارسة هذه الوظائف وتلك الاختصاصات من ناحية ثانية[٤٠].

هـ- يفترض هذا المشهد أن تنشط المجالس النيابية ومجالس الشورى ووسائل الأعلام وجماعات الضغط والمصالح المنظمة كي تؤثر قوى ومؤسسات المجتمع المدني في السياسات والقرارات التي تتخذها الدولة، ناهيك عن إتاحة

---

[39] حسنين توفيق إبراهيم ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٠٠.

[40] المصدر نفسه، ص٧٠٠.

الفرص للتأثير غير الرسمي من خلال أعمال الاحتجاج الجماعي من مظاهرات وإضرابات وإعتصامات، هادفة وسلمية.

و- يفترض هذا المشهد إن قوى المجتمع المدني في الوطن العربي أو بعض وحداته أو دوله قد أصبحت على درجة من النضج والتبلور ، وقد تطورت من حيث الحجم والدور وبناء تقاليد العمل المؤسسي، هذا النضج والتبلور والتطور يلتقي مع الرغبة في الإصلاح، ويفتح أمام المجتمع آفاقاً أخرى متجددة من العمل السياسي.

٢- **النتائج:**

أ- لعل أبرز ما يمكن أن تفضي إليه مظاهر هذا المشهد وفرضياته هو أن تصبح العلاقة بين الدولة والمجتمع المدني علاقة سوية، وتنطوي على قدر كبير من المشاركة السياسية للمواطنين وتنظيماتهم (غير الحكومية) في اتخاذ القرارات، بمعنى إن أتساع نطاق المشاركة يعد مؤشراً تفاعلياً لصحة العلاقة بين المجتمع والدولة ، وبقدر ما تكون الدولة تعبيراً أميناً عن مجتمعها، بقدر ما تزداد المشاركة السلمية المنتظمة لأفراد المجتمع في الشؤون العامة، سواء بصفتهم الفردية أم الجماعية من خلال مؤسساتهم التطوعية[٤١].

ب- إن التوازن والاستجابة المرنة في العلاقة بين الدولة والمجتمع، يقتضي وبشكل أساسي تنمية قدرات الجماهير على إدراك مشكلاتهم بوضوح، وقدراتهم على تعبئة كل الإمكانيات المتاحة لمواجهة هذه المشكلات بشكل علمي وواقعي. أو تنظيم الحياة السياسية ومتابعة أداء الوظائف السياسية في إطار الدولة وتجذير وتطوير النظم والممارسة السياسية لتصبح أكثر ديمقراطية في التعامل وأكثر احتراما لكرامة الإنسان ومطالبه.

ج- يمكن أن تفضي مظاهر وفرضيات هذا المشهد إلى إضفاء طابع التكاملية الوظيفية بين المجتمع السياسي (الدولة ومؤسساتها) والمجتمع المدني بأحزابه ومنظماته ومؤسساته، إذ تتولى هذه الأخيرة التعبير عن مصالح الناس وبلورتها وتقديمها إلى النظام السياسي الذي يتولى عملية تحويلها وإنتاجها بصيغة قرارات وسياسات عامة[٤٢].

د- إن مستوى الاستقرار الاجتماعي والسياسي الذي يترتب على التوازن والاستجابة المرنة للعلاقة بين الدولة والمجتمع، يفضي إلى تحقيق نقلات إيجابية في مجال التنشئة الاجتماعية ، والتنمية الاقتصادية والسياسية.

هـ- في ظل هذا المشهد ، يصعب أحياناً تمييز الحد الفاصل بين المجتمع السياسي والمجتمع المدني من دون فهم طبيعة السلطة والسياسة، ذلك إن حدود المجتمع

---

41 ينظر: ثامر كامل محمد ، المصدر السابق ، ص ١٥١ .

42 احمد شكر حمود، المصدر السابق ، ص ١٨٦.

المدني تختلف مع تغير النظم الاجتماعية، وعليه فإن ماكان يعد في مرحلة ما من شؤون المجتمع المدني يمكن أن يصبح من شؤون المجتمع السياسي، والعكس صحيح. وعلى ذلك لم تعد العلاقة بين المجتمع والدولة مجرد علاقة نفي وإثبات، وإنما هي علاقة يتحول فيها كل من طرفيها إلى مركب مكون للطرف الآخر. إذ لم يعد الخيار بين دولة ديمقراطية تنفي الحاجة إلى مجتمع مدني، لأنها تمثله، أو بين مجتمع ديمقراطي ينفي الحاجة إلى الدولة لأنه قادر على إدارة شؤونه، فالمجتمع المدني شرط وجود الدولة ، مثلما أن الدولة هي شرط وجوده، بمعنى لا ينشأ المجتمع المدني على حساب ضعف الدولة[43].

و- تفضي مظاهر هذا المشهد وفرضياته إلى نتيجة مفادها عدم انفصال الدولة عن المجتمع المدني، فالدولة تصبح دولة المجتمع ليس بمعنى الدولة التي تخدم المجتمع، وإنما الدولة التي تستمد سيادتها وآليات تنظيم السلطة فيها من تنظيم المجتمع ذاته.

ز- التصالح والتكامل الوظيفي الذي ينتج في ظل هذا المشهد بين الدولة والمجتمع إنما يعني اعتبار الدولة خياراً مؤسسياً لا يجوز تجاوزه والقفز فوقه، ومن ثم ينبغي العمل على أعمار الدولة والمساهمة في تطويرها أو تجاوز نواقصها. إذ أن مايلي مرحلة الدولة ليس المجتمع الأكثر تطوراً، إنما مرحلة ما قبل الدولة[44].

وفي معرض تقييم المشاهد الثلاثة آنفة الذكر من حيث المواقف والمظاهر أو (الفرضيات) الخاصة بكل مشهد، والنتائج التي أفضت إليها، فيمكن القول إن الدول العربية لا تتشابه نظمها السياسية من حيث طبيعة علاقتها بالمجتمع المدني في بيئاتها الاجتماعية وكذلك من حيث درجة استجابتها للإصلاح السياسي والتحول الديمقراطي، ولكن مع ذلك يمكن ملاحظة إن مظاهر المشهد الأول وفرضياته كانت هي السائدة في عموم الوطن العربي والى وقت قريب أخذت بعض الدول العربية تبدو أكثر اقترابا من المشهد الثاني، إذ إن مظاهره قد أخذت في التبلور، واستجابة لدواع أخلاقية وحضارية ولضغوط داخلية وخارجية ولتطور أنماط التفكير تبعاً لتأثيرات ثورة المعلومات وعالمية الاتصالات وضغوط العولمة والرغبة بالتفاعل والاستجابة لدعوات الإصلاح السياسي والاجتماعي أصبحت بعض الأنظمة السياسية في الوطن العربي أو كادت تتقبل مظاهر المشهد الثاني وفرضياته ، والبعض الآخر لازالت رؤيته تنطوي على التداخل بين مظاهر وفرضيات كلا المشهدين الأول والثاني معاً.

أما بالنسبة للمشهد الثالث فهو مفعم بالتفاؤل، ولازال تحقيقه – ولو جزئياً – مرتبطاً بدرجة استجابة النظم السياسية في الوطن العربي للإصلاح السياسي والاجتماعي، والسير الحثيث في طريق الإصلاح، ولكن مع ذلك ، ومع إن الأمر في

43 المصدر نفسه، ص١٨٧.

44 عبد الله العروي، مفهوم الدولة ، (الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٨١)، ص ١٤٦ وما بعدها.

ذلك لا يقتصر على الوطن العربي ونظمه السياسية، بل قد يشمل الكثير من النظم السياسية في البيئة الدولية والفضاء العالمي، فإن بعض الأنظمة السياسية في الوطن العربي ونخباتها الحاكمة أصبحت تتظاهر سياسياً وإعلامياً بأنها تسعى للعمل على تحققه، وعلى الرغم من صعوبة تعميم مظاهره على عموم هذا الفضاء بسبب التباينات في درجة الاستجابة للإصلاح والتحول الديمقراطي، فإن بعض تنظيمات المجتمع المدني قد ترفع من سقف مطالبها، وتضغط على السلطات الحاكمة لكي تحقق مزايا تقربها مما ورد في المظاهر والفرضيات التي تمت الإشارة أليها في هذا المشهد.

الخاتمة

لقد أتضح بأن المجتمع المدني وتدعيمه يتم طبقاً لعملية إصلاحية تدريجية يغلب عليها الطابع السلمي بمعنى أن إحياء المجتمع المدني وتنشيط أدواره قد تتم دون أن يعني ذلك الإطاحة بالنظم السياسية القائمة، وإنما من خلال العديد من الإصلاحات التي تستهدف تحسين طرق الحكم وأساليب الإدارة وترشيد عملية صنع القرارات والسياسات وإقامة التوازن بين الدولة والمجتمع بحيث تتحدد واجبات الدولة أو النظام السياسي فيها وحقوقه، وواجبات المجتمع وحقوقه على نحو أفضل، وهذا التصور هو الأقرب لما ينبغي أن يكون عليه الواقع في الوطن العربي وعلى الأقل في الأجلين القصير والمتوسط، خاصة وإن بعض النخب السياسية العربية الحاكمة بدأت تعي حقيقة الإشكاليات التي تواجه نظمها السياسية ومجتمعاتها على حد سواء، فالدولة والمجتمع المدني ليسا أمرين مستقلين أحدهما عن الآخر،ولكنهما مترابطان كلياً، بمعنى أن لكل دولة ولكل نظام سياسي المجتمع المدني الذي يتماشى معه، ومن غير الممكن فهم مصير المجتمع المدني وتأثير العوامل الداخلية والخارجية فيه دون فهم تطور الدولة والنظام السياسي وعلاقته بالمجتمع

وتمثل عملية ربط مفهوم المجتمع المدني وبناء مؤسساته الحديثة بالديمقراطية والإصلاح محاولة لإعطاء نوع من المشروعية لمشروع الحداثة الذي تمثله الدولة. ذلك أن التنظيمات المؤسسية المدنية هي البنية الوسيطة التي تشغل المجال الحيوي من الحراك الاجتماعي، وهي التنظيمات التي لا يخلو منها أي مجتمع بشري منظم، وإن ضمورها وتفككها بسبب تعسف السلطة، أو بسبب تنامي المؤسسات التقليدية مجدداً، يقود إلى سيادة منطق الفوضى وعدم الاستقرار. لذا فإن التنمية السياسية أو التحديث تمثل جانباً من جوانب عملية الإصلاح والتغيير الاجتماعي المتعددة الأبعاد، إذ لايمكن أن تتحقق دون حدوث تغيرات في عناصر الثقافة كافة. وتتضمن الاتجاه نحو مزيد من المساواة بين الأفراد في علاقاتهم بالنظام السياسي، وتزايد قدرة النظام السياسي في علاقته بالبيئة المحيطة، وتعزيز تمايز وتخصص المؤسسات والبنى داخل النظام السياسي.

ولعل أهم نواحي الإصلاح والتحديث السياسي تتمثل في المشاركة السياسية والتعددية التي تقوم أساساً على اعتبار إن الحرية قيمة أولية، وربما القيمة الأولية الرئيسية وهذه الحرية ليست مطلقة بل مقيدة ومنسجمة تماماً مع المساواة أمام القانون، والتعددية وامتداداتها الديمقراطية هي في الواقع توفير ساحة سياسية أو هامش من التسامح يضيق ويتسع للآراء

والأفكار المطروحة كي تعبر عن نفسها سلمياً، واستيعابا للتوترات الجزئية والعامة (منعاً للعنف) وضماناً للاستقرار السياسي بما يعزز الوحدة الوطنية ويطلق فرص التنمية الوطنية ويحد من التحديات التي تستهدف الوطن العربي سياسياً واقتصادياً واجتماعيا وثقافياً، وفي هذا الفهم ليست التعددية أو الديمقراطية قيمة فكرية أو فلسفية فحسب، وإنما مادة صالحة للتقنين في الدساتير والقوانين وجميع الشؤون المتعلقة بحياة الناس. وضمن هذا الإطار تقتضي التعددية رؤية وطنية تقوم على ضرورة اليقين بوجود تنوع في القيم والممارسات الإيديولوجية والمؤسسية، والاجتماعية، ومن ثم تعطي اهتماما مميزاً للأحزاب وجماعات المصالح والعملية الانتخابية، وتركز على أهمية القنوات المتعددة التي يمكن للمواطنين من خلالها ممارسة حقوقهم في التعبير عن مصالحهم وآرائهم ومراقبة ممثليهم والتأثير في تطور السياسات العامة.

لذا فإن جوهر عملية الإصلاح والتحول الديمقراطي في الوطن العربي يقتضي سياسة وبرنامجاً وطنياً قوامه الاعتماد على مبدأ انتخاب عناصر السلطة المختلفة التشريعية والتنفيذية ، وتعميم مبدأ السلطة القانونية، وتعزيز مبدأ احترام السلطة القضائية التي لا تخضع إلا للقانون. وفي سياق كل ذلك الاعتراف بمجموعة الحريات العامة وأساساً حرية تكوين تنظيمات نقابية وسياسية وحرية الصحافة والنشر. وتمثل الديمقراطية هنا ذلك الترتيب المؤسسي الذي يتم من خلاله وصول الأفراد أو الجماعات إلى السلطة عن طريق الانتخابات ، وتمثل ذلك الإجراء لاتخاذ القرار الذي يتميز بأنه (الحل الوسط المنصف) بين المطالب المتنافسة للحصول على السلطة، وإفساح المجال أمام المواطنين للمشاركة في صناعة القرار والتأثير في اتخاذه. وإيجاد طريقة لتوزيع السلطة السياسية وشرعنة استخدامها ، طريقة تعتمد الحوار والإقناع والمحاججة ، في جو يسوده التفاعل والتكامل والمصلحة الوطنية.

وبقدر ما تتطلب عملية الإصلاح والتحول الديمقراطي تغيراً شاملاً في السياسات الاجتماعية والاقتصادية والإستراتيجيات التقليدية، وتغيراً في بعض أساليب الحكم لمعظم النظم السياسية العربية، تتطلب على الجانب الآخر تغيراً بالقدر ذاته في أوساط المعارضة العلمانية والدينية معاً مصحوباً بمراجعة نقدية تهيئ لمواقف نظرية وعملية تتميز بشكل أفضل بروح المسؤولية والتضحية تجاه المجتمع والدولة معاً، بمعنى أن لاتبقى مسألة التعددية محصورة في الصراع العقيم بين نخب معارضة لا تفكر إلا بسحب البساط من تحت أقدام الحكومة لاحتلال مواقعها، وحكومة ليس همها إلا دحر قوى المعارضة وتضييق الخناق عليها وتصفية مواقعها في المجتمع، مما قد يفضي إلى حروب استنزاف حقيقية للمجتمع والدولة، وتشويه صورة الممارسة السياسية وحصرها في حدود كونها صراعاً على السلطة. فالتعددية السياسية هي غاية ووسيلة في حد ذاتها لأنها تجسيد للحريات الأساسية التي هي حق للفرد وللجماعة، وهي وسيلة لتحقيق غايات أخرى في مقدمتها الوحدة الوطنية والتنمية الوطنية الشاملة والعدالة الاجتماعية والحد من تداعيات التحولات العالمية لمرحلة ما بعد الحرب الباردة وإرساء دعائم المجتمع المدني والإصلاح السياسي في الوطن العربي.

قضية لواء الاسكندرونة ١٩٣٦-١٩٣٩
"دراسة وثائقية في العلاقات السورية-الفرنسية-التركية"

الاستاذ المساعد الدكتور

عبد الامير محسن جبار الاسدي(*)

المقدمـــــــــة

لما كانت قضية لواء الاسكندرونة من نتائج تقسيم الدولة العثمانية عقب الحرب العالمية الاولى، والتي لم تحسم في مؤتمر لوزان ١٩٢٣، فان اللواء بقـــي مـــستمرا بارتباطه بأمه سوريا تحت نظامه الاداري الخاص حسب اتفاقية انقـــرة عـــام ١٩٢١، التي فسحت لتركيا مجالا للتدخل في شؤون اللواء ولم يرتفع صوت ضد هذا الارتباط الى ان ظهر اخيرا في حقبة المعاهدة السورية–الفرنسية عام ١٩٣٦، لان سوء الوضع الدولي في الثلاثينات وضعف مركز عصبة الامم دفع بتركيا الى الاصرار على وجهة نظرها في المطالبة بضم اللواء لها، فكيف كانت النتيجة؟ وهل التزمت فرنـــسا ببنـــود معاهدتها مع سوريا؟ وماهو طبيعة التفاهم الفرنسي–التركي في عصبة الامـــم تجـــاه قضية الاسكندرونة؟ وما هو موقف الحكم الوطني السوري وسكان اللواء انفسهم تجاه تطور قضية اللواء؟ يحاول البحث الاجابة عن هذه الاسئلة وثائقياً[1].

(*) استاذ جامعي - باحث اكاديمي

[1] حاولت الاعتماد في البحث على ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية في مكتبة الاسد في دمشق، اذ توجد اجزاء كاملة مخصصة لقضية الاسكندرونة، وتحت العنوان :

Archiff de Ministere des Affaires Etrangeres (Syrie-Leban) 1918-1940.

وسنرمز لها (A.A.E.,S.-L.).

ولاابالغ اذا قلت من خلال اطلاعي على هذه الوثائق ان تاريخ سوريا المعاصر موجودا في باريس، مثلما توجد الكثير من اثارنا المسروقة في متاحفها.

١.الجذور التاريخية لقضية لواء الاسكندرونة

اكدت جميع الوثائق التاريخية والشواهد الادبية[2] عروبة ارض الاسكندرونة وانتمائها الى الارض السورية منذ القدم[3]. اذ تعود جذور القضية الى مراسلات الشريف حسين مع السير هنري مكماهون اثناء الحرب العالمية الاولى، وهي المراسلات التي سبقت اندلاع ثورة العرب على العثمانيين، فقد جاء بمذكرات الشريف الاولى الى مكماهون المؤرخة في الرابع عشر من تموز عام ١٩١٥، تعيينها بالحدود الشمالية للبلاد العربية بخط يقطع شمال (مرسين، اضنه الموازي لخط ٣٧ شمالا الذي تقع عليه برجك، اورفه، ماردين، مديان، ابو عمرو، عمادية حتى حدود فارس)[4].

ولما ابدى مكماهون تحفظه على هذه الحدود اكد الشريف حسين في رسالته الثالثة المؤرخة في التاسع من ايلول عام ١٩١٥، ان تلك الحدود والتخوم المطلوبة ليست لشخص متعلق ارضاءه والبحث معه فيها عندما تضع الحرب اوزارها بل رأوا ان حياة تشكلاتهم الجديدة الضرورية القائمين في امرها مربوطة على تلك الحدود

---

[2] لقد كلف رئيس الوزراء جميل مردم الاستاذ اسد رستم، مدرس التاريخ في الجامعة الامريكية في بيروت لوضع تقرير يتضمن فيه كل الادلة التاريخية التي تثبت ان منطقة الاسكندرونة عربية، وقد نشرت كتب ومقالات في هذا الخصوص ايضا بعد ان زودت بادلة لاتدحض، جريدة الاهرام (المصرية٩ العدد ١٧٦٩٧في ١٣/كانون الثاني/١٩٣٧، ص٧.

[3] ان جبال طوروس تؤلف الحد الفاصل والطبيعي بين الوطن العربي والاتراك، ونتيجة الفتح الاسلامي في سوريا عام ١٦هـ/٦٣٧م فالجيوش العربية لم تتقدم الى ماوراء هذه الجبال لذا اعتبر ماوراءها تابعا للدولة البيزنطية واما في جنوبها فقد ظل للعرب. اما الامويون والعباسيون فقد اتخذوها قاعدة عسكرية لغزو الروم وللدفاع عن الوطن خاصة بعهد المأمون المدفون في مدينة طرطوس-احدى مدن هذه المقاطعة- التي مات فيها، وفي عهد المماليك انضمت الاسكندورنة اليهم في مصر وعند مجيء السلطان العثماني الاول استولى عليها وعلى البلاد العربية كلها، ينظر ولبد المعلم، الطريق الى الحرية، دمشق، ١٩٧٧، ص ص٢٩٩-٣٠١؛ وهناك شاهد اخر يؤكد عروبة هذه المنطقة، فالشاعر امرؤ القيس بن حجر الكندي رحل الى القسطنطينية قبل الاسلام لزيارة قيصر الروم طالبا منه المساعدة في انقاذ بلاده من خصومه ورافقه في رحلته هذه عمر بن امينة (من شعراء الجاهلية) وبكى هذا الاخير عندما بلغ (الدرب) وتعني جبل طوروس لانه اوشك ان يغشى بلادا غير بلاده فانشد:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وايقن انا لاحقان بقيصر

فقلت له:لاتبك عينيك اننا نحاول ملكا او نموت فنعذرا

والشائع ان امرأ القيس مات في رحلته هذه ودفن بجوار مدينة انقرة: امين سعيد، الوطن العربي، طبع بمطابع دار الهلال، القاهرة، د.ت، ص١٧٠-١٧٣.

[4] راجع سليمان موسى ، المراسلات التاريخية (١٩١٤-١٩١٨) الثورة العربية الكبرى، الاردن ١٩٧٣، ص ص٣١-٣٢؛ يقظان سعدون العامر، الصراعات الدولية والاسكندرونة، مجلة المؤرخ العربي، العدد٢٨، السنة ١١، ١٩٨٦، بغداد، ص١٤.

والتخوم وعقدوا الكلمة عليها..."[5] فهذه المراسلات تبين ان هذه البقعة ارض عربية وان الاسكندرونة كانت على الدوام منفذا لمدينة حلب وميناءها الطبيعي.

كذلك ان معاهدة سايكس-بيكو المبرومة بين بريطانيا وفرنسا في السادس عشر من ايار عام ١٩١٦، قد شملت لواء الاسكندرونة بأكمله في منطقة الزرقاء المخصصة للنفوذ الفرنسي، وبناء على ذلك دخلت في المنطقة الخاضعة للانتداب الفرنسي التي حددتها قرارات (سايكس بيكو) في الرابع والعشرين من نيسان عام ١٩٢٠[6]. ولما اجتمع اعضاء المؤتمر السوري في دمشق ليقرروا مصير سوريا اعلنوا استقلالها بحدودها الطبيعية، ولما كانت ولاية الاسكندرونة والمناطق المحيط بها داخلة ضمن حدود الدولة الجديدة لذلك اعتبرت الاسكندرونة سورية، وعندما زارت لجنة الاستفتاء الامريكية (لجنة كنج كراين) عام ١٩١٩ البلاد العربية المنفصلة عن الدولة العثمانية ولمعرفة رأي سكانها في تقرير مصيرها اتفقت كلمة اكثرية السكان على المطالبة بالانضمام الى سوريا[7].

وعندما دخلت القوات الفرنسية بلاد الشام في الرابع والعشرين من تموز عام ١٩٢٠، بدأت المأساة في اتفاق عقده الفرنسيون والاتراك في التاسع من اذار عام ١٩٢١، وبهذا الاتفاق تمكنت تركيا من ان تضم اليها كليكلة وتمنح الاقلية التركية فيها نظاما اداريا تصبح فيه اللغة التركية لغة رسمية اسوة باللغة الفرنسية والعربية[8].

لقد استعمل الاتراك سياسة عنصرية اتجاه عرب الاسكندرونة وادنة ومرسين وانطاكيا، وهي نفس المعاملة التي سار عليها الفرنسيون في الجزائر فهم حرموا العرب من التخاطب باللغة العربية وتدريسها بالمدارس الفرنسية والخاصة حتى الكتاتيب، بل انهم حرموهم قراءة القرآن الكريم وحتى سماعه باللغة العربية[9].

وفي العشرين من تشرين الاول عام ١٩٢١ عقدت اتفاقية اخرى بين الاتراك والفرنسيين سميت باتفاقية انقرة، على يد المسيو فرانكلين بويون (Frankin Bouillon) احد اعضاء البرلمان الفرنسي[10]. اذ منحت هذه الاتفاقية امتيازات خاصة

---

[5] سليمان موسى، المصدر السابق، ص٣٤-٣٥.

[6] **lemperley, H.A.History of the peace conference of paris, Vol.VI, Oxford University press, London 1969 (Terms of Sakes picot Agreement) PP.16-18; Pichon,J.Le Partage du proche Oreint, Peyronnet. Paris, 1937, PP.106-109.**

[7] امين سعيد، المصدر السابق، ص١٧٣.

[8] جريدة الف باء (السورية) العدد ٣٤٦ في ٣٠/تشرين الاول/١٩٢١.

[9] امين سعيد، المصدر السابق، ص١٧٣.

[10] انظر: اتفاق انقرة مجلة الرابطة العربية (المصرية) العدد٣٦، مج٢، ٣/شباط/١٩٧٣، ص ص٤٧٠-٤٧١.

لضمان اللواء من الاتراك[11]. وقد نصت المادة السابعة منه بوضع نظام اداري خاص بالاسكندرونة، وبموجب المادة الثامنة سويت الحدود بين سوريا وتركيا من الجهة الشمالية الشرقية[12].

صحيح ان اتفاقية انقرة قد انهت الحرب بين الدولتين (تركيا وفرنسا) وابقت لواء الاسكندرونة ضمن منطقة الانتداب الفرنسي لكنها تضمنت نواة الخلاف على اللواء بين الاثنين.

لقد احتفظ لواء الاسكندرونة بنظام اداري خاص وبقي الوضع كذلك حتى عام ١٩٣٥[13]. كما استمرت قرارات المندوب السامي الفرنسي باصدار قوانين شتى بخصوص النظام الخاص، الاداري والمالي للواء[14]. واستمرت السياسة التركية لعرقلة اعمال الناس والضغط عليهم ومسخ الهوية العربية بالمنطقة حتى عام ١٩٣٦[15]، حيث يعد هذا العام نقطة انعطاف واضحة في مسيرة العلاقات السورية-الفرنسية-التركية، بسبب الصراع السوري مع الاتراك والفرنسيين حول لواء الاسكندرونة.

٢.قضية لواء الاسكندرونة مابين المعاهدة السورية-الفرنسية والمطالب التركية

ما ان تم توقيع المعاهدة في ١٩٣٦/٩/٩ حتى بدأ الاتراك باظهار رغبتهم في فتح ملف القضية، فنشطت الصحافة التركية في شن حملة في موضوع اللواء وطالبت بتعديل وضعه واستعرضت تاريخ قضيته، وابلغت السفارة الفرنسية وزارة الخارجية الفرنسية بتقارير عن هذه الحملة. وبينت تصريحات وزير الخارجية التركية توفيق رشدي اوراراس حول القضية لحظة سفره الى جنيف لحضور اجتماعات العصبة والتي نشرت في ١٩٣٦/٩/١٩ على الصفحة الاولى لصحيفة (الجمهورية التركية) تحت عنوان (من اجل انطاكية والاسكندرونة التركيتين). ومن تصريحاته انه سيزور فرنسا للبحث في قضية الاسكندرونة على ضوء المعاهدة الفرنسية السورية لان اغلبية

Thobie J.Le noureau cours Des relations franco-turques en (Relations Internationales) ON 19, paris, automme 1979, P.358.

[11] كتبت جريدة الف باء في العدد ٣٩٣ المؤرخة في ٢٣/كانون الاول/١٩٢١، بانه جرت مناقشة في مجلس النواب الفرنسي حول مسألة سوريا وكليكلة والاسكندرونة، وقال المسيو (بريان): لايوجد في سوريا شعب له تقاليد واعراف مشتركة، بل يوجد شعوب تحتاج الى رابطة، وستكون فرنسا هذه الرابطة.

[12] احمد قدري، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، مطبعة ابن زيدون، دمشق، ١٩٥٦، ص٢١٠-٢١١.

[13] A.A.E.,S.-L.Vol 499, P.127.

[14] Ibid: P.128.

[15] Syria and Lebanon (History after 1914) Middle East, Vol.8.Oxford, London 1950, P.247.

سكانها من الاتراك.واقترح حل المسألة بين سورية وتركيا مباشرة وان يقوم الوفد السوري بالمباحثة معهم[16]. فلما وصل الوفد السوري الى استانبول في ١٩٣٦/٩/٢٢ ظن الاتراك بانه قدم للمفاوضة بينما لم يفكر هو بذلك، وقد يكون حصل لديه انطباع بان الاتراك يكتفون من الوفد بتصريح لحفظ مصالح اتراك اللواء فقط. ولذلك تحدث اعضاء الوفد عن الصداقة مع تركيا وعن الرغبة في النظر في قضية الاسكندرونة بعد تولي الكتلة زمام الحكم. ولما صرح رئيس الوفد هاشم الاتاسي بقوله "ان الاتراك في سورية لهم مالنا وعليهم ماعلينا، وان اللواء جزء من سورية" اثار سخط الصحافة التركية[17].

وهكذا تجنب الوفد التفاوض مع الاتراك بشأن اللواء باعتبار انه لم يكن لديه تفويض من فرنسا ولان سورية حينئذ لم تكن في وضع دولي يخولها الدخول في مفاوضات مستقلة لعقد او تعديل اتفاقيات دولية عقدتها فرنسا باسمها، ولكن كان بامكان الوفد استطلاع وجهة النظر التركية ومطالبها، وحيث لم يفعل فقد ترك الامر للفرنسيين ومن ورائهم البريطانيين حتى يعالجوا القضية حسبما تقتضيه مصالحهم السياسية[18].

ولقد تضايقت الحكومة التركية من موقف الوفد السوري، ومن ثم هاجمت الصحافة التركية التي هي تحت تأثير حكومتها، تصريحات الوفد واشتدت حملتها بشأن قضية اللواء، وظهرت فيها مقالات تبين مطامع تركيا في اللواء، كما هاجمت بعض الصحف سوريا وفرنسا[19].

وكان حاييم وايزمن (زعيم المنظمة اليهودية) قد عمل على اثارة تركيا لتطالب بالاسكندرونة ليوجد حجة لفرنسا لتأخير ابرام المعاهدة، اذ بعد عشرة ايام من مقابلته مع (بلوم) رئيس وزراء فرنسا اليهودي وصلت الى فرنسا برقية من وزير خارجية

---

[16] برقيات السفارة الفرنسية برقم ٣٥٨-٣٦٠ في ١٩٣٦/٩/١٩، ورقم ٣٦١ في ١٩٣٦/٩/٢١، حيث اشارت الى جريدة تركية اخرى (Luius) التي طالبت بنظام لاتراك اللواء اكثر حرية واستقلالية ليسمح لهم بالتطور المماثل للانجازات الكبيرة للامة التركية.

A.A.E.S-L.Vol.494.P.128-131.

[17] تفاصيل اقامة الوفد في استانبول والمأدبات والاحاديث وملابسات الوضع ينظر: مجيد خدوري، قضية الاسكندرونة ، مطبوعات المكتبة الكبرى للتأليف، دمشق، ١٩٥٣، ص٢٣.

[18] لم يكن الفرنسيون يحبذون المفاوضات المباشرة بين الجانبين التركي والسوري، ولذا فان القائم باعمال السفارة الفرنسية في استانبول حبذ للوفد السوري الذي ذهب فيما بعد الى جنيف من اجل اللواء، ان لايبقى في تركيا للمباحثة، ينظر:

A.A.E.S-L.Vol,494, P.131.

[19] للاطلاع على نماذج من اقوال الصحف: مجيد خدوري، المصدر السابق، ص٢٣-٢٦.

تركيا (اراراس) تسأل عن الضمانات التي اتخذت في المعاهدة لحماية الاقلية التركية في الاسكندرونة[20].

وفي اجتماع مجلس العصبة بجنيف في ١٩٣٦/٩/٢٦، تحدث وزير الخارجية التركي (توفيق رشدي اراراس) عن قضية الاسكندرونة واشار الى اهتمام الرأي العام التركي فيها. واعرب عن سرور تركيا بحصول سوريا على مثل ماحصل عليه العراق بالمعاهدة، وذكر صلات الصداقة بين فرنسا وتركيا وسأل فرنسا ان تفسح المجال للحكومة التركية لتدخل في مفاوضات ودية مع الحكومة الفرنسية لحل قضية الاسكندرونة التي تضم اكثرية تركيا حسب قوله. فاجاب المسيوفينو (Vionot) ممثل فرنسا في مجلس العصبة بقوله "ان الحكومة السورية ستأخذ على عاتقها بموجب احكام المعاهدة، تنفيذ ماقطعته الحكومة الفرنسية على نفسها من التعهدات فيما يخص سنجق الاسكندرونة، اما اذا ارادت الحكومة التركية ان تنتهز هذه الفرصة لتحديد وضع الاسكندرونة او تقديم مطلب جديد، فان الحكومة الفرنسية مستعدة للمفاوضة ضمن اتفاقية انقرة عام ١٩٢١، وان تشترك الحكومة السورية في هذه المفاوضة"[21].

ولم تكن تصريحات (فينو) ردا مفاجئا على طلب (اراراس) بل كانت عن دراسة مسبقة في وزارة الخارجية الفرنسية، حيث استعرضت الوزارة تعهدات فرنسا تجاه تركيا بخصوص الاسكندرونة وكذلك وضع اللواء في المعاهدة الفرنسية السورية. واشارت الى ان دولتي سورية ولبنان لن يصبحا عضوين في عصبة الامم قبل التزامهما بكل التعهدات الخاصة التي التزمت بها فرنسا، مثلما حدث بالنسبة للعراق[22].

وهكذا تمكنت الحكومة التركية باثارة القضية في العصبة، من اعادة النظر في وضع اللواء امام الوفد السوري او ممثل سوريا في العصبة الذي اعطى باسم الحكومة الفرنسية الضوء الاخضر لمتابعة فتح موضوع الاسكندرونة من خلال عباراته حول القبول بفتح باب المفاوضة، وفي الوقت نفسه استمرت التهديدات التركية وخاصة من رئيسها اتاتورك[23].

---

[20] كان بلوم قد ابلغ الاتراك خلال مباحثات المعاهدة لتسجيل مطالبهم بشأن المعاهدة. فاجاب اراراس بانهم لايطلبون الا ان يذكر في المعاهدة ان السوريين يعترفون بشرعية الاتفاقيات السابقة بين فرنسا وتركيا بشأن اللواء فقط:

A.A.E.S.-L.Vol, 495, P.186.

[21] A.A.E.S.D.N, Vol.572, P.13-16.

[22] يتضح ذلك من المذكرة الفرنسية المنظمة في ١٩٣٦/٩/٢٤ التي نظمت لوضع قضية الاسكندرونة تحت ايدي رجال السياسة الفرنسيين الجدد ومندوب فرنسا في العصبة:

A.A.E.S.-L.Vol, 494, P.141-143.

[23] مجيد خدوري، قضية الاسكندرونة، ص٢٨-٢٩؛

وبدأت المناقشات بين فرنسا وتركيا حول الاسكندرونة، طورا بمراسلات بين العاصمتين وطورا في عصبة الامم، واستمرت المراسلات الدبلوماسية في الفترة من ١٠/١٠الى ١٩٣٦/١٢/٧ حيث بدأ سفير تركيا في باريس بتقديم مذكرة الى وزارة الخارجية الفرنسية تضمنت مطالب في اللواء واهمها ان تعقد فرنسا مع اللواء معاهدة على غرار المعاهدة مع سورية لمنحه استقلالا تاما. وبررت تركيا طلبها بصك الانتداب وباتفاقية انقرة، فاجاب وزير الخارجية الفرنسي دليوس (Delbos) بكتاب اكد فيه استعداد فرنسا للتفاوض ضمن حدود اتفاقية انقرة التي تعطي للواء نظام اداري خاص ضمن سوريا واستند الوزير على صك الانتداب واتفاقية انقرة ايضا. ثم قدم سفير تركيا مذكرة في ١٩٣٦/١١/١٧ فردت الحكومة الفرنسية باستعدادها لاحالة الامر الى مجلس عصبة الامم، فوافقت تركيا في ١٩٣٦/١٢/٤ واعلن وزير الخارجية موافقته بكتاب في ١٩٣٦/١٢/٧ وطلب الى الحكومة التركية الا تتخذ شيئا قد يثير او يوقد الوضع في اللواء ريثما يتم حسم النزاع في مجلس العصبة[24].

وفي ١٩٣٦/١٢/٨ ابرق وزير الخارجية التركي الى سكرتير العصبة عن النزاع المتعلق بالسنجق لادخال القضية في اجتماع العصبة في ١٩٣٦/١٢/١٠ فاستطلع السكرتير رأي الخارجية الفرنسية فوافق في برقية بتاريخ ١٩٣٦/١٢/١٠ مؤكدا ان هذه القضية ليست في الواقع بين فرنسا وتركيا وانما هي خاصة بالعصبة لانها تتعلق بمبدأ الانتداب الذي وضع اسسه مجلس العصبة ولجنة الانتدابات الدائمة[25].

ويمثل هذا الموقف بداية التراجع الفرنسي الفعلي للتنازل عن الاسكندرونة، وقد جرى ذلك كله في وقت كانت فيه سورية مشغولة في اجراء الانتخابات النيابية لانشاء جمهورية المعاهدة حسبما اتفق عليه. ولذلك لم يكن للحكومة السورية الانتقالية في

Jons, John Moran, la fin du mandnt francais, sur la syrie, Paris, 1973, P.114.

[24] كان وزير خارجية تركيا قد تحدث ايضا الى مجلس العصبة في جلسة ١٩٣٦/١١/٢ ونوه بمصلحة تركيا في اللواء، عن ذلك وعن المراسلات في التقرير الفرنسي لعام ١٩٣٧ الذي استعرض تطورات القضية حتى تاريخه:

A.A.E.S.-L.Vol, 495, P.185.

وملفات قضية الاسكندرونة في ارشيف الخارجية الفرنسية :

A.A.E.L.1930-1940, Vol,469-476.

و **Jons, J.H.la fin du mandat francais, P.113**

ونجيب الارمنازي، سورية من الاحتلال حتى الجلاء، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٣، ص١٠٩.

[25] عن برقية اراراس وبرقية سكرتير العصبة في التقرير الفرنسي لعام ١٩٣٧:

A.A.E.S.-L.Vol.495, P.186.

حينه علم بما يحدث ولا القدرة على اتخاذ شيء من تلقاء نفسها.ولم يكن رجال الكتلة الوطنية قد تسلموا زمام الامور بعد.

ولما علمت الحكومة السورية بالامر، وبلغها الفرنسيون ماتقرر بشأن العصبة، بادرت بالاتفاق مع الفرنسيين لتعيين وفد سوري ليذهب الى مقر العصبة في جنيف ويشترك مع الوفد الفرنسي بالدفاع عن لواء الاسكندرونة، وسافر الوفد في[26] ١٩٣٦/١٢/١١ ووصل جنيف في ١٤ منه. وفور وصوله اجتمع بالوفد الفرنسي[27] الذي كان رئيسه واعضاؤه قد شاركوا في مباحثات المعاهدة، مما يعني ان بحث قضية الاسكندرونة مرتبط بالمعاهدة.

وعندما اجتمع الوفد السوري بالمسيو شوفيل عضو الوفد الفرنسي قالوا له انهم وثقوا بفرنسا وباقوالها وصدقها فيما يتعلق بالمعاهدة واعتمدوا على شرفها، ولذل يجب ان لاتتساهل باعطاء أي شيء من حقوق اللواء ان من حدوده زيادة عما تقرر في معاهدة انقرة وبحثوا معه الانتخابات التي جرت في اللواء ونتائجها ونسبة المشتركين ونسبة العرب وبقية العناصر واصغى اليهم بانتباه وسأل عن نسبة الاتراك وموقف الارمن والعلويين ونسبتهم ثم شرح للوفد موقف الترك[28].

٣.قضية اللواء في مناقشات عصبة الامم :

بدأ مجلس العصبة اجتماعاته في ١٩٣٦/١٢/١٤ لمناقشة قضية اللواء فعرض وزير الخارجية التركي وجهة نظر حكومته وادعى ان الوضع في اللواء سيء ومؤلم واقترح استبدال القوات الفرنسية بقوات جندرمة محايدة وقدم وثائق تدعم رأيه، ولم يرد عليه المندوب الفرنسي بل اقترح تعيين وسيط بين الجانبين، فعين

---

[26] ضم الوفد السوري: عبد الرحمن الكيالي عضو الكتلة الوطنية وقد نجح في الانتخابات النيابية عن حلب. وحسن جبارة من ابناء اللواء ورئيس المالية فيه. وانضما الى احسان الجابري الذي ترأس الوفد وكان مقيما في جنيف ينظر: عبد الرحمن الكيالي: المراحل في الانتداب الفرنسي وفي نضالها الوطني ١٩٣٦-١٩٣٩، مطبعة الضاد، حلب، ١٩٦٠، ج٤، ص٣١٤؛ والغريب ان خدوري في كتابه المفصل عن قضية الاسكندرونة لم يشر الى الوفد السوري ولكنه فيما بعد ذكر احد اعضائه (حسن جبارة) ضمن الوفد الفرنسي نقلا عن جميل مردم مع عدم تحديد تاريخ، مجيد خدوري، المصدر السابق، ص٦١.

[27] ضم الوفد الفرنسي المسيو (فينو) (Vienot) رئيسا واعضاؤه هم روبيردي كيه (Rober de Caix) مندوب فرنسا الدائم في العصبة ، وشوفيل (Schoffil) ولاغارد (Lagurd) وكلاهما من موظفي المفوضية الفرنسية في سوريا ايام المفوضين بونسو (Poncot) ومارتيل (Martel) :

A.A.E.S.-L.Vol,496, P.187.

[28] تفصيل ذلك وادعاءات الاتراك في اللواء في التقرير المطول الذي قدمه الوفد السوري بعد عودته الى سوريا في ١٩٣٧/١/٧ الى الحكومة السورية، الكيالي: المراحل، ج٣، ص٣١٣-٣٢٧.

المجلس مندوب السويد ساندلر (Sandler)[29] .ثم فند المندوب الفرنسي (فينو) في جلسة اليوم الثاني ١٩٣٦/١٢/١٥ ادعاءات الاتراك واستعرض تطور القضية تاريخيا منذ اتفاقية انقرة التي اعطت لاتراك اللواء بعض التسهيلات اللغوية والثقافية فقط والتي اقرتها معاهدة لوزان، ومنذ ذلك الحين كان اللواء جزءا من سوريا. وذكر ان المعاهدة لن تؤثر في وضع اللواء الخاص[30]. وهو الوضع الذي تعرفه تركيا جيدا[31].

ثم اختتمت مناقشات المجلس في ١٩٣٦/١٢/١٦ حيث عرض الوسيط (ساندلر) تقريرا موفقا باقتراح لحفظ الامن والهدوء باللواء فقط، وبرغبة فرنسا وتركيا بتأجيل النظر في النزاع فصدر قرار المجلس، بدون موافقة تركيا، بارسال (بعثة ملاحظين) الى اللواء لمعرفة الحقائق وذكر (ساندلر) ان (فينو) صرح بان ابرام المعاهدة الفرنسية السورية سيتأجل ريثما يصدر قرار من مجلس العصبة لحسم قضية الاسكندرونة، وان الجيش الفرنسي الذي ارسل الى اللواء سينقص عدده بعد وصول لجنة الملاحظين[32]. واوضح فينو ان الدولة المنتدبة باعتبارها مسؤولة عن الامن والمحافظة على الارواح، رأت نفسها مضطرة الى ارسال قوة اضافية من الجنود والمعدات تكفي لمنع المشاغبين من التعدي. وهم الذين اثاروا الحوادث والوقائع وتعمدوا منع حرية

---

[29] Jons, J.N.La fin du mandat francais, 142.

وكان ساندلر مقررا لقضية الموصل، الكيالي: المراحل، ج٤، ٣٢٢.

[30] مجيد خدوري، قضية الاسكندرونة، ص٣٥-٤١ و

Jons, J.:OP.Cit, P.124.

وعن رأي فينو ايضا :

Haye et Vienot: Les relations de la france, P.23.

[31] اضافة الى اتفاقية انقرة فان تركيا تعرف وضع اللواء كجزء من سورية بموجب اتفاقية حلب في ١٩٢٦/٥/٣ التي عقدت لتأمين الامن على الحدود، وان النظام الخاص الذي اعطي الى اللواء هو من المفوض السامي الفرنسي وليس التزاما دوليا.

Jons, J.N.OP.Cit, P.119.

كما ذكر فينو ان تركيا تعلم بدستور اللواء لسنة ١٩٣٠ المصدق من عصبة الامم والذي ينص على ان اللواء جزء من سورية، وتعلم اشتراك ممثلي اللواء في وضع القوانين وتصديق الموازنة ودخول وزيرين من اللواء في الحكومة السورية، وان الدستور السوري تجري احكامه على اللواء بلا تفريق او تمييز، الكيالي، المراحل، ج٤، ٣١٨-٣١٩.

[32] تشكلت اللجنة من ثلاثة اعضاء وباشرت عملها فعلا في ١٩٣٦/١٢/٣١. لمزيد من التفاصيل عن اللجنة واعضائها في :مجيد خدوري، المصدر السابق، ص٣٥-٤٣؛ نجيب الارمنازي، سورية من الاحتلال حتى الجلاء، ص١٠٦؛ وعن تقرير ساندلر التفصيلي حول قضية الاسكندرونة ، الكيالي، المراحل، ج٤،٣٥٢-٣٥٥؛ وعن تفاصيل جلسات مجلس العصبة :

Jons, J.M.La fin du Mandat francais, P.1230127.

التقرير الفرنسي لعام ١٩٣٧ A.A.E.S.-L, Vol 495, P.186.

الانتخابات واستعمال الناس حقهم، واعلن ان الحكومة الفرنسية ستسمح بارسال الملاحظين المحايدين لمراقبة الحدود[33].

ولما التقى وزير الخارجية التركي بالوفد السوري في اروقة العصبة اظهر بحرارة انه يريد الخير لسورية وباخلاص، وطرح فكرة اقامة اتحاد (كونفدرالي) بين اللواء وسورية ولبنان واتهم فرنسا بمعارضتها للاتحاد المقترح، فرد عليه الوفد: "اتريد ايقاع العداوة بيننا وبين فرنسا؟" وكان من جهود الوفد السوري ايضا ان وزع على اعضاء المجلس تقريرا وضعته الكتلة الوطنية لاطلاعهم على وجهة النظر السورية ودفاعها وحقها في اللواء، ونشر الجابري عدة مقالات في بعض الصحف هيأ بها الرأي العام لفهم القضية السورية ونقد فيها مدعيات الترك وطلباتهم[34].

ثم سافر الوفد السوري الى باريس، حسب طلب الوزير الفرنسي لتقديم المعلومات اللازمة عن اللواء، فوصل الوفد في ١٨/١٢/١٩٣٦ وقدم للفرنسيين دفاعا متضمنا احصاءات ووثائق لدحض مدعيات وزير الخارجية التركي المستندة على مدعيات (عبد الرحمن ملك زاده) احد ادعاء الانفصال في اللواء والذي كان مرافقا للوفد التركي. ولما اجتمع شوفيل (Schoffil) بالوفد السوري في ٢٢/١٢/١٩٣٦ لخص لهم مطالب وزير الخارجية التركي وتصلبه في ارائه. وفي اليوم الثاني وبحضور سفير فرنسا في تركيا المسيو بونسو (Poncot) اجتمع الوفد بالمسيو فينو (Vienot) الذي قال لهم "نحن لم نقبل أي مذاكرة مع الاتراك قبل صرف نظرهم عن مطالبتهم باستقلال اللواء، مع انهم يصرون عليه، وهم لايعرفون أي نوع من الكونفدراليون يريدون، ومن الافضل ان يتصل سفيرنا برئيس الجمهورية التركية والا فالعصبة سوف تحكم بيننا"، ثم تابع شوفيل شرح محاولات الاتراك وضع اللواء تحت تصرفهم ونفوذهم عن طريق الكنوفدراليون حيث سيتحكمون بمقدرات سورية وقراراتها، واشار بصراحة الى ان فرنسا ليست مستعدة لاراقة نقطة دم واحدة من جيشها اذا اثارت تركيا الحرب عليها[35].وبقي الوفد السوري في باريس خمسة ايام عمل فيها على تنوير الرأي العام الفرنسي واجرى عدة اتصالات وشاهد جهود الاتراك

---

[33] الكيالي، المراحل، ج٤، ٣٢١ ؛ و Jons, J.N.OP.Cit, P.127.

[34] ولمزيد من التفصيل عن مشروع الحلف او الاتحاد الذي رفضته فرنسا لانه يشمل لبنان، ولم تعطه الحكومة السورية الاهمية، نجيب الارمنازي، المصدر السابق، ص١٠٠-١١٠، و١١٥؛ مجيد خدوري، المصدر السابق، ص٤٤-٤٧؛ وقد استمر الاتراك في اللواء بالمطالبة بوحدة سورية ولبنان والاسكندرونة تحت اسم (وحدة سورية الكبرى والرابطة الشرقية) م.ن، بالقير هاناي الدولة المستقلة، الاسكندرونة، ١٩٣٨، ص٤٨-٥١.

[35] ذكر الكيالي ان دائرة الشؤون الشرقية في وزارة الخارجية الفرنسية والتي يرأسها سان كنتان (Saint Quintant) ليس عندها خرائط ولااحصاءات ولاالمعلومات الكافية عن اللواء بل كل مالديها تقارير مجملة عبثت بها يد الاهمال والنسيان ، الكيالي، المراحل، ج٤، ص٣٢٥-٣٢٧.

الدعائية وتبين له ان بريطانيا تحبذ اعطاء اللواء الى تركيا خوفا من ميلها الى المانيا وايطاليا[36].

ولقد بدا واضحا ان تركيا استغلت تقرب بريطانيا وفرنسا منها بعدما انتشرت روائح الحرب في اوربا، فعملت على نيل مبتغاها عن طريق التهديد وبواسطة عصبة الامم التي كانت تحت سيطرة بريطانيا وفرنسا وحلفائهما[37]. كما كانت بريطانيا تخشى ان يصبح ميناء الاسكندرونة وهو تحت السيطرة الفرنسية قاعدة بحرية فرنسية في مواجهة الوجود البريطاني في قبرص[38]. وهذا ماكان الفرنسيون يأملونه بالفعل[39]. كما ان الفرنسيين الذين يئسوا من كسب رضا الوطنيين بالانتداب، اثروا التخلي عن الاسكندرونة لكسب تأييد تركيا او حيادها في الحرب المرتقبة[40].

اما الوضع في اللواء فكان على غير ما ادعى الاتراك وما روجته دعاياتهم، ففي عام ١٩٣٧ وحسب الاحصاءات الفرنسية التقديرية، كان مجموع سكان اللواء ٢٢٢٠٠٠ نسمة منهم ٨٥٤٤٢ اتراك بنسبة ٣٨,٣٩% فقط وهم بذلك اقلية عرقية، ويعلم الفرنسيون ان اللغة الغالبة في اللواء هي العربية حيث يتكلم بها (١٠٨٠٠٠) نسمة، ولكن الفرنسيون مع حرصهم على اظهار حقيقة الترك كأقلية عرقية الا انهم قسموا باقي السكان تقسيما خلط بين العرقية والدينية والمذهبية ولاتظهر فيه اية اغلبية، وهو ٦٢٠٢٦ نسمة علويين بنسبة ٢٧,٩% وعرب سنة ٢٢٤٦١ بنسبة ١٠,١% ومسيحيون ٤٩٠٠٠ بنسبة ٢٢% و٧٠٠٠نسمة بنسبة ٣% متنوعون منهم اكراد وشركس[41].

---

36 كان الكيالي وجبارة قد غادرا دمشق في ١٩٣٥/١٢/١١. وقد عادوا اليها في ١٩٣٦/١/٦ وليس في ١٩٣٦/١/١٦ كما ذكر الكيالي اذ انه يذكر فيما بعد انه قدم تقرير الوفد السوري في اليوم التالي لوصوله أي ١٩٣٦/١/٧، الى وزارة الخارجية السورية اما الجابري فبقي في باريس لمدة اخرى ثم علم الى جنيف للمراقبة، الكيالي، المراحل، ج٤، ٣١٤-٣٢٧، ٤٧٩، من التقرير المفصل عن مهمة الوفد.

37 لمزيد من التفاصيل عن ادعاءات الاتراك، المصدر نفسه، ص٣٢٨.

38 **Buaux. G. Deux annecs au levant, Souvenire de syrieet du Liban,Panis1948,P.32.**

39 نجيب الارمنازي، المصدر السابق، ص١١١.

40 قاوم الوطنيون السوريون الانتداب الفرنسي منذ ١٩١٩ وحتى عام ١٩٣٦، سواء بخطب زعمائهم ومقالات صحفهم ومظاهرات اتباعهم وثورات مناضليهم، وفشل عقد معاهدة ١٩٢٦، ١٩٣٢ حتى ظفرت فرنسا بمعاهدة ١٩٣٦ ولكأت في عرضها على برلمانها.

Jons, J.N.La fin du mandat francais, P.211.

41 تفصيل السكان والطوائف :

Jons, J.N.La fin du mandat francais, P.211.

وفي حين افرد الفرنسيون الاتراك، لم يشيروا الى كونهم مسلمين سنة، ولما افردوا العلويين لم يذكروا انهم عرب مسلمون، وقد ادعى الاتراك ان العلويين ليسوا عربا[42]. واجمل الفرنسيون المسيحيين بدون ان يفرقوا بين مذاهبهم كما فعلوا بالمسلمين، ولم يشيروا الى ان اكثرهم من العرب ولا الى وجود الارمن بينهم وهم ليسوا عربا، بل هم لاجئون من تركيا وناقمون عليها وقد وجدوا في فرنسا حمى لهم وسندا[43].

ولقد عد بعض الكتاب العرب ان الجانب العربي في اللواء يشمل المسلمين السنة والعلويين والمسيحيين والارثودكس ويضاف اليهم الارمن، وان هؤلاء يشكلون الاكثرية الحقيقية التي كانت تعيش بسلام وهدوء مع الاقلية التركية، ولكن من الناحية التاريخية والجغرافية فلاشك ان اللواء كان سوريا عربيا[44]. لكن تغيرت الاوضاع السكانية بازدياد اللاجئين والمهاجرين[45]. وساعدت سياسة الفرنسيين الطائفية على تنمية التفرقة والخلاف وظهور الاقلية التركية كفئة واحدة متميزة، فضلاً على مهادنة الفرنسيين لتركيا، مما جعل اكثر الاتراك في اللواء ميالين الى الانفصال عن سورية وطالبوا بذلك في مناسبات شتى[46]. بعد ان وقعوا فريسة للدعاية التركية وحرص

و Gressaty: Interets et devoires de La de france en syrie paris 1939, P.14-15.
وقد ادعى الاتراك ان نسبتهم في اللواء ٦٣% ،جورج كيرك، موجز تاريخ الشرق الاوسط، ترجمة عمر الاسكندري، القاهرة ١٩٥٧، ص٢٩٩.

[42] الكيالي، المراحل، ج٤، ٣٢٨-٣٣١؛ ذوقان قرقوط، تطور الحركة الوطنية في سورية، ١٩٢٥-١٩٣٩، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٥، ص٣٠٢-٣٠٣.

[43] Hourani, A.H: Syria and Lebanon, Apolitical Essay, oxford university, London 1946, P.145.
وانشأت سلطات الاحتلال الفرنسي في ١٩٢٥ (الكتائب الارمنية) التي كلفت بقمع التظاهرات الشعبية، مما شجع بعض قادة الجالية الارمنية في سورية ان يطالبوا بانشاء وطن قومي ارمني في شمال شرق سوريا عام ١٩٣٠، وسعى الارمن لتحقيق ارمينيا الكبرى باتفاقهم في تركيا مع الاكراد، عبد الرحمن قاسملو، كردستان والاكراد، بيروت، ١٩٧٠، ص٧٢؛ Pnaux, G. Deux annees au levant, P.155؛ وقد بلغ عدد الارمن اللاجئين في اللواء المسجلين فيه ٣٢% من عدد سكانه ولكنهم توزعوا في انحاء سوريا ولبنان، الكيالي، المراحل، ج٤، ٣١٦.

[44] من البحث التاريخي الذي قدمه بطريك السريان الارثوذكس في حمص في ١٩٣٧/١/٢ والتقرير السوري الى عصبة الامم سنة ١٩٣٧ والذي بين اوضاع اللواء سكانيا وتاريخيا، الكيالي، المراحل ج٤، ٣٨٣-٤١٦.

[45] هاتاي، الدول المستقلة، ص٣١-٣٨.

[46] وكان اللواء مشمولا بقانون الطوائف واحواله الاقتصادية سيئة، ولم تكن الحدود التركية تخلو من العصابات وكذلك من غارات البدو في الصيف والهجوم على طريق انطاكيا-الاسكندرونة:

الحكومة التركية على تنمية الثقافة التركية. فتشجع بعض اتراك اللواء فالفوا (جمعية استقلال هاتاي) وحدثت مصادمات بين العرب والترك ولاسيما بين طلاب المدارس، قتل فيها بضعة افراد[47].

ولاريب في ان الحكومة التركية هي التي اثارت هذه الدعاية، سواء في صحف تركيا ام في اللواء، لتبين للاوساط الدبلوماسية والجهات المختصة اهتمام الرأي العام التركي بمصير اتراك اللواء، بعد ان تنال سورية استقلالها، وعلى اثر هذه الحملة الصحفية وهياج الشعب التركي، اشار كمال اتاتورك في خطبته الافتتاحية في المجلس الوطني التركي في ١٩٣٦/١/١ الى قضية الاسكندرونة وحرصه على مصير الاتراك فيها[48].

واثمرت الدعاية التركية خلال فترة الانتخابات النيابية السورية والتي كان مقررا لها في اللواء في الدور الثاني بتاريخ ١٩٣٦/١١/٣٠ فقد اشارت الوثائق الفرنسية الى ظهور بعض الغليان[49]. واذاعت جمعية هاتاي في انطاكية بيانا على اتراك اللواء حثتهم فيه على المقاطعة، فقاطعوا الانتخابات احتجاجا على الحكومة السورية[50]. ولكن الكيالي ينفي حدوث المقاطعة ويؤكد انها لم تقع وان الذين قاطعوا هم قسم من شباب الاتراك ومن المأجورين بدراهم الحكومة التركية وبتحريض من الدكتور (بيلوني) الذي ظن انه يعمل لمصلحة اللواء. والحقيقة انه كان يعمل ليصبح نائبا وطالب بكرسيين لبني طائفته الارثوذكس[51]. كما وقعت بعض الحوادث في يوم

Longrigg, S.H.Syria and Lebanon, under french Manddt, Beirat 1968,P.211.

[47] كان من سياسة الحكومة التركية قبول طلاب اتراك في اللواء للدراسة في تركيا ونشر الصحف التركية بين سكان اللواء، واتخاذ بعض الاجراءات الرسمية وادعى طلاب الانفصال الاتراك ان مدينة الاسكندرونة لم يؤسسها الاسكندر المقدوني بل الهاتائيون (الحثيون) اجداد الترك برأيهم،مجيد خدوري، قضية الاسكندرونة، ص١٩-٢٠، ٢٧؛ وتفاصيل تدخلات تركيا وجهودها وتأثيرها والمطالبات السابقة لاتراك اللواء بالانفصال، وقرار العصبة في ١٨٣٢/٦/١٦ بخصوص مقدمي العرائض الانفصالية والوحدوية، وقضية الاستقلالات في الكيالي، المراحل، ج٤، ٣٢٠؛ وعن جمعية هاتاي ودورها في الدعاية عام ١٩٣٦، في م.ن.بالقير، المصدر السابق، ص١٦.

[48] Jons, J.N.La fin du mandat, P.114.

[49] التقرير الفرنسي المفصل عن عام ١٩٣٧ عن وضع سوريا السياسي ومن ضمنه صفحات خاصة بلواء الاسكندرونة واحداث الانتخابات: A.A.E.S.-L.Vol, 495, P.186.

[50] و.م.ن.بالقير: هاتاي الدولة المستقلة، ص١٦.

[51] الكيالي: المراحل، ج٤، ٣١٦، ٣٢٤-٣٢٥؛ وعن دور (بيلوني) ينظر ز.م.ن.بالقير: هاتاي الدولة المستقلة، ص٤٢.

الانتخاب، ولكن تمت عملية الانتخاب وذهب نواب اللواء الى المجلس النيابي السوري وشاركوا فيه[52].

واستمرت الحكومة التركية بجهودها فسمحت لبعض الاتراك بان يذهبوا الى اللواء لاثارة الحركة الانفصالية لدى اتراك اللواء، وقد اشار الى ذلك وزير الخارجية الفرنسي دلبوس (Delbos) بكتابه الى الحكومة التركية في ١٩٣٦/١٢/٧ والى وجود بعض العصابات التركية على حدود اللواء، وفي الوقت نفسه سهلت الحكومة التركية للدكتور عبد الرحمن ملك زاده احد دعاة الانفصال، الحضور الى انقرة ليشترك في حركة تنظيم الدعاية الانفصالية، وساهم في تأسيس جمعية هاتاي في افنة وانقرة[53].

اما العرب في اللواء فقد الفوا (جمعية الدفاع عن الاسكندرونة) لمقاومة الدعايات التركية ونشطت على الاخص (عصبة العمل القومي) لبث دعاية عربية واسعة والرد على الدعاية التركية[54]. ونبهت الصحف السورية الى المركز المتفوق للاتراك في الاسكندرومة على حساب العرب، لذا ارسلت الحكومة السورية رجالا من قبلها لبث الدعوة وتعزيز روابط المقاومة بين العناصر العربية[55].

٤. التفاهم الفرنسي التركي وقرار العصبة لفصل اللواء عن سورية

استؤنفت في باريس المباحثات بين فرنسا وتركيا في ١٩٣٦/١٢/٣١ واستمرت في ١٩٣٧/١/٢١[56]. وامر وزير الخارجية التركي علي طالب فصل اللواء عن

---

[52] A.A.E.S.-L.Vol, 496, P.186.

[53] مجيد خدوري، قضية الاسكندرونة، ص٢٧-٢٨؛ وعن انشاء جمعية هاتاي والدعاية التركية، ينظر التقرير الموفوع الى المفوضية الفرنسية في بغداد في ١٩٣٦/١٢/١٥: قرقوط، تطور الحركة الوطنية في سورية، ص٣٠١-٣٠٢؛ و.م.ن.بالقير، هاتاي الدولة المستقلة، ص١-١٦، ففيه عن الدكتور (زاده) الانفصالي ونشاطه، وغيره من الاتراك الانفصاليين وعن احزاب اللواء (الشعب الشيوعي وعصبة العمل القومي، ودورها، ص٣٩-٤٢؛ ومزيد من التفصيل عن نشاط (زاده) في: الكيالي، المراحل،ج٤، ٣٢٤-٣٢٥.

[54] عصبة العمل القومي، اسست هذه العصبة عام ١٩٣٣، من الشباب المثقف في سوريا ولبنان، الذي انشق عن الكتلة الوطنية، فعقدوا اول اجتماع لهم في لبنان، ومن ابرز قادتها في سوريا عبد الرزاق الدندشي، وفهمي المحايري وصبري العسلي وزكي الارسوزي، اما اهدافها فكانت تدعو الى سيادة العرب واستقلالهم والدعوة الى الوحدة الشاملة، وعدم التعاون مع سلطات الانتداب والحكومات التي يؤلفونها، ينظر ذوقان قرقوط، المصدر السابق، ص١٠٥.

[55] ومن النشاط المؤيد لبقاء اللواء جزءا من سورية، اعلان رئيس الحزب السوري القومي (انطوان سعادة) في كانون الاول ١٩٣٦ في صافيتا،عن استعداد الوف الحزبيين للموت عن الاسكندرونة، ينظر نجيب الارمنازي، المصدر السابق، ص١٠٩.

[56] ضم الجانب الفرنسي وزير الخارجية دلبوس (Delbos) ومعاونه فينو (Vienot) وسفير فرنسا في تركيا بونسو (Poncot) . وضم الجانب التركي وزير الخارجية اراراس وسكرتير

سورية. وتفنن في كيفية الفصل بشتى المشروعات والمقترحات التي كان اهمها واخطرها مشروع الاتحاد (الكونفدرالي) الذي قدمه في منكراته الى وزير الخارجية الفرنسي في ١٩٣٧/١/١١، والذي يشمل الدول الثلاث سوريا ولبنان والاسكندرونة، ولاشك ان الحكومة التركية كانت تعلم انه ليس بالامكان تطبيق المشروع قانونيا لتضاربه مع احكام صك الانتداب على سوريا ولبنان الذي نص على تأليف دولتين مستقلتين، لذا فان مقصد تركيا مناهضة السياسة الفرنسية في سورية او التقرب من الحكومة السورية بفكرة ادخال لبنان في اتحاد معها، او الغايتين معا، ولذلك رفضت الحكومة الفرنسية مشروع الاتحاد لانه يشمل لبنان، ولم توجه الحكومة السورية العناية لدرسه بل اتبعت منهج الفرنسيين في عدم الاكتراث به[57].

وهكذا فشلت محادثات باريس في الوصول الى نتيجة، وظهر الغضب في تركيا وازدادت التهديد باحتلال اللواء بالقوة مما احرج موقف الحكومة الفرنسية في هذه الاونة، وخاصة لان الظروف الدولية القائمة حينئذ كانت عاملا خطيرا في تقرير مصر لواء الاسكندرونة، اذ ان وضع فرنسا بوجود شبح الحرب، لايساعدها على الدخول في حرب من اجل قضية كهذه، كما كانت بريطانيا وفرنسا تخشيان ايطاليا مما دفعهما الى استرضاء تركيا في قضية المضائق فلم يكن من مصلحة فرنسا اذاً ان تفصم عرى هذه الصداقة الجديدة، كما ان بريطانيا كانت تسعى لحل هذه القضية بشكل يزيد في التقارب بين الدول الثلاث وليس ابعاد تركيا عن حظيرتها.فاختارت فرنسا الموقف الذي ناسب مصلحتها وهو فصل اللواء عن سورية، وبدأت مظاهر ارتخاء التصلب الفرنسي[58].

وكان للصهيونية دورها في ظهور الارتخاء الفرنسي، اذ كان لها حلفاءها في الحكومة الفرنسية، وقد تدخل وايزمن للمرة الثانية[59]. وقد ارسل وزير الخارجية التركي منكرة في ١٩٣٧/١/١٦ الى الحكومة الفرنسية تضمنت مطالب تركيا الخطيرة، والتي مرت بثلاث مراحل: المطالب بفصل اللواء عن سورية، ثم مشروع

مصطفى كمال الخاص وسفير تركيا في باريس وغيرهم، ينظر: A.A.E.S.-L,Vol495, P.187.

[57] A.A.E.S.-L,Vol495, P.187.

[58] اعلن بعض اعضاء الحكومة التركية وتهديداتهم للحكومة الفرنسية وللشعب السوري باحتلال اللواء بالقوة، كما هدد الرئيس التركي بذلك في ١٩٣٧/١/٦ والتي اعقبها زيارة سفير تركيا الى المسيو (فينو) لتأكيد اصرار الحكومة التركية على موقفها بحل القضية بوسائل العنف وكانت بريطانيا وفرنسا قد استرضتا تركيا في مؤتمر مونترو (Montroux) فسمحتا لها بتسليم المضائق في ١٩٣٦/٧/٢٠، ينظر :

A.A.E.S.-L,Vol495, P.187.

[59] Jons, J.N.: La fin du mandat fraucais, P.128-129.

الاتحاد، ثم التهديد باستعمال القوة لفصل اللواء. فاضطرت الحكومة الفرنسية ان تتنازل عن اصرارها في وجوب حصر المفاوضة ضمن اتفاقية انقرة. وكتب بلوم (Blum) رئيس وزراء فرنسا (اليهودي الاشتراكي) رسالة الى سفير تركيا في ١٩٣٧/١/١٨ عرض فيها وجهة نظره الجديدة، وهي اهمال المناقشة ضمن اتفاقية انقرة، مع انه اكد ان وجهة النظر القانونية تؤيد وجهة النظر الفرنسية لاالتركية، واشار الى عدم امكان تطبيق فكرة الاتحاد، ولذا اقترح "نظاما خاصا للواء" فوافق الاتراك واتفق الجانبان على استمرار المفاوضة في جنيف بالمشاركة مع المقرر (ساندلر) لوضع تفاصيل مشروع النظام الخاص، واتخذ المقرر مقترحات الطرفين اساسا لتقريره في ١٩٣٧/١/٢٦[60].

وهكذا يتضح ان هذا التغيير المفاجئ في الموقف الفرنسي كان نتيجة تدخلات خاصة اهمها تدخل رئيس المنظمة الصهيونية (وايزمن) وليس فقط نتيجة التهديد التركي والظروف الدولية، اذ عمل (بلوم) وهو صديق لوايزمن، على نقل القضية من الجانب الحقوقي الى الميدان السياسي، وجنح الى تسوية سياسية قامت على المصالح الاستعمارية البحتة وعدم مراعاة حق سورية واية جوانب حقوقية اخرى، وقد كانت الصهيونية وراء اثارة تركيا واصرارها على المطالبة باللواء للعمل على تأخير ابرام المعاهدة الفرنسية السورية ومن ثم تأخير قيام دولة عربية سورية مجاورة لفلسطين قد تشكل خطرا على مشروعات الصهيونية فيها.

وفي جلسة العصبة رقم (٩٦) في ١٩٣٧/١/٢٧ استعرض المجلس تقرير (ساندلر) الذي اقترح جعل اللواء وحدة سياسية منفصلة تتمتع باستقلال تام في شؤونها الداخلية، اما شؤونها الخارجية فتقوم بادارتها الحكومة السورية ضمن حدود وقيود، وجعل اللغة التركية هي اللغة الرسمية فقط، واقترح انشاء نظام خاص وقانوني اساسي، وضمن تقريره مشروع النظام الخاص، واقترح تعيين لجنة خبراء لدرس مختلف الامور، واشار الى ان بعثة الملاحظين ستنتهي في ١٩٣٧/١/٣١ واقترح تمديدها الى ١٩٣٧/٣/١٥ لتزويد المقرر بالمعلومات[61]. فوافق المجلس على تقرير ساندلر واصدر قراراه بذلك. وتمت بذلك مقدمات ما اراده الاتراك، وابتهجت العصبة بحل النزاع بالطرق السلمية في حين تحملت سورية اعباءه ونفقاته[62]. وتبادل

[60] A.A.E.S.-L,Vol495, P.187.

[61] A.A.E.S.-L,Vol495, P.187; Puaux, Deux annees au levant, P.49-51.

[62] نجيب الارمنازي، المصدر السابق، ص١١٠؛
Haye et Vienot: Les relations de la france, P.53.

المندوبون كلمات الشكر والمدير[63]. واتضح ان قرار العصبة كان ناتجا عن اتفاق تام بين الحكومتين الفرنسية والتركية حيث دارت الاتصالات والمباحثات في اروقة عصبة الامم منذ ١٩٣٧/١/٢١ حتى تم التوصل الى القرار في ١٩٣٧/١/٢٧.

وشكل مجلس العصبة (لجنة الخبراء) في ١٩٣٧/٢/٢٠ وبدأت اجتماعاتها منذ ١٩٣٧/٢/٢٥ وحتى ١٩٣٧/٣/١٧ وتلقت مقترحات الخبير التركي والخبير الفرنسي ومعلومات واسعة من (لجنة الملاحظين) عن تقسيم اللواء واحصاء سكانه ولغات اهله، ثم عقدت جولة اخرى من الاجتماعات منذ ٤/٢٢ الى ١٩٣٧/٥/١٥ حتى تمكنت من وضع مشروع النظام الخـاص الذي بين وضع اللواء الدولي والقانون الاساسي الذي يبحث في التنظيم الداخلي للواء[64].

وقدم (ساندلر) الى مجلس العصبة تقرارا في ١٩٣٧/٥/٢٥ لخص فيه اعمـال لجنة الخبراء ومحتويات النظام والقانون على ان يبدأ تنفيذ احكامها منذ ١٩٣٧/١١/٢٩ وسيمر اللواء بثلاثة اطوار: اولها يبدأ في ١٩٣٧/١/٢٩ وحتـى اجتمـاع المجلـس التمثيلي للواء وتكون فيه فرنسا صاحبة اللسطات والثاني منذ اجتماع المجلس وتشكيل الحكومة وحتى نهاية الانتداب والثالث يتحرر فيه اللواء من الانتداب فتقـوم سـورية وفرنسا وتركيا بادارة شؤونه الخارجية[65].

وفي اليوم نفسه ١٩٣٧/٥/٢٩ عقد الوفدان والفرنسي والتركي اتفاقية ضـمان للمحافظة على كيان اللواء واستقلاله ونظامه الجديد، وعقدوا ايضا اتفاقيـة لاحتـرام

---

[63] شكر اراراس جهود (ساندلر) ومدح الصداقة الفرنسية التركية، واثنى على جهود (ايدن) وزير الخارجية البريطانية، واثنى (دلبوس) ايضا على (ساندلر) و (اراراس) واواصر الصداقة الفرنسية التركية وبين سورية وتركيا، ومدح (ايدن) ايضا والتفاهم للمحافظة على الهدوء الدولي، وكذلك هنأ مندوب الاتحاد السوفيتي الوزيرين الفرنسي والتركي على الصداقة والحل ومدح (ساندلر) مجيد خدوري، قضية الاسكندرونة، ص٥٧-٥٩؛ ويورد الكيالي/ بيانا عن موقف الاتحاد السوفيتي صدر فيما بعد تجاه قضية الاسكندرونة اصدره مكتب الانباء السوفيتي في ١٩٤٧/٩/٧ ايد فيه حق سورية في اللواء بعدما ضاع واستعرض فيه تاريخ القضية، نص البيان: الكيالي، المراحل، ج٤، ٣٢٩-٣٣٥.

[64] كانت اللجنة برئاسة بلجيكي وعضوية فرنسي (Ropert de Caix) وانكليزي وهولندي وتركي والمقرر (ساندلر) وهو مندوب السويد، مزيد من التفاصيل حول لجنة الخبراء وقرار مجلس العصبة. مذكرات المجلس النيابي السوري ١٩٣٧، ص٧٤٧.

[65] تكلم (دلبوس) في نهاية الجلسة عن رضا فرنسا باتباع طريقة الوفاق السياسي لحل قضية الاسكندرونة، تفاصيل مبادىء النظام في: الكيالي، المراحل، ج٤، ٣٤٢-٣٥٩؛ الارمنازي، سورية، ص١١٠.

وقد افاضت التقارير الفرنسية في الحديث عن النظام والقضية والاتفاق الفرنسي التركي، كتقرير وزارة الخارجية لعام ١٩٣٧ وتقرير المفوضية الفرنسية لعام ١٩٣٧، المرفوق الى وزير الخارجية.
A.A.E.S.-L,Vol495, P.186-187.

الحدود التركية السورية واخرى لضمان استقلال سورية ولبنان، وبروتوكولات ورسائل متبادلة حول هذه المواضيع[66]. وفرح الاتراك بانتصارهم[67]. كما حصل اتاتورك خلال تظاهرة ضعبية في انقرة في حزيران ١٩٣٧، من سفير فرنسا (بونسو) على وعد بنقل طلبات الشعب التركي لضم اللواء اليهم الى فرنسا، فاعلن اتاتورك للمتظاهرين بان هاتاي (التسمية التركية للمنظمة) ستنضم قريبا الى تركيا فعلت هتافات المتظاهرين بحياة تركيا وفرنسا[68].

وهكذا كانت فرنسا تتساهل وتتنازل[69] والعصبة تقرر مايريده المسيطرون عليها، بحجة ان قضية الاسكندرونة تهدد السلام الاوربي، ولذلك تم حلها سلميا على حساب سورية وحقوقها التاريخية والقومية والاقتصادية[70]. واقتصر التأييد العربي لسورية على بعض الجهات عن طريق الصحافة او ارسال برقيات الاحتجاج الى العصبة، كاللجنة العربية في فلسيطن ونادي الطلبة السوريين في مصر وبرقيات من العراق، كما كانت مقالات الصحف العربية شديدة اللهجة[71].

٥.موقف الحكومة السورية من اعلان فصل الاسكندرونة :

بعد ان اتضح نجاح الكتلة الوطنية في الانتخابات النيابية السورية، مما يعني استلام رجالها السلطة، فقد بدأت مسؤوليتهم عن قضية الاسكندرونة التي دخلت مرحلة جديدة، لذلك ارسل فينو (Vienot) كتاب في ١٩٣٦/١٢/١٩ الى الرئيس هاشم الاتاسي اشار فيه الى طلب تركيا المباحثة حول حدود سورية، وذكر ان الامور اتجهت الى حمل الموضوع الى مجلس العصبة، وطمأن الرئيس بان المجلس سينظر في الامور بطريقة تعارض مدعيات الاتراك واكد ان فرنسا تضع نصب عينيها الدفاع عن حقوق سورية، وارفق بكتابه محاضر جلسات مجلس العصبة[72].

---

[66] ضم الوفد الفرنسي (دلبوس وفينو ودوركيه) والتركي (روستو واراراس وماسيفلي وسوياك)، ينظر:

A.A.E.S.-L,Vol495, P.187-188.

[67] ابرم المجلس الوطني التركي الكبير الاتفاقيات الفرنسية التركية في ١٩٣٧/٦/١٤، واثنت الصحف التركية وهي ناطقة بلسان حكومتها على التسوية التي تمت في جنيف واعتبرتها نصرا للحكومة التركية، مجيد خدوري، قضية الاسكندرونة، ص٧٨.

[68] يوسف الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي، دار النهار للنشر ، بيروت،١٩٨٣، ص٢٨٢-٢٨٣.

[69] اعترف بذلك بعض الفرنسيين ومنهم المفوض السامي (بيو) ؛ Puaux G: OP.Cit, P.51.

[70] نجيب الارمنازي، المصدر السابق، ص١١٠.

[71] تفصيل ذلك ينظر: مجيد خدوري، قضية الاسكندرونة، ص٧٩-٨٠؛ الكيالي، المراحل، ج٤، ٣٤١.

[72] Vienot Pierre: Le Traite franco- syrien, Impr.F,Jallous, Paris, 1939,P.10.

وفور اكتمال قيام الحكم الوطني، اشار رئيس الوزراء جميل مردم الى قضية الاسكندرونة في اول بيان للحكومة امام المجلس النيابي في ١٩٣٦/١٢/٢٢ وذكر انها مشكلة خطيرة تواجه الحكومة في عهدها الجديد، وان الحكومة حريصة على الصلات الطيبة مع الجارة تركيا وشعبها[73].

واشار تقرير لجنة المعاهدة في المجلس النيابي في ١٩٣٦/١٢/٢٦ الى ظهور قضية الاسكندرونة ومطالبة تركيا باللواء، واكد التقرير ان اللواء جغرافيا جزء من سورية وسكانه عرب سوريون في اكثريتهم الساحقة، وان من كان منهم تركيا من حيث اللغة فهو سوري الجنسية، وحث التقرير الحكومة للحفاظ على اللواء، ثم جرى اقرار المعاهدة في المجلس النيابي الذي اشترك فيه نواب من اللواء كباقي اجزاء سورية[74].

وباشرت حكومة الكتلة الوطنية اعمالها تجاه قضية الاسكندرونة بتهيئة الدعاية التي تعبر عن الرأي العام السوري الحقيقي في الجرائد الخارجية والداخلية، وارسلت الرسل الى اللواء لتقوية معنويات العرب وتشجيعهم على مقاومة الدعايات التركية التي كان يروج لها المأجورون من الاتراك واللوائيون الناقمون، ونشطت همت عرب اللواء وامدتهم بالمال ليؤسوا انديتهم وجمعياتهم ومدارسهم التي تعمل لمصلحة اللواء ومصلحة العرب اخوانهم[75].

ومع توارد اخبار قضية الاسكندرونة وتطوراتها، فان سورية كانت تغلي وتجري فيها المظاهرات والاضرابات والاحتجاجات في المساجد والمقالات في الصحف، ومهاجمة فرنسا[76].

وقد امتد النشاط التركي الدعائي الانفصالي في اللواء الى اكراد (وادي قره صو) واكراد جبل كردراغ خارج اللواء وفي المناطق الحدودية السورية المجاورة لتركيا ، حيث جرت بعض الاتصالات مع عدد من زعمائهم في الفترة من ٩-١٩٣٧/١/١٢ لدفعهم للمطالبة بالالتحاق باللواء ولتقديم العراض الى العصبة بذلك، كما امتد النشاط الدعائي التركي ايضا الى قبيلة التركمان في منطقة جرابلس، ثم جرت

---

73 نجيب الارمنازي، المصدر السابق، ص١٠٧-١٠٨.

74 مذكرات المجلس النيابي السوري ١٩٣٦، الجلسة الخامسة ليوم السبت ١٩٣٦/١٢/٢٦، وتضمنت المعاهدة ضم منطقتي اللاذقية والسويداء الى سورية بينما كان اللواء جزءا رسميا من سورية يتمتع بنظام اداري خاص، يوسف الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي ، ص٢٧٧.

75 الكيالي، المراحل، ج٤، ٣٣٥-٣٣٦.

76 Jons, J.N.: La fin du mandat fraucais, P.130.

لقاءات مع جمعية (هاتاي) في كلس ثم مع مندوب العصبة، وقام الاتراك بتوزيع القبعات التركية مجانا على الفلاحين الاكراد[77].

وكانت المفوضية الفرنسية ترصد هذا النشاط الدعائي وتتابع موافاة وزارة الخارجية الفرنسية بالتقارير التفصيلية عن الاوضاع في اللواء ، وعن الدعاية التركية فيه وفي مناطق شمالي سورية، وتبين اطماع تركيا في حلب، حيث انتشرت دعاية تقول انه لايمكن لحلب ان تعيش بدون تركيا ولابدون اللواء[78].

وتابعت (لجنة الملاحظين) عملها في اللواء، واطلعتها الحكومة السورية على كل ما عندها من اخبار وحجج ووثائق تبطل مدعيات الترك وتبين رأيها بأن بقاء اللواء ضمن الوحدة السورية خير له ولسلامة البلاد الشمالية، واكدت ان اكثرية سكان اللواء (العرب والارمن) يصرون على ارتباطهم بوطنهم السوري واقتنعت اللجنة ، واشارت في تقريرها الى الاكثرية العربية، وشاهدت اللجنة حوادث شديدة في قرية الريحانية، وشاهدت النشاط الدعائي التركي والعربي[79].

ولعل الحكومة الوطنية لاحظت ان دوريو (Deriant) وكيل المندوب السامي الفرنسي في اللواء يقاوم الحركة الوطنية السورية والروح العربية، وينفذ المشاريع السياسية الاستعمارية الفرنسية لابقاء اللواء مستقلا تحت انتداب فرنسا وسلطاتها، وهذه السياسة نشرت اللغة الفرنسية والتعليم الفرنسي اجباريا وروجت الثقافة التركية ووسعت التعليم بالتركية، في حين قاومت الصحافة السورية وارتباط اللواء بالوحدة السورية، وقد اضطهد (دوريو) الشباب المتحمس للعروبة (من العرب المسيحيين والعلويين والسنيين) ومال الى الاتراك الطورانيين لينال تأييدهم، وكان ذلك في نفس الوقت الذي كان فيه حسني البرازي حاكما للواء يمثل الجمهورية السورية، ولذلك فان الحكومة سعت لدى المفوضية العليا لسحب (دوريو) والحث على ذلك[80].

---

[77] من رسالة المفوضية الفرنسية في بيروت في ١٩٣٧/١/٢٨ الى وزير الخارجية الفرنسية عن حالة الاكراد في شمالي سورية، وهي برقم ١٠١ ومرفق بها التقرير المفصل لمندوب فرنسا في حلب في ١٩٣٧/١/١٥.

A.A.E.S.-L,Vol495, P.134-146.

[78] اشارت الى ذلك رسالة المفوضية الفرنسية رقم ٣٣٦ في ١٩٣٧/٣/٢٦ الى وزير الخارجية الفرنسي والمرفق به مذكرة في ١٩٣٧/٣/٢٢ حول الوضع السياسي في الجزيرة العربية والمناطق السورية الشمالية:

A.A.E.S.-L,Vol495, P.147-159.

[79] **A.A.E.S.-L,Vol495, P.188.**

[80] ويقول الكيالي ايضا: اثرى دريو من اللواء واستبد في اموره كحاكم مطلق وعمل بكل ماأوتي من مال وقوة وسلطة لتنفيذ مآربه الخاصة والمشاريع السياسية، وقد عزلته الحكومة الفرنسية من عمله فيما بعد، وغادر اللواء نهائيا في ١٩٣٧/٦/٣٠، ويقول " كان حسني البرازي معينا من قبل

وتابعت الحكومة الوطنية تساريع تطورات قضية اللواء في العصبة وفي فرنسا، ويروي مردم ذلك بقوله "عند ورود اخبار القضية، احتجت الحكومة لدى وزارة الخارجية الفرنسية وعصبة الامم، وكانت معربة في ذلك عن رأي الامة التي شاركتها في جميع طبقاتها بالاحتجاج والشكوى، وقررت ان ترسل رئيس الوزراء ووزير الخارجية والداخلية والدفاع عن حقوق سورية في باريس وجنيف"[81].

وغادر الوفد السوري في ١٩٣٧/٢/٣ الى باريس اولا وقابل وزير الخارجية الفرنسي (دلبوس) ووكيله (فينو) ثم توجه الى جنيف وعاد الى سورية دون ان يفوز من الرحلة بطائل، وتجنب في طريق عودته عبر تركيا التفاوض مع الاتراك بناء على طلبهم، حيث استقبلهم في محطة انقرة القائم باعمال السفارة الفرنسية متظاهرا انه لا رأي له في بقائهم او عدمه، ولكنه في الحقيقة كان يحبذ عدم بقاء الوفد[82].

ولما قدمت الحكومة بيانها الى مجلس النواب في ١٩٣٧/٤/١٧ شرحت تطورات القضية وتحدث نائب اللواء صادق معروف بأسم زملائه واكد ان اللواء سوري عربي[83].

ولما تحدث رئيس الوزراء امام المجلس النيابي في ١٩٣٧/٥/٢٥، اعلن عن سفره الوشيك ضمن وفد اخر لمتابعة القضايا وعلى رأسها قضية الاسكندرونة وقال "ان غايتنا الاساسية هي ان نؤمن استقلال بلادنا وسيادتنا وصداقتنا مع حليفتنا الدولة الفرنسية، وان نؤمن احسن العلائق واطيبها مع جارتنا تركيا على شرط ان لاتمس حقوقنا وسيادتنا"[84].

وفي الجلسة نفسها قدم وزير الخارجية والداخلية بيانا عن تطورات القضية وذكر ان وفد الحكومة السابق قدم مذكرة غير رسمية شرح فيها وجهة النظر السورية،

الفرنسيين، الكيالي، المراحل، ج٤، ٣٣٥-٣٣٦؛ وابدى اتراك اللواء رأيهم بـ(دريو) بانه يعمل على بقاء اللواء تحت السيادة الفرنسية ورأوا في ذلك معارضة لتسليمه الى تركيا، وانه بعد ان عمل على التحضير لحزب يعمل على استقلال اللواء تحت الانتداب الفرنسي وهو (حزب اتحاد العناصر) وقد نجح في ذلك في شباط ١٩٣٧، م.ن.بالقير، هاتاي، ص٨٩-٩٠.

[81] وقال مردم عند ورود اخبار الاتفاق وتقرير ساندلر وقرار العصبة بالاستقلال اللواء ذاتيا" من بيان مردم في ١٩٣٧/٤/١٧ امام المجلس النيابي، نص البيان في مذكرات المجلس النيابي السوري ١٩٣٧، ص١٢-١٤.

[82] اضافة الى مردم والجابري، ضم الوفد نجيب الارمنازي امين عام رئاسة الجمهورية السورية، نجيب الارمنازي: سورية من الاحتلال حتى الجلاء، ص١١٢.
وعن جهود مردم والجابري اثناء سفرتهما الى باريس وجنيف:
Jons, J.N.: La fin du mandat fraucais, P.131.

[83] عن البيان ايضا في :الكيالي: المراحل ،ج٤/٣٣٧-٣٣٩.

[84] نص الكلمة في : مذكرات المجلس النيابي السوري ١٩٣٧، ص٨٧٩-٨٨٠.

وان الحكومة ارسلت (حسن جبارة) ثانية كمساعد للخبير الفرنسي من الناحية الفنية في (لجنة الخبراء) ولكن جاءت الاخبار بان اللجنة اتجهت اتجاها لايضمن تحقيق الطلب الذي قدمته الحكومة فاستدعته فعاد في ١٩٣٧/٥/٢٣، ولم يكن ذلك عن تأثير أي دولة او هيئة، وذكر ان الحكومة رفضت قيام أي اتصال باللجنة وان تقريرها وصل اليوم وستدرسه الحكومة[85].

وفي الوقت نفسه كانت الجهود مستمرة في عصبة الامم لوضع النظام الخاص والقانون الاساسي للواء، وكان لذلك ردود فعل في سورية على مختلف المستويات للوقوف في وجه المؤامرة الدولية لسلخ اللواء من سورية ومن ثم تسليمه الى تركيا، ولذلك غادر الوفد الثاني للحكم الوطني في ١٩٣٧/٥/٢٧ الى باريس وجنيف لمتابعة قضية اللواء، ولكن العصبة اقرت النظام والقانون في ١٩٣٧/٥/٢٩ ومع ذلك فان فكرة تجزئة اللواء عرضت على مردم في تركيا اثناء عودته من قبل رئيس وزراء تركيا وبحضور سفير فرنسا[86].

وبعد صدور قرار العصبة اعدت الحكومة السورية مذكرة اضافية ارسلتها الى وزارة الخارجية الفرنسية في حزيران ١٩٣٧، فندت فيها بشيء من التفصيل محتويات قرار مجلس العصبة وبينت حق سورية في اللواء، وان ماتم اتخاذه قد جرى من غير ان يؤخذ رأي السكان ذوي العلاقة[87]. الا انه بدا عدم تصلب الحكومة في موقفها من القضية اذ لعل بعض رجال الحكم كانوا يروا السكوت يجري من اجل استمرار الحكم في سورية والحصول على الاستقلال[88]، ولعل موقف مردم كان بسبب خشيته من

---

[85] لقد قيل ان حسن جبارة سحب بناء على طلب تركيا، ويشير الكيالي الى ان هذه المذكرة وغيرها لم يجد لهم اثرا في سجلات وزارة الخارجية السورية لان الفرنسيين استولوا على الاوراق الرسمية واتلفوها بعد ان ترك الوزارة في عام ١٩٣٩، الكيالي، المراحل، ج، ٢٣٩-٣٤١، ٣٥٩؛ ونص كلمة الجابري في : مذكرات المجلس النيابي السوري، ١٩٣٧، ص٨٧٨-٨٧٩.

[86] ضم الوفد (مردم والجابري والارمنازي) ويذكر الارمنازي ان الوفد تلقى اثناء عودته عن طريق تركيا دعوة عن طريق السفير الفرنسي للاجتماع برئيس وزراء تركيا، واستقر الرأي على بقاء مردم وحده واجتمع مع اينونو بحضور بونسو حيث عرضت فكرة التجزئة، نجيب الارمنازي، سورية من الاحتلال حتى الجلاء،ص١١٢-١١٣؛ وانظر: مجيد خدوري، قضية الاسكندرونة، ص٧٣-٧٤؛ يوسف الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي، ص٢٧٣.

[87] ملخص المذكرة، مجيد خدوري، المصدر السابق، ص٧٠-٧٣، وعنها ايضا في: الارمنازي، المصدر السابق، ص١٥٨.

[88] انظر رسالة احمد قدري الى شكري القوتلي في ١٩٣٧/٦/٢٧التي ترضي بقبول قرارات جنيف لضمان استمرار الدولة السورية في :قرقوط، تطور الحركة الوطنية في سورية، ص٣٠٢-٣٠٣.

الاصطدام مع الفرنسيين فعد خسارة الاسكندرونة لاتستحق كل الاهتمام لان الاتـراك سيكونوا هم الخاسرين بضم العرب اليهم[89].

وقد حرك موضوع الاسكندرونة والحديث عن اهمية ميناء الاسكندرونة لسورة، مطلب اعضاء ميناء طرابلس لسورية بدلا منه، مما سبب انزعاجا في الاوساط اللبنانية، كما ان السكوت عن اعطاء اللواء لتركيا قد اثار الخوف من مطالبة تركيا (بحلب) لوجود بعض السكان الاتراك فيها[90].

وشارك المجلس النيابي الحكومة الوطنية بالاهتمام بقضية الاسكندرونة، ولذلك لم تخل جلساته من استعراض اخر اخبارها ومناقشة بيانات رئيس الوزراء والوزراء حولها من قبل مؤيدي الحكومة ومعارضيها وبمشاركة نواب اللواء، وقد عقب النواب على بيان مردم في ١٩٣٧/٤/١٧ واظهروا عتابهم لتركيا على موقفها واكدوا عروبة اللواء واهميته لسورية وللعرب[91].

ومع توارد الاخبار التي لاتطمئن من اخر تطورات القضية، لذا طالب النواب في جلسة ١٩٣٧/٤/٢٤ ان توافيهم الحكومة بما لديها من معلومات عن سير القضية في جنيف ومصير هذا اللواء العربي وطالبوها بتصريح عما قامت وماستقوم به، وتساءل احد النواب عن موقف فرنسا بقوله "ان فرنسا تعطينا المعاهدة باليد اليسرى وتأخذ منا الاسكندرونة باليد اليمنى فقد كفى ما اقتطع من البلاد السورية حتى الان وهي عزلاء لاحول لها ولاقوة"[92].

---

[89] من منكرة انطوان سعادة رئيس الحزب القومي السوري، الاحزاب في سورية ، ص٨٩؛ واشار بيو الى ان اهتمام السوريين في امر الاسكندرونة كان قليلا لان حدود اللغة التركية والعربية لم تكن واضحة المعالم:

Puaux, G. Deux annees au levant, P.54.

[90] Jons, J.N.: La fin du mandat fraucais, P.131-132.

[91] على سبيل المثال كلمة النائب صادق معروف عن زملائه نواب اللواء"ان جارتنا العزيزة تركيا ترغب بانفصال اللواء انفصالا تاما، وجرائدها تصرخ وتهدد قائلة بانها ستأخذ حقها بالقوة اذا لم تنل مطالبها، هذا مع انه لاحق لها بهذا اللواء من أي وجه كان، وهو سوري عربي منذ اقدم الاجيال حتى تاريخه، والتاريخ يثبت بلا ريب وهذا ما اقلق راحة السكان العرب والارمن الذين يشكلون ثلثي السكان والذين هم مستعدون للتضحية... واني اقدم شكري للحكومة الفرنسية الفخيمة ام الحرية والعدل لمدافعتها عن حقنا الصريح"، وقدم نائب الاسكندرونة الشيخ داود تقرير طالب فيه بضم اللواء الى سورية وبعض الاصلاحات: ينظر: مذكرات المجلس النيابي السوري، ١٩٣٧، ص٨-٤٩؛ الجلسات الاولى والثانية في الدورة العادية الاولى في ١٦-١٩٣٧/٤/٢٢، وكان نواب اللواء يشاركون في مناقشة جميع القضايا السورية، على سبيل المثال: تقرير نائب انطاكية حول الضرائب في جلسة ١٩٣٧/٤/٢، وتقرير نائب قرقخان حول الضريبة على الزراعة في جلسة ١٩٣٧/٤/٢٤.

[92] مذكرات المجلس النيابي السوري ١٩٣٧، الجلسة الرابعة في ١٩٣٧/٤/٢٤، ص٥٠.

ولعل بعض النواب لاحظوا ان اثارة تركيا لقضية الاسكندرونة مرتبطة بقضية سورية كلها وبالمعاهدة، لذا اكدوا انه لافصل بين القضيتين، وتساءلوا عن مصير سورية والمعاهدة ، اذ اخرج اللواء من نطاق السيادة السورية لان دستور سورية ينص على ان تسوية وحدة سياسية لاتتجزأ. ففي هذه الحالة تتحلل سورية من المعاهدة، واتهم هؤلاء النواب الحكومة باخفاء المعلومات عن المجلس والشعب، فكان هجوم النواب شديدا على موقف الحكومة والعصبة وفرنسا والمعاهدة واعلنوا اصرارهم على التضحية[93].

ولما علم النواب بقرار عصبة الامم في ١٩٣٧/٥/٢٩ باقرار نظام اللواء وقانونه الاساسي، بدأوا نقاشا حاميا وطالب بعضهم بضرورة ابلاغ الوفد السوري الذي سافر في١٩٣٧/٥/٢٧ بأن المجلس لايعترف بقرار العصبة، في حين طالب اخرون بانتظار نتيجة عمل الوفد، وتحدث احد النواب عن موقف عرب اللواء والارمن واستعدادهم واستغرقت هذه المناقشات جلستي يوم ١٩٣٧/٥/٣١ حتى اتخذ المجلس قراره التاريخي باستنكار قرار العصبة، وكان مدفوعا بالمظاهرات الشعبية الصاخبة[94].

وشارك نواب اللواء في هذه المناقشات واعلنوا رفضهم لفصل اللواء عن سورية، وكذلك تحدث رئيس الوزراء بالنيابة ووزير المالية والدفاع الوطني شكري القوتلي فقال "ان الوفد الذي سافر في ١٩٣٧/٥/٢٧ الى الغرب ليرجى له ان يعود موفقا ومؤيدا بفضل حججه القوية، وان الحكومة تعبر عن رأي المجلس الموقر وعن اماني ورغبات الامة"[95].

ولكن الوفد لم يستطع ان يفعل شيئا،واثناء عودته توقف رئيسه مردم في تركيا، بينما عاد الجابري فلم يتمكن من تبديد الشكوك وازدياد الشبهات حول رئيس الوزراء او الدفاع عنه، ولما عاد مردم ووقف متحدثا عن سفرته امام المجلس النيابي ، لم يستطع الرد على انتقادات نواب المعارضة لضعف الحكومة وجود الوزراء بعد اعتلائهم كرسي الحكم[96].

---

[93] مذكرات المجلس النيابي السوري ١٩٣٧، الجلسة الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة في الفترة من ١٩٣٧/٤/٢٤-١٩٣٧/٥/٢٥، ص٨٥٠-٨٨١.

[94] تحدث النائب منير العجلاني عن موقف سكان اللواء واثار حمية المجلس بما عرفه من اخبار لاتخاذ قرار يؤكد على عروبة اللواء ورفض قرار العصبة، مذكرات المجلس النيابي السوري، ١٩٣٧، ص١١٥٦-١١٥٧؛ الجلسة ٢٢، ٢٣ في ١٩٣٧/٥/٣١، ص١٠٤٩-١١٥٧، وينظر، الكيالي: المراحل، ج٤/٣٤١-٣٤٢؛ مجيد خدوري، قضية الاسكندرونة،ص٧٤-٧٥.

[95] تحدث نائب اللواء صادق معروف باسم زملائه نواب اللواء واعلن ان اللواء سوري عربي الى الابد ان شاء الله، وكذلك نائب اللواء داوود ريحان الذي اعلن رفض فصل اللواء، وصفق النواب لكلمة القوتلي، مذكرات المجلس النيابي السوري ١٩٣٧، ص١١٥٦-١١٥٧.

[96] يوسف الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي، ص٢٧٣-٢٧٤.

وما ان علم السوريون بقرارات العصبة حتى هاجت البلاد واحتجت وابرقت وقامت التظاهرات الصاخبة في كافة المدن السوريةواللبنانية والتي تختتم ببرقيات احتجاجية الى المفوض السامي ووزارة الخارجية الفرنسية وعصبة الامم، وكثيرا ماكانت لجهة البرقيات شديدة الى حد التصريح بسفك الدماء واستعمال العنف والقوة اذا اقتضى الامر، وكتبت الجرائد السورية المقالات العديدة الشديدة اللهجة باستنكار ماقررته العصبة وعدت عملها ازدراء بحقوق السوريين وتآمرا على بلادهم[97].

ولما كان توقف مردم في تركيا (اواخر حزيران ١٩٣٧) قد اثار الشكوك وزاد في الشبهات حوله، ولذا في اليوم التالي لوصوله الى دمشق (١٩٣٧/٦/٣٠) قامت تظاهرة شعبية صاخبة اعلن فيها المتظاهرون نقمة الشعب على الحكومة والكتلة الوطنية والسياسة الاجنبية وتوقفوا امام مقر الحكومة في ساحة المرجة بدمشق وهم يصيحون باقبح النعوت، مما اضطر رئيس الوزراء الى الظهور في شرفة مكتبة المطلة على جميع المتظاهرين قائلا بصوت عال "ان اسكندرونة عربية ولن تنفك عن امها سورية فكونوا باطمئنان" حينئذ سار المتظاهرون في طريقهم ثم تفرقوا باشارة من زعمائهم وابرزهم الشيخ كامل القصاب، بانتظار ماسيلده الغد من حوادث حول الاسكندرونة[98].

٦.موقف سكان اللواء من قرار الفصل عن سورية:

كانت حالة السكان في اضطراب وغليان شديدين عندما كانت المفاوضات تجري بين تركيا وفرنسا في جنيف ولاسيما ان انقسامهم الى طوائف عنصرية ودينية ومذهبية قد زاد في شدة التطاحن وتضارب الدعايات بين الاحزاب والجماعات المختلفة، ويمكن تحليل التيارات الفكرية المختلفة وموقفها من قضية اللواء كما يلي:

فالاتراك كانوا منقسمين على انفسهم من حيث شعورهم نحو الجمهورية التركية، وهو امر مهم فيما يتعلق بمستقبل اللواء، فالمتجندون وجلهم من الجيل الجديد ، معجبون بالحركة الكمالية ومتحمسون جدا لحركة الانفصال عن سورية والالتحاق بتركيا، واشتمل هذا الفريق على اكثرية اتراك اللواء، وكان له حزب منظم وجمعية سياسية تستمد تأييدها من الحكومة التركية، ولها اتصال بجمعية هاتاي في تركيا، واصدر هذا الحزب بضع جرائد، وقد عد هذا الفريق ان قرار مجلس العصبة خطوة لضم اللواء الى تركيا، وكان يعلن دائما ان مصير اللواء سيكون للجمهورية التركية وان وراء ذلك فوائد اقتصادية لسكان اللواء.

---

[97] الكيالي، المراحل، ج٤/٣٤١-٣٤٢، ٣٥٩؛ مجيد خدوري، قضية الاسكندرونة، ص٧٤-٧٥. Jons, J.N.: La fin du mandat fraucais, P.131-132.

[98] يوسف الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي، ص٢٧٣-٢٨٣.

والفريق التركي الثاني اقل عددا وجله من المحافظين وهو متدين ويرى في الحركة الكمالية خروجا على الدين، على ان ميول هذا الفريق لم تكن مع العرب بل كانت تؤيد بقاء الوضع الراهن تحت الحكم الفرنسي، اما الفريق الثالث وهو قليل العدد ايضا، فقد وقف موقفا محايدا[99].ولم يظهر ميوله الى احد الجانبين[100].

وكانت الدعاية التركية قد نشطت لطلب الانفصال والحديث عن اضطهاد العرب للترك في اللواء، وتقدم الانفصاليون بعرائض وحاولوا استجلاب طائفة من العرب المسلمين الى جانبهم مدعين ان اصلهم تركي ومشيرين فيهم الخوف من حكم دمشق المسلمة واملوا ان يموتوا الى جانبهم[101]. واشار المفوض السامي الى اشتداد نشاط الدعاية التركية في اللواء بعد صدور قرارات العصبة وامتدادها الى مناطق شمالي سورية والجزيرة[102].

وهكذا استغل الاتراك في الاسكندرونة وانطاكية ضعف حكومة دمشق وطالبوا بالاستقلال ، فكان ذلك اول خطر هدد وحدة اراضي دولة سورية[103].

---

99 كانت الحركة الكمالية قد اضطرت جميع الاتراك في الجمهورية التركية على لبس القبعة، ثم وزعت القبعات على اتراك اللواء بالمجان كاحدى وسائل الدعاية، وجرى حثهم على ارتدائها، ولبسها هذا الفريق رمزا لهم وولاء للحركة الكمالية، وصار هذا الفريق يسمى (اصحاب القبعة) ومن زعمائه عبد الغني تركمان والدكتور عبد الرحمن ملك زاده، مجيد خدوري، قضية الاسكندرونة، ص٧٦-٧٧.

100 ارتدى الفريق الثاني الطربوش رمزا له، وارتدى الفريق الثالث رمزا لحياده، القبعة الفرنسية المستديرة المسماة ببريه (Biret) . خدوري، المصدر السابق، ص٧٧؛ وقد اشار الفرنسيون في تقاريرهم الى انقسام الاتراك وصراعهم ومن جملته لباس القبعة وحجاب النساء الذي فرض على الاتراك ازالته. انرظ تقرير فرنسا الى عصبة الامم: A.A.E.S.-L, Vol,495, P.32.

101 الكيالي: المراحل، ج٤/٣٣١. وقد ادعى اراراس وزير الخارجية التركي ان العلويين في اللواء ليسوا عربا ولايريدون ان يكونوا عربا،انظر حديث اراراس مع احمد قدري في ١٩٣٧/٦/٢٧ في قرقوط تطور الحركة الوطنية في سورية، ص٣٠٣.

102 رسالة المفوض السامي في ١٩٣٧/٧/٧ الى وزير الخارجية الفرنسي:
A.A.E.S.-L, Vol, 495, P.32-36.
وقد سبقت الاشارة الى حدوث عدة اضطرابات في قرية الريحانية في اللواء ، وقع على اثرها عدة ضحايا وشاهد في لجنة الملاحظين ذلك تقرير فرنسا الى العصبة ، ينظر: A.A.E.S.-L, Vol, 495, P.188.

103 وقد وصل تأثير الدعاية التركية الى قريتين تركيتين خارج اللواء وهما (صليبة التركمان وبرج اسلام)، وكانتا قد اختطفتا بشخصيتهما في المنطقة، ولم يكن النساء والاطفال فيهما يفهموا كلمة عربية واحدة، كما ان البستهم وشكلهم يختلف عن القرى المحيطة واثناء المطالبة التركية بسنجق الاسكندرونة استيقظ تعصبهم فجأة ولبس القرويون حالا القبعة رمزا للتركية الكمالية في اذار ١٩٣٧:
Jons, J.N.: La fin du mandat fraucais, P.47.

اما الارمن اللاجئون في اللواء فانهم وقفوا كافة موقفا معاديا للاتراك، ولاريب ان ذلك بسبب صلاتهم السابقة معهم، وقد تعاون قسم منهم مع السلطة المنتدبة لتأييد قرار العصبة لانه رأى مصلحة الارمن في بقائهم في اللواء تحت رعاية فرنسا، وخافوا من بقاء اللواء جزءا من سورية تحت حكم دمشق، وكان من هذا القسم جماعة الطاشناق او الحزب الملكي التي ايدت حزب الاتحاد الوطني، وجماعة حزب الهاشناق او الحزب الديمقراطي الميالة ايضا الى اقرار الوضع الجديد وممالئة السلطة الفرنسية المنتدبة، والقسم الاخر وجد ان مصلحته في بقاء اللواء جزءا من سورية ولاخوف على الارمن من ذلك لما في المعاهدة من ضمان لحقوقهم وحقوق غيرهم من اللاجئين، واشتمل هذا القسم على فئة اتباع الدكتور ماتوسيان التي تعاونت مع العرب مباشرة لمقاومة الاتراك حيث تألف حزب باسم (الحزب العربي الارمني) وكان اكثر اتباعه من الارمن، وفئة شباب الارمن العمال والمتطرفين الذين الفوا الحرب الشيوعي[104]. وقد خاف الارمن من التعرض للهجرة مرة اخرى[105].

وكانت (عصبة العمل القومي) اهم جمعية عربية في اللواء، وتضم تحت لوائها القسم الاكبر من عرب اللواء مسلمين ومسيحيين، وقد عرفت بمواقفها الصلبة وتحمسها الشديد لمصلحة العرب،واخلاصها لعقيدتها القومية، وهي التي وقفت من قرار العصبة موقفا سلبيا وكذلك قاومت كل مؤسسة اخرى تعترف به او تتعاون مع الفرنسيين، وحاربت اتباع الكتلة الوطنية في الشام واتهمتهم بانهم يريدون تسليم اللواء للاتراك، وقد اصدرت العصبة جريدة (العروبة) في ١٩٣٧/٣٠،١٠ كما اخرجت عدة منشورات دورية واسست نادي العروبة في انطاكية، ثم في اسكندرونة لبث الدعاية وتنظيم المقاومة وتوحيد الصفوف، واتخذت العصبة ارتداء السيدارة (وهو لباس الرأس المعروف في العراق في حينه) شعارا للجانب العربي وردا على ارتداء الاتراك القبعة الكمالية[106].

وهكذا بدا ان الفئات التي يمكن توحيدها في اتجاه الوحدة مع سورية كانت متفرقة مفككة تتنازعها تيارات مختلفة وتناقضات طائفية، فضلا على الصراع الشخصي بين بعض ابناء الطائفة الوحدة، وكما اكدت الوثائق الفرنسية ان الصراع بين العنصرين التركي والعربي كان عنيفا، وقد كان في كل قرية او حتى كل حي

---

[104] مجيد خدوري، قضية الاسكندرونة، ص٧٦-٧٧؛ وعبد الرحمن قاسملو، كردستان والاكراد، ص٧٢. وفيما بعد تحدث نائب ارمني في المجلس النيابي لدولة هاتاي، أي دولة الاسكندرونة المفصولة عن سوريا، بان الارمن هم من العرق التركي، م.ن.بالقير، هاتي الدولة المستقلة، ص٦٥.

[105] Hourani, A.H.: OP.Cit, P.145.

[106] مجيد خدوري، قضية الاسكندرونة، ص٧٦-٧٨.

مدرستين، واحدة عربية والاخرى تركية[107]. وهذا ماراده الاستعمار الفرنسي لسلخ اللواء عن سورية وتسليمه الى تركيا، مع ان الاتراك والفرنسيين كانوا يعرفون تماما بان الاتراك في اللواء اقلية.

٧. موقف سورية من تنفيذ فصل اللواء :

كان واضحا بعد قرارات العصبة، لدى كثير من الفرنسيين، ان فرنسا ستترك اللواء لتركيا[108]. وفي ١٩٣٧/٦/٢٩ رضيت فرنسا بتحقيق ذلك لضمان المضايق[109].ولذا باشرت فرنسا بتطبيق النظام الجديد للواء بانهاء عمل المندوب الفرنسي دوريو(Deriaut) فغادر اللواء نهائيا في ١٩٣٧/٦/٣٠[110]. وفي الجو المضطرب في اللواء، ذهب المفوض السامي بنفسه اليه في ١٩٣٧/٧/١٣ واجتمع في انطاكية بوجهاء من كل عناصر السكان والقى عليهم بيانا حدد فيه بالضبط الشروط التي سيتابعون بها حياتهم السياسية وبدأه بقوله "ياسكان السنجق، وحدثهم عن الامور التي ستجري من اجل التحضير للاتفتاء مستقبلا، وطالبهم بالقيام بمهمة التوعية حول الحالة الجديدة، وذكر ان اللواء سيكون وسيطا للصداقة بين تركيا وسورية وانه سيجري اخذ رأي جميع السكان من مختلف الاجناس واللغات، ودعاهم الى المحافظة على السلام[111].

---

[107] من تقرير المفوض السامي الفرنسي المرفوع الى وزارة الخارجية الفرنسية عن عام ١٩٣٧:
A.A.E.S.-L, Vol , 495, p.211.

[108] Tharaud, J. ct. J.Alerte en Syrie, P.6.

[109] الكيالي، المراحل، ج٤/٣٦٠. وعلي رضا، قصة الكفاح الوطني في سورية، ص٤٦٩.

[110] يذكر الكيالي ان الحكومة الفرنسية عزلته بعد الحاح عظيم من الحكومة الوطنية، الكيالي، المراحل، ج٤/٣٣٥-٣٣٦، ٣٦٠. بينما يذكر الحكيم ان (دوريو) اشرف على الانتخابات في اللواء فيما بعد مع محافظ اللواء ابراهيم ادهم ومدير الاستخبارات الكومندان كوله. يوسف الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي، ص٥٨٤.

[111] من التقرير الفرنسي عن عام ١٩٣٧ في وزارة الخارجية الفرنسية والمرفق به النص الكامل للبيان:
A.A.E.S.-L.Vol, 495, P.188-190.
وتقرير المفوض السامي الى وزارة الخارجية عام ١٩٣٧: A.A.E.S.-L.Vol, 495, P.211.
ونص البيان ايضا في تقرير فرنسا الى العصبة : Rapport a S.D.N, annee 1936, P.6-7.
وذكرت صحيفة (الطان) ان المفوض تحدث الى الصحفيين عن قضية اللواء be Temps 13/7/1937.

ثم وصل مندوب جديد للمفوض السامي في ١٩٣٧/٩/٦ هو غـارو (Reger Garreau)[112] . واعلن انه سيعمل على تنفيذ النظام الجديد بحزم وشدة، وافهم المحافظ السوري (حسني البرازي) ان عمل السلطات السورية سـينتهي فـي ١٩٣٧/١١/٢٩ ويحق للحكومة السورية حينئذ ان تعين المحافظ مندوبا لها (كوميسير) في اللـواء[113]. واختلف المحافظ مع المندوب الفرنسي فرأت الحكومة السورية ان بقاء البرازي يضر بالمصلحة العامة لاسباب عديدة فانهت خدمته[114]. واستمر غارو في تنفيـذ الـسياسة الفرنسية فاقال موظفي الحكومة السورية، والحقيقة انه عرف بتعاونـه مـع الجهـات التركية وان كان الترك قد طعنوا فيه لانه لم يلب كل مطالبهم ضد العرب[115].

وكان الصراع بين العرب والترك مستمرا كما ذكر المفوض السامي في برقيته في ١٩٣٧/٩/٢٨[116]، واحتجت الجهات العربية في اللواء الـى المفـوض الـسامي وعصبة الامم وقامت من جراء ذلك مظاهرات ووقعت بعض الاصطدامات بين العرب وانصارهم وبين قوات الجيش الفرنسي في انطاكية[117]. وفـي الوقـت نفـسه كانـت

ومما صرح به المفوض لوجهاء انطاكية ان مدة الانتقال في اللواء ستكون ثلاث سنوات حتى يتم استقلال اللـواء (أي بمقـدار الفتـرة الانتقاليـة للمعاهـدة الفرنـسية لـسورية). الكيـالي، المراحـل، ج٤/٣٦٠.

[112] كان غارو في سفارة فرنسا بمصر Rapport a S.D.N, annee, 1937, P.6. والكيالي، المراحل، ج٤/٣٣٥-٣٣٦؛ وكان غارو قد وصل بيروت في ١٩٣٧/٩/٢ وتباحث مع المفوض السامي ثم توجه الى الاسكندرونة ليبدأ مباحثات مع الزعماء المحليين من مختلف السكان في اللواء: Le Temps 4/9/1937.

[113] اعلن غارو انـه سياخذ على عاتقه اعباء الحكم المباشر بمالديه من صلاحيات مطلقة حتى لايفسح المجال لتدخل الاتراك الفعلي وارسالهم قوة عسكرية لحماية مواطنيهم (وهو ما وافقت عليه فرنسا بعد ذلك) من تقرير مكتوم بعث به محافظ اللواء حسني البرازي، نجيب الارمنازي، سورية من الاحتلال حتى الجلاء، ص١١٦.

[114] ان المنـدوب الفرنـسي الجديد اخلص لوظيفتـه ومشى مع سياسـة الحكومـة المحليـة وسياسـة المفوضية الفرنسية التي وجهت سياستها ايام مارتيل، وبعد التفاهم لبقاء اللواء متحدا مع سورية، ولما اختلف البرازي مع غارو اعطته اجازة صحية غير محددة فغادر اللواء واستمر غارو بسياسته يقاوم نفوذ تركيا، الكيالي، المراحل، ج٤، ٣٣٦.

[115] مجيد خدوري، قضية الاسكندرونة، ص١٠٦؛ حيث يذكر ان المحافظ السوري كان ممن اقالهم غارو.

[116] برقية مرتيل في ١٩٣٧/٩/٢٨ الى باريس A.A.E.S.-L.Vol 573, p.117-118

[117] خدوري، المصدر السابق، ص١٠٧.

الصحف الاستعمارية الفرنسية تحمل على سورية وتناصـر الاتـراك بتـأثير مـن الصهيونية كما يبدو[118].

ثم وصلت الى اللواء في ١٩٣٧/١٠/٢٠ لجنة دولية من عصبة الامم لتـدرس التعديلات اللازمة بشأن الانتخابات وباشرت عملية الاحصاء ووضع قانون الانتخابات وتنظيمها وبقيت حتى ١٩٣٧/١١/١٩ وزارت خلال هذه الفترة المفوض السامي فـي بيروت وتبادلت معه بعض الاراء، كما زارت الحكومة السورية في الشام وقدمت فيما بعد تقريرا مختصرا جدا عن عملها[119].

واستمر نشاط تركيا من اجل اللواء، واقامت لها قنـصلية فـي الاسـكندرونة وقنصلا عاما في انطاكية[120]. كما جاء وفد تركي الى اللواء في ١٩٣٧/١١/١٦ وقـام اتاتورك بزيارة ولايات تركيا الجنوبية كمناورة عسكرية تهديدا للواء اذا لـم تطبـق فرنسا نظامه كما تريد تركيا، وفي الموعد المحدد لبداية تنفيذ قـرار العـصبة وهـو ١٩٣٧/١١/٢٩ انزل العلم السوري من مباني الحكومة بامر من منـدوب المفـوض السامي (غارو) الذي باشر بانشاء ادارة مستقلة مسؤولة تجاهه، ثم رفع العلم الفرنسي محله، والقى وزير الخارجية السوري احسان الجابري كلمة عبر فيها عن اسى الامة، وذكر ان الحكومة احتجت وقدمت لكل من يرجع اليه الامر مايجب ان يعمل، وذكر ان انزال العلم كان لازالة مخاوف ثارت في النفوس وتوسعت اكثر من حقيقتهـا، وانـه منعت جميع الاعلام في ذلك اليوم خوفا من وقوع الحوادث[121]. ثم قـدمت الحكومـة السورية كتاب احتجـاج الـى منـدوب المفـوض الـسامي فـي دمـشق بتـاريخ ١٩٣٧/١٢/١[122].

---

[118] الكيالي، المراحل، ج٤/٣٦٠.

[119] ويشير تقرير فرنسا الى عصبة الامم ايضا الى ان قرار المجلس النيابي السوري الصادر في ١٩٣٧/٥/٣١ الاحتجاجي على الاتفاقيات المتعلقة باللواء لم يمنع اللجنة من الحضور الى سورية ومتابعة عملها في اللواء

A.A.E.S.-L.Vol 573, p.119.

ومجيد خدوري، المصدر السابق، ص٨١-٨٢. ففيه تفصيل عن اعضاء اللجنة ومهمتها.

وذكـر الكيـالي: ان وصـول اللجنـة كـان فـي ١٩٣٧/١٠/١٠ ولعلـه خطـأ كمـا يبـدو. الكيـالي، المراحل، ج٤/٣٦٠.

[120] تقرير فرنسا الى العصبة : A.A.E.S.-L.Vol 573, p.119.

[121] الكيالي، المراحل، ج٤/٣٦٠-٣٦١. وفيه نص كلمة الجابري. وانظر مجيد خدوري، المصدر السابق، ص١٠٦-١٠٧. وكان المفوض السامي قد اصدر في ١٩٣٧/١١/٢٩ بيانا الى ابناء اللواء حول بدء تنفيذ السنجق وموعد الانتخابات المحدد في ١٩٣٨/٤/١٥.

A.A.E.S.-L.Vol 573, p.120.

[122] مجيد خدوري، قضية الاسكندرونة، ص١٠٦-١٠٧.

ولما اصبح سلخ لواء الاسكندرونة امرا واقعا، صرح مردم في ١٩٣٧/١٢/٦ لجريدة الطان الفرنسية بقوله "نحن معاشر السوريين ، انحنينا امام قرار جامعة الامم لمصلحة السلام والتعاون الدولي"، وكان في زيارة لباريس لبحث مشكلات المعاهدة، وبعد ان سمع اصرار المجلس النيابي السوري على الاحتفاظ بقراره السابق ١٩٣٧/٥/٣١ برفض اتفاق سلخ اللواء وفي طريق عودته زار تركيا رسميا في اواخر كانون الاول ١٩٣٧ واجتمع مع رئيس وزرائها عصمت اينونو والتقى برئيسها (اتاتورك) وعرض وجهة نظره بوجوب تعديل نظام اللواء الجديد، مع ابقاء اللواء ضمن الوحدة السورية، ومنح تركيا جميع الامتيازات[123]، وبسبب موقف الحكومة الوطنية تجاه تطور الاحداث، اصدرت (الجبهة الوطنية) المعارضة بيانا في ١٩٣٧/١٢/١٦ هاجمت فيه السياسة الجديدة[124].

ولما كان يهم الفرنسيون ان يبقى اللواء تحت انتدابهم اكثر مما يهمهم ان يبقى مع سورية، فوجدوا في قرار استقلال اللواء فرصة لذلك، اذ يؤخر تسليم اللواء الى تركيا، لذا حاولت السلطة المنتدبة ان تؤلف جبهة من مختلف العناصر تجمع كلمة سكان اللواء لتأييد وتطبيق قرار مجلس عصبة الامم وتأليف حكومة خاصة باللواء ضمن حدوده حسب نظامه الجديد، فاوعزت الى بعض زعماء العرب والاتراك بذلك فتألفت (جمعية اتحاد العناصر) او(حزب الاتحاد الوطني) في الاسكندرونة، وانضم اليه بعض الاتراك والارمن من حزب الطاشناق والروم الارثوذكس، وعقد الحزب مؤتمرا في ١٩٣٧/١/١ في انطاكية، الا ان الاتراك المتطرفين لم يؤيدوه، وسرعان ما اخذت عصبة العمل القومي (العربية) تهاجمه بشدة لاعترافه بنظام اللواء الخاص[125].

ولما اعلن انه سيجري استفتاء في اللواء، برزت في العاصمة دمشق نقمة المتظاهرين من ابناء اللواء العرب واخوانهم السوريين على الفرنسيين وعلى الحكومة السورية الوطنية، ناسبين الى رئيسها التآمر مع الاجنبي وتضليل الشعب السوري بالكلمة التي القاها من على شرفة دار الحكومة ١٩٣٧/٦/٤، ولم تقف الحكومة مكتوفة الايدي ازاء هذه التظاهرات التي اثارها خصومها السياسيون وفي طليعتهم

---

[123] نجيب الارمنازي، سورية من الاحتلال حتى الجلاء، ص١١٢-١١٣.

[124] رفعت المفوضية الفرنسية البيان الى وزارة الخارجية الفرنسية للاطلاع عليه بخطابها رقم ١٢٣٠ في ١٩٣٧/١٢/٢٩ مرفقا بترجمة . A.A.E.S.-L.Vol, 495, P.240-243.

[125] ممن اوعزت اليهم السلطة الفرنسية (حسن جبارة) مدير مالية اللواء الذي تولى تأليف الحزب، وترأسه ادهم بك رئيس بلدين انطاكية، خدوري، المصدر السابق، ص٧٦-٧٨، ١٠٧-١٠٨، وقد بدأ فكرة انشاء الحزب المندوب الفرنسي (دوريو) وحضر لها، ثم دعمه (غارو) فظهره عن انشائه وغيره من الاحزاب التركية والعربية في اللواء. م.ن.بالقير، هاتاي الدولة المستقلة، ص٣٩-٤٢، ٨٨-٩٤.

الشهبندر واخوانه، فاعلنت اهتمامها بامر الاستفتاء واتخاذ الاسباب الايلة الى ظفر الاكثرية العربية في اللواء بامانيها الغالية وعهدت الى احد اركان الكتلة الوطنية (نبيه العظمة) بقيادة المساعي التي تؤدي الى نتيجة المبتغاه وزودته بمساعدين يرجى لهم النجاح في المهمة[126].

وعمل (العظمة) على التوفيق بين الجبهات العربية المختلفة، لاسيما عصبة العمل القومي وجمعية اتحاد العناصر، الا ان تطرف العصبة ادى الى مقاومة الفرنسيين لها واعتقال بعض افرادها، وعدم تأليف جبهة عربية واحدة متعاونة مع الحكومة السورية[127].

وفي الوقت نفسه اشتدت مظاهرات الاتراك في عام ١٩٣٨ طالبة الالتحاق بتركيا، وحمى الوطيس بين الجانبين التركي والجانب العربي الذي يتألف من العرب (المسلمين والمسيحيين) والارمن الذين لجأوا الى اللواء، وكان المندوب الفرنسي يعمل لصالح الاتراك، وبدأت المناورات باثارة حرب من الدعاية والمشاغبات والتهديدات لحمل الاتراك اللوائيين على طلب الانفصال والتصويت على اساس الالتحاق بالاتراك ومعاداة العرب اذا لم يصوتوا معهم[128].

وعملت العصبة على تقسيم السكان طائفيا في قانون الانتخاب الذي اقرته في ١٩٣٨/٢/١ حيث نص انه يجب على الناخبين في الدرجة الاولى ان يسجلوا انفسهم في احدى الوظائف الاتية: التركية والعلوية والعربية والارمنية والروم والارثوذكس والكردية وطوائف اخرى، وان يكون عدد اعضاء المجلس (٤٠) عضوا، ولكل طائفة ضمان العدد الذي لايجب ان يقل عنه وهو :التركية (٨)نواب، والعلوية (٦)نواب، والعربية (٢) نائبان، والارمنية (٢) نائبان، والروم الارثوذكس (١) نائب، واذيعت مواد القانون باللغات التتركية والعربية والفرنسية. وتقرر تشكيل لجنة مراقبة الانتخابات[129].

ولعل ما يؤخذ على هذا القانون ان بعض الطوائف صنفت عنصريا وبعضها مذهبيا ودينيا، وهكذا قلل القانون من اهمية الطائفة العربية بفصل طائفتين خطيرتين منها وهما العلوية والارثوذكس، مما ادى الى زيادة قيمة الطائفة التركية، ومع ذلك فان تركيا اعترضت على مشروع القانون وناقشت ذلك عصبة الامم وقبلت فرنسا

---

[126] يوسف الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي، ص٢٨٣-٢٨٣.

[127] مجيد خدوري، قضية الاسكندرونة، ص١٠٧-١٠٨.

[128] الكيالي، المراحل، ج٤/٣٥٩.

[129] A.A.E.S.-L,Vol 573, P.122.

بالاعتراضات وتم تعديل القانون في مصلحة تركيا[130]. ويبدو انه كان لمباحثات وزير الخارجية البريطانية في باريس دور في الاتفاق حرصا من الدولتين على استرضـاء تركيا بسبب بوادر الحرب[131].

وبدأت مرحلة الانتخابات بوصول لجنة المراقبة في نهاية نيسان ١٩٣٨[132]. في وسط ذلك المحيط المملوء بالدعايات والانقسامات الداخلية المختلفة، واذاع سكرتير اللجنة بيانا في ١٩٣٨/٥/٢ حول التسجيل، وباشرت اللجنة عملها بروح حيادية الامر الذي استبشر له العرب لانهم يؤلفون الاكثرية، واعتقدوا ان الانتخابات ستؤدي الى فوزهم، واقبلوا على التسجيل على الرغم من الصعوبات التي اعترضتهم والدعايات التركية العنيفة فحصلوا على اكثرية في خطوات التسجيل الاولى، فقلق الاتراك في اللواء والحكومة التركية، وتطور التصادم الى قتال عنيف بين الاتراك والعرب منذ اوائل ايار وحتى منتصفه مما اضطر الى ايقاف التسجيل بضع مرات وتدخلت السلطة المنتدبة ضد المتظاهرين العرب[133].

المهم ان تركيا لم ترض عن عملية التسجيل فاحتجت بكل الوسائل وتنازلت فرنسا مرة اخرى تحت تأثير الحكومة الانكليزية بسبب الوضع الدولي، وذلك لجعل الانتخابات الاولى في اللواء في مصلحة الاتراك[134]. ولما كان المندوب الفرنسي (Garreau) لم يسترسل في ممالاة الاتراك لذلك استقال، وعينت فرنسا بدلا منه الكومندان كوله (Collot) فضلاً على عمله كقائد للقوات العسكرية في اللواء[135]، لينفذ الاتفاق الفرنسي مع الاتراك.

---

[130] حيث يشير الى ان اللجنة استخدمت كلمة (مجموعة) (lobmihunitys) ولكن شاع استخدام كلمة طائفة، ويشير الى مآخذ اخرى على القانون.
وانظر حول القانون تقرير فرنسا الى العصبة : A.A.E.S.-L,Vol 573, P.123.

[131] الكيالي، المراحل، ج٤/٣٦٢-٣٦٧.

[132] وكان مقررا ان انتخابات الدرجة الاولى تبدأ في ١٩٣٨/٣/٢٨، والثانية في ١٩٣٨/٤/١٢ ولكنها عدلت لمعارضة تركيا . A.A.E.S.-L,Vol 573, P.125.

[133] مجيد خدوري، قضية الاسكندرونة، ص١٠٩-١١٠؛ الكيالي، المراحل، ج٤/٣٦٨، ٣٧٢-٣٧٣.

[134] لم تتوقف الاتصالات التركية الفرنسية، فقد زار سفير تركيا وزير الخارجية الفرنسي في ٦و١٩٣٨/٦/٩ وبحثا قضية الانتخابات ثم سافر رئيس الوزارة الفرنسية مع وزير الخراجية الى استانبول في ٦/١٣ ليبحث مع اتاتورك تعديل وضع الاسكندرونة، وصرحت جريدة (الجمهورية) التركية بان تركيا تريد ضم الاسكندرونة ، وبدأت المفاوضات في ١٩٣٨/٦/١٤. A.A.E.S.-L.Vol 573, P.125-126.

[135] لاشك ان ماحدث كان بتدخل شخصي من (دلادييه) في قضية سنجق الاسكندرونة اذ بتحمسه وتفهمه المعهودين فيه، وبنتائج سريعة وحازمة بالنسبة للموظفين الكبار الذين ابدوا لطفا زائدا فائقا على الحد تجاه العرب المحليين، فقد استدعي القائم باعمال الحاكم وهو مدني، وعين محله جنرال فرنسي، وتعهدت الحكومة الفرنسية ايضا بان تكون عند وعدها الذي تعهدت فيه لتركيا بان يتمتع

وبدأ المندوب الجديد باقصاء الموظفين العرب واسناد وظائفهم الى الاتراك، وضيق الخناق على الجمعيات العربية فحل عصبة العمل القومي واغلق نادي العروبة وحل جمعية اتحاد العناصر وعطل جريدة العروبة ونفى بعض شباب العرب وسجن اخرين، كما هدد بعض العلويين والمسيحيين بوجوب تسجيل انفسهم اتراكا[136]. واعلن كوله ان الفرنسيين وافقوا الاتراك ليكون لهم (٢٢) مقعدا من (٤٠) حتى لايحتلوا اللواء، وفي ١٩٣٨/٦/٩ ابعد الفرنسيون فؤاد مفرج مندوب الحكومة السورية، ثم كرر كوله تصريحاته في ١٩٣٨/٦/١٢ بان الاكثرية ستكون للاتراك[137].

واكدت مصادر فرنسية ان تركيا ادخلت في تلك الفترة الى السنجق (٢٥٠٠٠) قاطع طريق كانت لهم مهمة مضاعفة وهي خلق الفوضى وتسجيل انفسهم اتراكا، ومع ذلك فان عدد الاتراك لم يزد عن (٨٥٠٠٠) نسمة من (٢٠٠٠٠٠) وبذلك يكون لهم (١٧) مقعدا من (٤٠) فقط[138].

واستمر النشاط المعارض للسياسة الفرنسية، اذ ارسل العرب والارمن في ١٩٣٨/٦/٩ احتجاجا الى رئيس لجنة عصبة الامم بينوا فيها ثبوت الاغلبية العربية واشتكوا من اجراءات الفرنسيين الممالئة للاتراك[139].

اما الحكومة السورية لم تكن تستطيع منعا ولادفعا لما يجري لانها بلا قوة عسكرية امام تركيا، ولا ان تفعل شيئا تجاه مايجري من حوادث الاعتداءات التركية على الجانب العربي في اللواء، وكانت مشاكل الدولة السورية تزداد حراجة من يوم الى يوم في الجزيرة ومنطقتي اللاذقية والسويداء، وقد ضجت البلاد من اقصاها الى اقصاها من جراء السياسة التي تطبق في اللواء والاخبار التي تصل الى اذان الشعب، فقامت التظاهرات الصاخبة في ١٩٣٨/٦/٧ في دمشق وحلب وحمص وحماة واللاذقية ودير الزور وطرابلس وغيرها من المدن السورية واللبنانية فارسلت الحكومة السورية مذكرة الى وزارة الخارجية الفرنسية عن طريق المفوض السامي مارتيل (Martel) احتجاجا على تصريحات كوله وعلى مايجري في اللواء دون ارادتها وعلمها، وفي

العنصر التركي بمركز السيادة في البرلمان والحكومة المحليين بسبب الظروف: Puaux, G.:Deux annees au levant, P. 51.

136 مجيد خدوري، قضية الاسكندرونة، ص١١١.

137 الكيالي، المراحل، ج٤/٣٧٢-٣٧٩، وكان مفرج قد قدم تقريرا سريا عن الوضع في اللواء الى الحكومة السورية، خدوري، المصدر السابق، ص١١٢-١١٣.

138 Puaux, G.: Deux annees au levant, P.51.

139 ينظر الكيالي، المراحل، ج٤/٣٧٢-٣٧٨ حول نص الاحتجاج الموقع من الدكتور البير بيلوني وزكي الارسوزي وموسيس ويركالوسيان وصادق المعروف وسليم الخوري.

١٩٣٨/٦/١٠ عقد اجتماع شعبي في دمشق احتجاجا على موقف الفرنسيين المخجل امام تهديدات تركيا[140].

وبسبب التحيز ضد العرب، استقال العضو الانجليزي في لجنة مراقبة الانتخابات في ٦/١٤ وارتاعت اللجنة من التدخل في اعمال التسجيل وقررت الاحتجاج عليه فانهت مهمتها وغادرت اللواء في ١٩٣٨/٦/٢٩[141]. بعد ان هاجمتها الصحافة التركية، كما كانت الصحافة الصهيونية في ذلك الحين تهتم اهتماما فريدا في نوعه بمصير الاتراك في السنجق في الوقت الذي كان للصهاينة فيه حلفاؤهم في الحكومة الفرنسية[142].

وافزع تدخل تركيا الفعلي في انتخابات اللواء الحكومة السورية فدفعها الى التفكير في امر تقسيم اللواء مع تركيا لعلها تحتفظ بقسم منه على الاقل بدلا من ان تخسره كليا في النهاية، فاثارت الامر مع الحكومة العراقية للتوسط لدى تركيا، وتفاوض عادل ارسلان ممثل سورية في تركيا، واجتمع سفير العراق (ناجي شوكت) ووزير الخارجية التركي(ارارس) في ١٩٣٨/٧/١ ولكن الرئيس اتاتورك اصر على وجهة نظره[143]، فقد جاءت المساعي لتقاسم اللواء متأخرة والاتراك وجدوا اقصى امالهم اوشكت ان تتحقق فلم يعودوا يأبهون الى هذا الامر، فقد تنازلت فرنسا وتساهلت عصبة الامم ولم يعد لمفاوضات التجزئة اية قيمة بنظرهم.

وفي الوقت نفسه كانت تركيا تفاوض فرنسا وتساومها بصداقتها في شرقي البحر الابيض المتوسط للحصول على اللواء بأكمله، وقد تمت هذه المساومة بعقد معاهدة عسكرية في ١٩٣٨/٧/٢ ومعاهدة صداقة وتحالف في ١٩٣٨/٧/٤[144].

وقد نص الاتفاق على الاحتلال العسكري المختلط للواء بـ(٢٥٠٠) جندي فرنسي ومثلهم من الجنود الاتراك[145]. ثم اجتاز الجيش التركي حدود الاسكندرونة في ١٩٣٨/٧/٥ واحتل مزاكزة في بعض المدن في حين بقيت القوات الفرنسية في مدن

---

140 الكيالي، المراحل، ج٤/٣٧٢-٣٧٩.

141 مجيد خدوري، قضية الاسكندرونة، ص١١١.

142 فقد كان بلوم يتساهل مع الاتراك لانه يهودي واليهود يعملون مع الاتراك ليكونوا بجانبهم في قضية فلسطين، الكيالي، المراحل، ج٤/٣٦٨.

143 خدوري، المصدر السابق، ص١١٤-١١٥؛ الكيالي، المراحل، ج٤/٣٦٧-٣٦٨.

144 كان هذا الاتفاق الفرنسي التركي نتيجة اتصالات فرنسية تركية سابقة، حيث توضح ذلك رسالة (De Oaix) مندوب فرنسا في العصبة في ١٩٣٨/٦/١، ردا على رسالة (ماسيفلي) المدير السياسي بوزارة الخارجية التركية في ١٩٣٨/٥/٣٠، وتوضح رسالة (دوكيه) مناقشات لجنة الانتدابات في العصبة لتقرير فرنسا عن سوريا ولبنان. A.A.E.S.-L. Vol.573, P.51.

145 A.A.E.S.-L. Vol.573, P.63.

اخرى، وجرت تظاهرات حماسية من قبل اتراك اللواء في استقبال الجيش التركي، وهتف المتظاهرون بحياة اتاتورك[146].

ونتيجة لذلك جلا عن اللواء كثير من العرب الى حلب واللاذقية، وهاجر عدد من الارمن الى سورية، واشرفت فرنسا على رحيلهم وان كانت تركيا قد قدمت بعض الضمانات للمسيحيين والارمن في اللواء بناء على طلب فرنسا[147].

وعقب دخول القوات التركية تألفت لجنة مشتركة فرنسية تركية في ١٩٣٨/٧/١٥ للاشراف على الانتخابات ثم اجريت الانتخابات للدرجة الاولى في ١٩٣٨/٧/٢٣ وفق قانون الانتخابات وللدرجة الثانية في ١٩٣٨/٨/٢٢ فكان من الطبيعي في هذا الجو من التعاون التركي الفرنسي ان يفوز (٢٣) نائباً تركياً و(١٨) نائباً من الجانب الاخر (الطوائف العربية والكردية والارمنية والمسيحية) وهكذا نجح الاتراك بالحصول على اكثرية رسمية في مجلس اللواء التمثيلي بزيادة ضئيلة، وكان ذلك وسط اضطرابات شديدة وتفرق الفئات التي كان يمكن توحيدها باتجاه الوحدة مع سورية[148].

ثم اجتمع المجلس النيابي في ١٩٣٨/٩/٢ واستكملت اجراءات انشاء جمهورية (هاتاي)ووضع لهم علم خاص وهو نفس العلم التركي مع اضافة نجمة حمراء داخل النجمة[149]. واكد النواب الاتراك ان اللواء تركي تماما، مما دعا احد النواب من غير

---

[146] خدوري، قضية الاسكندرونة، ص١١٦. وهو يذكر ان دخول القوات كان في ١٩٣٨/٧/٢٥. بينما تذكر المصادر الفرنسية انه في ١٩٣٨/٧/٥، Puaux G. Deux annees au levant, P.50.
ويذكر الكيالي ان مفرزة من الجيش التركي قدمت الى اللواء في ١٩٣٨/٦/١٩ تنفيذا للاتفاق الكيالي، المراحل، ج٤/٣٨٠-٣٨١. وم.ن.بالقير: هاتاي الدولة المستقلة، ص٩٤، حيث يتحدث عن دخول الجيش التركي لاستكمال التسجيل الذي انتهى في ١٩٣٨/٦/٣٠، واستقبل الجيش التكري في انطاكية من قبل عبد الرحمن ملك زاده واشراف المدينة من كل الجماعات العرقية ومن مجموعات كبيرة من الطوائف الاخرى، وفي ١٩٣٨/٧/١٤ قامت مظاهرات تأييد للصداقة الفرنسية التركية ونظمت حفلات الافراح بهذه المناسبة.

[147] تفاصيل نقل الارمن وتوزيعهم في سورية ولبنان : Puaux, G.OP.Cit, P.52-55.

[148] تفاصيل اعداد النواب، انظر مجيد خدوري، قضية الاسكندرونة، ص١١٦، قرقوط، تطور الحكم الوطني في سورية، ص١٦٠، ويؤكد الحكيم ان السكان من عرب وارمن اعربوا عن رغبتهم وهم اكثرية السكان في اللواء في بقاء اللواء مع امه سورية، وان هذا ماقاله وكرره في دمشق السوريون من رجال الحكومة والاحزاب وجميع النازحين الى سورية من عرب اللواء، بالاضافة الى مانشرته الصحف السورية، يوسف الحكيم، سورية والانتداب الفرنسي، ص٢٨٤.

[149] تحمس الاتراك في ذلك اليوم ، وكانت الجلسة برئاسة اكبر الاعضاء سنا وهو محمد الامنة لي (وزير سوري سابق) وجرت المناقشة باللغة التركية فقط مع ان نظام اللواء نص على العربية كلغة رسمية ايضا، ثم انتخب المجلس رئيسا له ثم رئيسا للدولة وهما تركيا واقترح النائب صبحي بركات

الاتراك ليستعين بكلمة لاتاتورك"، ان هاتاي لسكانها جميعا دون تفريق بين الاجناس والمذاهب، وفاخر نائب ارمني بان الارمن كانوا الركن الاساسي لاستقلال اللواء، ووقف النائب زين العايدين الحلي وقال ان طائفة العلوية متحدرة من الاصل التركي النجيب[150].

واعلن القانون الاساسي لدولة هاتاي في ١٩٣٨/١١/٢[151]. ثم عمدت السلطة الجديدة الى طرد الموظفين العرب وتحريم اللغة العربية واستبدال العملة بالتركية، واتخذت اجراءات اقتصادية للتقارب مع تركيا والابتعاد عن سورية[152]. حيث جرى تعديل الحدود الجمركية بين اللواء وتركيا والغاء مراكز الدرك واقيمت بدلا منها مع سوريا، وبذلك تكون مهمة الكولونيل كوله (Collet) مندوب المفوض في اللواء، قد وصلت الى نهايتها ولذا سيترك الاسكندرونة وسيخلفه ضابط فرنسي مع هيئة جديدة[153].

وهكذا تألفت هذه الجمهورية ولم يبق لتركيا الا الحاقها بها، ولم يعد لمفاوضات التجزئة مع سورية قيمة بنظر تركيا، ولالمفاوضات الاتفاق التي كان يحبذها بعض السوريين المعروفين برغبة التفاهم مع الاتراك وارسلوا بهذا المعنى رسائل الى رئيس الجمهورية السورية وكذلك بعض ساسة الدول العربية، وتمسك السوريون بحقهم الصريح في اللواء كله، وعندما مالوا الى الاخذ بفكرة المفاوضة كان الحاق اللواء بتركيا قد اصبح امرا مقضيا، فقد كانت قناعة الفرنسيين ان هذه الجمهورية ستنتهي، واوضحت مذكرة فرنسية في ١٩٣٨/١٠/٦ ان تركيا لاتخذع نفسها عندما تؤكد ان جميع هاتاي ستعود اليها في يوم من الايام رغبت فرنسا في ذلك ام لم ترغب، وحيث ترافقت عملية سلخ جزء من ارض الشام (الاسكندرونة) لاقامة دولة الاتراك مع عملية انشاء دولة لليهود الصهاينة في جزء اخر (فلسطين) والمنفذون الاستعماريون

(رئيس مجلس النواب السوري سابقا) ابدال اسم اللواء بمسمى هاتاي وهي كلمة تركية تعني (حثي) لانهم يعتقدون انهم من اصل الحثيين، والفت الوزارة في ١٩٣٨/٩/٥ من اتراك، ونقل المجلس عاصمة الدولة من الاسكندرونة الى انطاكية التي يؤلف فيها الاتراك اكثرية، ومزيد من تفاصيل ظهور جمهورية هاتاي ورجالها وتكوينها، وحول اجتماع المجلس وقراراته انظر: A.A.E.S.-L,Vol,573, P.63.

[150] م.ن.بالقير، هاتي الدولة المستقلة، ص٥٤-٥٦، ٦٧.

[151] A.A.E.S.-L,Vol,573, P.63.

[152] قرقوط، تطور الحركة الوطنية في سورية، ص١٦٥؛ نجيب الارمنازي، سوريا من الاحتلال حتى الجلاء، ص١١٠؛ وخدوري، قضية الاسكندرونة، ص١١٨.

[153] A.A.E.S.-L,Vol,573, P.38.

والمتنافسون هم انفسهم، لذا كانت الصحافة العالمية تقارن بين العمليتين من حيث تشابه اساليبهما واهدافهما، وترصدت وزارة الخارجية الفرنسية هذه المقارنة وحللتها[154].

٨.دور فرنسا في تسليم اللواء الى تركيا

ترافق تسليم اللواء الى تركيا مع نهاية المعاهدة والحكم الوطني في سورية والذي بدأ مع مجيء المفوض السامي الفرنسي الجديد بيو (Puaux) الذي اوضح الموقف بقوله " فلما جاء عام ١٩٣٩ عدت تركيا ان (كوميديا هاتاي) قد استمرت طويلا، وانه حانت الساعة لطلب الحاقها بتركيا وانهاء فصولها الروائية، فطالب وزير الخارجية التركي سراج اوغلو في كانون الثاني ١٩٣٩ بذلك وصرح به للسفير الفرنسي في انقرة (Nasigli) الذي كان يحبذ سرعة الاجابة قبل فوات الوقت لاكتساب الصداقة التركية، كما طالب الاتراك بتهيئة الرأي العام السوري لاستقبال قرار الحاق اللواء بتركيا تماما وهددوا بالانضمام الى الدولة الديكتاتورية (المانيا وايطاليا) واظهر المفوض خوفه من ان يطالب الاتراك بمناطق اخرى كحلب والجزيرة اللتان كانتا في دائرة الاطماع لدى الجارة العزيزة -كما يسميها- وذكر ان الدعاية التركية -القوية تنتشر كوباء يعم المناطق الشمالية من سورية[155].

وكان المفوض السامي (بيو) يبرق باستمرار الى وزارة الخارجية الفرنسية فيشرح نشاطات الدعاية التركية ويوضح اوضع الاسكندرونة الجديدة، ويطمئن حكومته حول احوال الارمن الذين مازالوا مستقرين في اللواء وكذلك حول اوضاع العلويين من سكان اللواء، وهي الامور التي كانت فرنسا تبدي قلقها بشأنها في اللواء تحت حكم الاتراك[156].

ورأت فرنسا شدة النشاط الذي تمارسه تركيا لالحاق اللواء بها، فحاولت تأخير ذلك لاطالة مدة بقائها فيه، وذلك بتطمين تركيا بان اللواء سيبقى في يدها لانه لم يتم ابرام المعاهدة الفرنسية السورية، مما يجعل حجة الاتراك غير ملحة، واستمرت

---

[154] نشرت تايم (Timo) في ١٩٣٨/١٠/١٠ مقالة حول الوضع في سورية وفلسطين وقيام دولة هاتاي، فقام الفرنسيون بتحليله وارساله الى وزارة الخارجية الفرنسية: A.A.E.S.-L,Vol,573, P.73-76.

[155] Puaux, G.: Deux annees au levnnt, P.51.

[156] برقية المفوض في ١٩٣٩/٢/٢٢ حول الدعاية التركية : A.A.E.S.-L,Vol,573, P.148-155.

المراسلات بين وزير الخارجية الفرنسي والسفير الفرنسي في انقرة والسفير التركي في باريس[157].

كما كانت الصحافة الفرنسية تعارض في تسليم اللواء الى تركيا وترى في ذلك خسارة لفرنسا وتعلن ان تركيا ستطالب بحلب ايضا وقسم من الحدود السورية الشمالية مثل جبل كرداغ، وتنتقد سياسة المفوض السامي الفرنسي تجاه القضية، وكذلك هاجمت بعض الشخصيات الفرنسية الموقف الفرنسي الرسمي المتخاذل تجاه تركيا، واعلنت معارضتها لتسليم اللواء الى تركيا لانه ضد حقوق سورية وضد ارادة الشعب في اللواء نفسه، ومخالف لتعهدات فرنسا الدولية نحو المنطقة التي اؤتمنت عليها، واكدت ان ذلك خسارة لفرنسا في الوقت نفسه لانه سيتم ضياع ثغر الاسكندرونة العظيم منها والذي سبق لوزير الخارجية السابق ارستيد بريان (Arislid Beriand) ان قدم الاماني باحرازه الى الشعب الفرنسي[158].

وبسبب استمرار القلق الفرنسي على وضع اللاجئين الارمن في اللواء، تابعت المفوضية الفرنسية في بيروت برقياتها الى وزارة الخارجية في شهر نيسان ١٩٣٩ واكدت ان (كوله) حصل على عهد من حكومة هاتاي بتعيين الارمن في الوظائف وانه لاداعي للقلق، وشرحت الوضع في اللواء، ودور (Collet) وغيره من المسؤولين الفرنسيين[159]، ولما عاد المفوض الى بيروت فانه تابع شرح مواقف تركيا بخصوص هاتاي وحدودها وحول ما اثاره مندوب تركيا في لجنة الانتدابات بعصبة الامم خلال شهر ايار ١٩٣٩[160].

---

[157] برقيات وزير الخارجية الفرنسي جورج بونيه (G.Bonnet) الى (Ponfot) في ١٩٣٩/٤/٤ ورسالة السفير (ماسيغلي) .A.A.E.S.D.N, Vol,573, P.215-220 وقد كانت تركيا تحتج بالمعاهدة الفرنسية السورية لتطالب بضم اللواء اليها، مجيد خدوري، قضية الاسكندرونة، ص١-٢.

[158] على سبيل المثال: مقالة تحدثت عن سياسة الحكومة الشعبية الفرنسية والمفوض السامي تجاه القضية وهي بعنوان "يجب التمسك بالاسكندرونة".

[159] برقية وكيل المفوض السامي (Heyrer) في ١٩٣٩/٤/٢٥ الى وزارة الخارجية الفرنسية:
A.A.E.S.-L. Vol, 573, P.218-220.

[160] برقية المفوض السامي في ١٩٣٩/٥/١٦ الى وزارة الخارجية : A.A.E.S.-L. Vol, 573, P.223.

وكان الاتراك يواصلون مساعيهم وتهديداتهم مستفيدين من الاوضاع الدولية ومن ضعف البلاد السورية، ففي تموز عام ١٩٣٩ غدت الظروف الدولية ملائمة مرة اخرى لتركيا فلم تلبث ان استثمرتها دفعة واحدة على حساب سورية، فقد كانت المفاوضات بين بريطانيا وتركيا تسير سيرا حثيثا لعقد معاهدة تحالف، وقد احسن الترك اغتنام الفرصة، فكانوا يسمعون سفير فرنسا (ماسيفلي) ان تركيا يمكنها ان توقع معاهدة مشابهة مع فرنسا عند انتهاء مشكلة هاتاي، ويكفي كما قال سراج اوغلو، وضع اسم فرنسا محل اسم بريطانيا[161].

وبدأ التنازل الفرنسي للمرحلة الاخيرة مع بداية المباحثات الفرنسية التركية، وتحدثت الصحف الفرنسية عن تاريخ قضية الاسكندرونة، واعترضت على السياسة الفرنسية، وذكرت ان جورج بونيه وزير الخارجية الفرنسي ادلى بحضور (سعاد دافاز) سفير تركيا بتصريح صحفي عن قضية السنجق بانها بالنسبة الى تركيا ليست قضية اراضي فقط، ثم صرح (بونيه) في ١٩٣٩/٦/٩ امام لجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشيوخ الفرنسي بقوله"ان تجربة النظام الخاص للواء تضمنت صعوبات استمرت بالظهور دون توقف وتضخمت في عام ١٩٣٨، وان تركيا طلبت في اوائل ١٩٣٩ ربط اللواء بها، ونحن قدرنا ان ذلك في مصلحة السوريين لتحسين العلاقات بين سورية وتركيا"[162]. وتم الاتفاق بين فرنسا وتركيا بعقد معاهدة وقعت في انقرة في ١٩٣٩/٦/٢٣ يتم بموجبها ضم اللواء الى تركيا نهائيا، وفي الوقت نفسه صدر في باريس تصريح مشترك فرنسي تركي تضمن المحافظة على حدود سورية واستقلالها، وفي ١٩٣٩/٦/٢٦ وافق مجلس هاتاي على ماتم في تقرير مصيره[163]. واصبح تسليم

---

[161] وكانت المانيا قد اجتاحت تشيكوسلوفاكيا ولم تكتف باقليم السوديت الذي باعته لها فرنسا وايطاليا، نجيب الارمنازي، سورية من الاحتلال حتى الجلاء، ص١١٠-١١١؛ خدوري ، قضية الاسكندرونة، ص١١٨. وقد تم توقيع المعاهدة الانكليزية التركية في ١٩٣٩/٥/١٢ وتعلقت بالبلقان والشرق الادنى لمواجهة الاحداث الجديدة.
Jabri Jrfan: La Question d Alexendrette Jans le eadre Mandat syrien, P.183-184.

[162] A.A.E.S.-L. Vol, 496, P.100.

[163] تضمن الاتفاق تنظيم تسوية وبروتوكول ورسالتين ملحقتين، اما التصريح فكان من سبع نقاط:
Puaux G.: Deux annees an levant, P.51.
والمذكرة الفرنسية السورية المرفوعة الى وزير الخارجية الفرنسي في ١٩٣٩/٧/٢٣ وما تضمنته حول الاسكندرونة: A.A.E.S.-L. Vol, 496, P.100-101.

اللواء الى تركيا ساريا منذ ١٩٣٩/٦/٣٠[164]. ولم تنفع بعض الاعتراضات في عصبة الامم على المعاهدة الفرنسية التركية لان ماتضمنته مخالف لصك الانتداب، فقد تم كل شيء سياسيا[165].

ومما تقدم يبدو واضحا ان تسليم اللواء الى تركيا هو ثمن اتفاقها مع فرنسا وبريطانيا.

وفي حين قامت الافراح في تركيا بتوقيع المعاهدة مع فرنسا، قامت التظاهرات والاحتجاجات في كل مكان من سورية[166]، وارسلت الحكومة السورية في اواخر حزيران/١٩٣٩ مذكرة الى الحكومة الفرنسية احتجت فيها على الاتفاق، كما ارسل رئيس الجمهورية السورية، قبيل استقالته، كتابا الى رئيس الجمهورية الفرنسية وغيره من زعماء فرنسا اشار فيه الى ان الحدود السورية كانت تتقلص منذ باشرت فرنسا ان تقوم بهذه المهمة في سورية ولبنان، ولم تكن الحكومة السورية تستطيع ان تتخذ سياسة مستقلة في معالجة هذه المشكلة الخطيرة بسبب وضعها الدولي من ناحية، وبسبب محاذرة رجالها من اغضاب الرأي العام الذي كان ينادي بوجوب المحافظة على اللواء العربي محافظة تامة[167].

وهكذا ادرك الاتراك غايتهم رويدا رويدا في اقل من ثلاث سنوات بسبب سلسلة التنازلات الفرنسية المخالفة لابسط مبادىء الحق والعدل والتي كانت خسارة لفرنسا ايضا[168]. واستلم الاتراك اللواء بصورة كاملة بعد ان قضى الفرنسيون على العهد الوطني في سورية.

وقد كان ضياع الاسكندرونة نتيجة منطقية وفورية للمعاهدة الفرنسية السورية، والتي استغلها الاتراك، وكان للصهيونية دورها الواضح منذ البداية في ضياع

---

[164] المذكرة الفرنسية في وزارة الخارجية في ١٩٣٩/٨/١٧ ، A.A.E.S.-L. Vol, 496, P.215-217.، نجيب الارمنازي، سورية من الاحتلال حتى الجلاء، ص١١١-١١٣؛ خدوري، قضية الاسكندرونة، ص١١٨-١٢٠.

[165] خدوري، المصدر السابق، ص١٢٠. وفي ١٩٣٩/٧/٢٤ وهو اليوم التالي لخروج القوات الفرنسية من اللواء نهائيا، بلغ وزير الخارجية الفرنسي السكرتير العام للعصبة بان فرنسا وقعت في ١٩٣٩/٦/٢٣ اتفاقا مع تركيا: A.A.E.S.-L. Vol, 573, P.27.

[166] الكيالي، المراحل، ج٤/٤١٧.

[167] نجيب الارمنازي، سورية من الاحتلال حتى الجلاء، ص١١٤-١١٥.

[168] اشارت احدى الوثائق الفرنسية الى ذلك، ان سلسلة التنازلات الفرنسية تجاه تركيا، دفعت فرنسا ثمن اخطائها اذ خسرت موقعا استراتيجيا يفتح على آسيا الوسطى وطريق بغداد، وخسرت الطبيعة الجميلة والمركز الثاني للمسيحية في انطاكية، والتي انشىء فيها من قبل مستعمرة طبيعية، وطالب الكاتب بعدم ابرام المعاهدة مع تركيا والمحافظة على وحدة الاراضي السورية.

A.A.E.S.-L.Vol, 573, P.204.

الاسكندرونة، وقد اشارت مذكرة فرنسية الى اهمية ماتم بالنسبة للاسكندرونة على اعتبار انه جزء من السياسة المتبعة من قبل فرنسا وبريطانيا في المنطقة، ومن ضمنها قضية اليهود في فلسطين والتي تشير اليها المذكرة بانها "معركة العالم العبري مع الاسلام"[169]. فالقضيتان متشابهتان من حيث الخطر ووحدة الاهداف والقائمين عليهما.

واخيرا لقد كان على فرنسا بصفتها دولة منتدبة المحافظة على مناطق انتدابها ومنها الاسكندرونة، ولكن حاجتها الى تركيا في الشرق وبالذات في منطقة البحر المتوسط، اكبر من ذلك، وانها تشترك مع عصبة الامم في المسؤولية على ضياع ارض من البلاد السورية، ان سلخ لواء الاسكندرونة عن سوريا ، يبين بوضوح السياسة الاستعمارية التي انتهجتها فرنسا في المشرق العربي.

---

[169] مذكرة فرنسية مؤرخة في ١٩٣٩/٨/١٧ منظمة من قبل وزارة الخارجية الفرنسية لشؤون افريقيا والمشرق: A.A.E.S.-L.Vol,496, P.217.

الاستراتيجية الامريكية لتحقيق (النصر) في العراق

الاستاذ المساعد الدكتور
حميد نفل النداوي(*)

المقدمة

في الاول من أيار عام ٢٠٠٣ أعلن الرئيس الامريكي جورج دبليو بوش بأن المهمة قد أنجزت وأن العمليات العسكرية في العراق قد أنتهت ولم يدرك الرئيس أنها البداية لمرحلة جديدة حملت معها الكثير من التداعيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والامنية نتيجة "للاخطاء" الكبيرة التي وقعت فيها الادارة الامريكية في العراق وتحديدا القرارات التي أتخذها الحاكم المدني في العراق بول بريمر والتي اجهز فيها على الدولة العراقية وكان من أبرز نتائجها حدوث فراغ سياسي وأمني قاد الى أوضاع داخلية مضطربة لم يشهد تاريخ العراق الحديث والمعاصر لها مثيلا .دفعت الرئيس الامريكي الى الاعتراف "بالاخطاء" التي أرتكبت في العراق والاعلان في ٢٠٠٥/١١/٣٠ عن الاستراتيجية الامريكية لتحقيق النصر في العراق والتي فشلت في تحقيق تقدم ملموس على المسارات السياسية والاقتصادية والامنية .

ونتيجة لهذا الاخفاق عاد الرئيس الامريكي في ٢٠٠٧/١/١٠ ليعلن الاستراتيجية الامريكية الجديدة لتحقيق النصر في العراق في ظل أزمة سياسية وأقتصادية وأجتماعية وأمنية تعصف بالعراق ودول أقليمية تبحث عن (مكاسب) وتصفية حسابات على الساحة العراقية ومجتمع دولي عاجز أو لايسمح له القيام بدور يمكن أن يساعد على الحل المطلوب .

ومن اجل التعرف على هذه الاستراتيجية و اهدافها و مساراتها سنتناول الموضوع من خلال المبحثين الاتيين :

(١) المقدمات وخلفيات المواقف الامريكية تجاه العراق .
(٢) الاستراتيجية الامريكية لتحقيق النصر في العراق .

المبحث الاول

المقدمات وخلفيات المواقف الامريكية تجاه العراق

تزامن الغزو العراقي للكويت عام ١٩٩٠ مع متغير اساسي على صعيد العلاقات الدولية تمثل في تراجع دور ومكانة الاتحاد السوفياتي وأنهياره لاحقا وتبوؤ

(*) استاذ جامعي - باحث اكاديمي

الولايات المتحدة الامريكية مركز القيادة العالمية لتوافرها على عناصر القوة العسكرية والاقتصادية والمعرفية والتبشير بولادة نظام عالمي جديد .

وقد شكلت هذه الازمة " أول أختبار حقيقي لهذا النظام"[1] حيث عملت الادارة الامريكية على أفشال أية محاولة عربية أو أقليمية أو دولية لأيجاد مخرج لهذه الازمة لانها أختارت قرار الحرب ونجحت فيه من تجريد العراق من قوته العسكرية وتدمير بنيته التحتية وأردفتها بسلسلة قرارات صادرة عن مجلس الامن أسهمت بشكل كبير في أضعاف الجبهة الداخلية وعزل العراق عن محيطه العربي والاقليمي والدولي " بعدما أتاح لها أنهيار الاتحاد السوفياتي ونهاية الحرب الباردة توظيف الامم المتحدة بصفة عامة ومجلس الامن على وجه الخصوص لفرض عقوبات مختلفة و ممارسة المزيد من الظغوط عليه "[2] وتصفية الحسابات معه لاحقا.

ولم يكن هذا بمعزل عن نمو الفكر اليميني المحافظ الذي يرى في " أستخدام القوة أحد الخيارات المطروحة والضرورية للوصول الى غاية بناء مشروع امريكي عالمي وهذه التطورات في أنتاج الرؤى حدثت نتيجة النمو المستمر في الاقتصاد والعلم والتكنلوجيا "[3] وجاءت أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ لتثير جدلا كبيرا ونقاط أختلاف عديدة من حيث طبيعتها وتأثيرها في السياسة الخارجية الامريكية وقد برز في هذا الجدل الفكري والسياسي أتجاهان :

الاتجاه الاول : يرى انها لحظة فارقة أدت الى تشكيل سياسة خارجية امريكية جديدة ذات معالم مختلفة عن تلك التي كانت قائمة من قبل[4].

الاتجاه الثاني : يؤكد انها لحظة كاشفة بمعنى ان السياسة الخارجية الامريكية التي بدأت تتشكل عقب تلك الاعتداءات لم تكن في الواقع جديدة . فقد كانت هذه السياسة قائمة بالفعل وكل مافعلته أحداث ١١ أيلول أنها كشفت عن واقع تلك السياسة وقدمتها للعالم في صورتها الحقيقية خالية من

---

[1] محمد شوقي عبد العال . موقع العرب في النظام الدولي الجديد . شؤون عربية العدد ٧٥ الامانة العامة لجامعة الدول العربية. القاهرة ١٩٩٣ ص٧٢ .

[2] لمزيد من التفاصيل بهذا الخصوص أنظر أدريس لكريني . التدخل في الممارسات الدولية : بين الحظر القانوني والواقع الدولي المتغيرفي العولمة والنظام الدولي الجديد. سلسلة كتب المستقبل العربي ٣٨ . مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ٢٠٠٤ .

[3] عماد مؤيد جاسم . أثر دراسة قوى التغيير في مستقبل الدولة القومية . أطروحة دكتوراه غير منشورة . كلية العلوم السياسية. جامعة النهرين ٢٠٠٦ ص ٨٤ .

[4] باسل سلوم محمود .المجمع الصناعي العسكري والاعلام الامريكي ودورهما في رسم السياسة الخارجية للولايات المتحدة الامريكية ١٩٩٠ - ٢٠٠٢ أطروحة دكتوراه غير منشورة .المعهد العالي للدراسات الدولية / الجامعة المستنصرية ٢٠٠٤/ ص ٢٠٢ .

اللمسات ومحاولات التجميل كسياسة تنزع بشدة نحو الهيمنة على مقدرات عالم مابعد الحرب الباردة[5].

وبعيدا عن هذا الخلاف والتباين في وجهات النظر فأن الشيء المهم الذي يجب التأكيد عليه أن هذه الاحداث تمثل أحدى المحطات الرئيسية لعالم مابعد الحرب الباردة وهو مايسلم به منظرو هذين الاتجاهين .

لقد أستخدمت الادارة الامريكية الهزة النفسية الهائلة التي خلفها الحدث في صفوف الامريكيين لتمرير أجندتها وتبرير مضاعفة الانفاق العسكري وتكثيف التدخل العسكري في الخارج[6].

ولكن هذا لايمنع الاشارة الى ان رؤية الادارة الامريكية الجديدة لم تكن وليدة الفوز بأنتخابات الرئاسة أو احداث ١١ ايلول وأنما هي سبقت ذلك . وبالعودة الى الوثيقة التي صاغتها كوندليزا رايس والتي كانت تتولى منصب مستشارة مرشح الرئاسة للشؤون الخارجية تعكس رؤية هذا المرشح المستقبلية للعالم في حالة أنتخابه. وقد نشرت هذه الوثيقة في مجلة Foreign Affairs (الشؤون الخارجية) في عددها الاول من عام ٢٠٠٠ بعنوان(حملة ٢٠٠٠ النهوض بالمصالح القومية) وفي هذه الوثيقة نلمس الاتجاه المحافظ التقليدي في تصور السياسة الخارجية الامريكية للعهد الجديد والتي تقوم على الاسس الاتية[7]:

١. ضمان قدرة الجيش الامريكي على درء التهديدات الخارجية والدفاع عن مصالح الولايات المتحدة عند فشل سياسة الردع والاحتواء .
٢. تعزيز النمو الاقتصادي من خلال تعزيز التجارة الحرة ونظام مالي عالمي مستقر.
٣. توطيد العلاقات الحميمة والقوية مع الحلفاء التقليديين الذين يشتركون مع الولايات المتحدة في قيمها ومستعدون للاسهام في تحمل أعباء نشر السلم والرفاهية.

---

[5] علي حسين حميد . القوى الاقليمية والقوى الكبرى . دراسة في أستراتيجيات الشراكة والتوظيف . دراسة حالة العراق والولايات المتحدة الامريكية . أطروحة دكتوراه غير منشورة / كلية العلوم السياسية / جامعة النهرين ٢٠٠٧ ص٢٧٦ .

[6] السيد ولد أباه . عالم مابعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ الاشكالات الفكرية والاستراتيجية. الدار العربية للعلوم . بيروت ٢٠٠٤ ص١٢ .

[7] باسل سلوم محمود . المجمع الصناعي العسكري والاعلام الامريكي ودورهما في رسم السياسة الخارجية للولايات المتحدة الامريكية ١٩٩٠/ ٢٠٠٢ . مصدر سابق ص ٢٠٠ ــ ٢٠٠ وكذلك السيد ولد أباه عالم مابعد ١١ سبتمبر مصدر سابق ص ٣٦ ـ ٣٧

٤. تركيز الطاقات الامريكيةعلى بناء علاقات مع القوى الدولية الكبرى وخاصة روسيا والصين بما يضمن تحقيق مصالح الولايات المتحدة .
٥. التعامل بشكل حاسم مع خطر" الانظمة المارقة" المتهمة من قبل الولايات المتحدة برعايتها للارهاب تارة ومحاولتها الحصول على أسلحة الدمار الشامل تارة أخرى .

وترى رايس أن الادارة الديمقراطية السابقة قد أستبدلت معيار المصلحة الوطنية بمقولة المصالح الانسانية أو مصالح المجموعة الدولية . في حين يتعين أعطاء الاولوية للمصالح القومية الامريكية بل أن تركيز الولايات المتحدة على مصالحها الذاتية يؤدي عمليا الى تعزيز الحرية والسلم والرفاهية الاقتصادية في العالم[٨].

وتقوم هذه الاستراتيجية على ركيزة أساسية قوامها السعي الحثيث لاجهاض التطورات والقوى المنذرة بالخطر قبل أن تصبح في حاجة الى علاجات حاسمة[٩].

ويتعلق الامر هنا بأستراتيجية تقوم على التخويف والضربة الاستباقية بلورتها مراكز الرأي القريبة من مدرسة المحافظين الجدد التي أسست لهذا الغرض بنية ثقافية وأعلامية . متكاملة[١٠].

وتتمحور هذه الاستراتيجية حول ثلاثة مرتكزات أساسية هي :

(١) ملاحقة التنظيمات "الارهابية " بالوسائل العسكرية والامنية والقانونية .

(٢) السعي لمنع أنتشار أسلحة الدمار الشامل والحيلولة دون أمتلاكها من قبل الدول " المارقة" .

(٣) توظيف قيم الديمقراطية وحقوق الانسان وأستغلالها لتحقيق المصالح الامريكية.

أن مكمن الخطورة في عقيدة الحرب الاستباقية التي تعني شن الحرب لمجرد الاشتباه في وجود تهديد على الولايات المتحدة ودون الحاجة الى تفويض من الامم المتحدة ليس فقط في أنه يخلق حالة عداء وخوف من نيات الولايات المتحدة وخططها تجاه الاخرين أنما لانه (يوجه دعوة الى الاخرين لتطبيق العقيدة نفسها)[١١]. كل حسبما يرى مصلحته .

---

[8] السيد ولد أباه مصدر سبق ذكره ص ٣٧ .

[9] عبد القادر محمد فهمي . المدخل الى دراسة الاستراتيجية . دار الرقيم للنشر والتوزيع الطبعة الاولى بغداد٢٠٠٥، ص ٣٣٠.

[10] السيد ولد أباه مصدر سابق ص ٨٠ .

[11] جيفري ريكورد الحرب الامريكية في العراق في عاميها الاوليين . الناشر معهد البحرية الامريكية . عرض المستقبل اللعربي . السنة ٢٨ . العدد ٣١٧ تموز ٢٠٠٥ . ص٢١٦ .

أن الرؤية الامريكية بعد أحداث ١١ أيلول أصبحت تتمحور حول خطا يحاول الجمع أو (التقريب) بين المثالية الولسونية أمريكيا بصفتها ضمير الانسانية والمسؤولة عن نشر الحرية والديمقراطية والاستثنائية الاحادية في حدها الاقصى الذي (يتخذ شكل طموح أمبروطوري تقليدي لايتقيد بضوابط تشريعية ولايقيم وزنا لنظم ومؤسسات دولية بل ينطلق من مبدئين متلازميين هما من جهة أن الشرعية تتولد من السلطة المهيمنة وان مصلحة الولايات المتحدة القومية هي مصلحة العالم)[12].

وشكلت هذه الرؤية علامة فارقة ونقطة تحول في الفكر السياسي وفي رؤية الولايات المتحدة لنفسها ولعلاقاتها مع العالم ووجدت فيه فرصة تعوض فيه مافقدته من فرص توفرت لها بعد أنتهاء الحرب الباردة وكذلك حرب الخليج الثانية لآعادة صياغة المبدء الناظم لسياستها الخارجية[13].

وخلال الـ (٤٨) ساعة التي تلت الحدث ركز الخطاب السياسي الامريكي على ثلاث عناويين مركزية هي[14]:

١ – نفذ الاعتداءات أسامة بن لادن وتنظيمه القاعدة .

٢ – قاعدتهم في أفغانستان يجب الاطاحة بها عبر الحرب .

٣ – يجب أن تمتد الحرب بعد ذلك الى دول أخرى تقدم للارهابيين ملاذا .

وعلى أساس هذه النقاط تحددت الافكار والاسس بخصوص محاربة الارهاب كونها مبادىء لاتقبل النقاش " معنا أو مع الارهابيين " وهو مايعني وضع الادارة الامريكية الحرب على الارهاب في المستوى نفسه والمكانة ذاتها التي كان يحتلها هدف محاربة الشيوعية خلال الحرب الباردة[15].

وفي ظل تلك الاجواء كثفت الولايات المتحدة من خطابها السياسي حيال العراق متهمة أياه بأمتلاك أسلحة الدمار الشامل وعلاقته بالقاعدة[16]، وأفترضت أمكانية

---

[12] السيد ولد أباه مصدر سابق ص . ٥٠ .

[13] جمال عبد الجواد . السياسة الامريكية تجاه العراق . تشدد يميني وهوس أمني . السياسية الدولية . العدد ١٥٠ . ٢٠٠٢ . ص٨٥ .

[14] ماتياس بروكرز . المؤامرة . نظريات المؤامرة وأسرار ٩/١١ . ترجمة كاميران حوج . منشورات الجمل . كولونيا ألمانيا – بغداد – ٢٠٠٥ . ص١٦٤ .

[15] أحمد أبراهيم محمود . الارهاب الجديد . الشكل الرئيسي للصراع المسلح في الساحة الدولية . السياسة الدولية . العدد ١٤٧ . السنة ٢٠٠٢ . ص١٦٤ .

[16] ذكرت محطة (سي بي أس) أن رامسفيلد وبعد ساعات من الهجوم على مبنى البنتاغون أوعز بالهجوم على العراق على الرغم من أن مسؤولي الاستخبارات أخبروه أن القاعدة وراء الهجوم ولايوجد أرتباط بين العراق والقاعدة ألا أن رامسفيلد قال " تحركوا بكثافة وأجمعوا كل شيء المرتبط وغير المرتبط " أنظر حسين الحاج علي أحمد . تغيير الثقافة بأستخدام السياسة . تجربة العراق . المستقبل العربي العدد . ٢٦٤ . ٢٠٠٣ . ص ٥٥ .

أقدام العراق على مهاجمتها يوما بأسلحة دمار شامل مباشرة أو عبر وكلاء[١٧]، ووفقا لهذه الافتراضات أستكملت الولايات المتحدة أستعدادها للحرب ووضعت الامم المتحدة على الخطوط الجانبية حينما أصبح مؤكدا أن غالبية أعضاء مجلس الامن لن يؤيد القول بأن العراق في حالة (خرق مادي) ومن ثم ينبغي أن يواجه عواقب وخيمة وهو تعبير مرادف للحرب[١٨].

وعلى هذا الاساس دأبت الادارة الامريكية على الترويج لفكرة أن سياسة الادارة الديمقراطية السابقة في أحتواء النظام العراقي التي جاءت في أطار سياسة الاحتواء المزدوج المطبقة منذ عام ١٩٩٢ قد أثبتت فشلها طيلة العقد الماضي وأن هذا الفشل يمثل مسوغا قويا لتوجيه ضربة عسكرية للعراق تصحح أخطاء الماضي وتزيل الخطر الذي يمثله النظام العراقي كلية[١٩].

وفي هذا السياق طرح الرئيس جورج دبليو بوش خيار الحرب ضد العراق خلال أجتماعه في كروفورد مع رئيس الوزراء البريطاني توني بلير " أن سياسة حكومتي هي الاطاحة بصدام حسين وأن الخيارات كلها مفتوحة[٢٠].

وأكدت الادارة الامريكية أنها ستشن الحرب على العراق سواء بقرار من مجلس الامن أو من دونه مما يجسد درجة عالية من الاستخفاف بالشرعية والقانون الدولي[٢١]. وأنكرت على قوى دولية مثل فرنسا وألمانيا حقها في الاختلاف مع السياسة الامريكية بشأن التعامل مع المسالة العراقية متهمة اياها بأنها تعبر عن أوربا القديمة[٢٢]. كما أنها لم تعر أذانا صاغية لاعتراضات روسيا والصين ولم تقم أي أعتبار للرأي العام الامريكي والعالمي المناهض للحرب وكان نتيجة هذه السياسة شن الحرب في ٢٠/٣ / ٢٠٠٣ وسقوط النظام الحاكم في ٢٠٠٣/٤/٩ ووقوع العراق في قبضة الاحتلال الامريكي ـ البريطاني.

17 نصير عازوري . حروب جورج دبليو بوش الوقائية بين مركزية الخوف وعولمة أرهاب الدولة . المستقبل العربي . السنة ٢٦ . العدد ٢٦٧ . تشرين الثاني . ٢٠٠٣ . ص ٢٧ .

18 هانز فون سبونيك . مابعد الحرب وماقبل السلام : العراق الى أين . المستقبل العربي . السنة ٢٨ . العدد ٣١٧ تموز ٢٠٠٥ . ص٤١ .

19 علي حسين حميد القوى الاقليمية والقوى الكبرى مصدر سابق . ص٦٦ . نقلا عن مايكل هدسون سياسات السلام الامريكي في العراق والشرق الاوسط في مجموعة باحثين . أحتلال العراق وتداعياته عربيا ودوليا . ط١ . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت ٢٠٠٤ .

20 ميلان راي . خطة غزو العراق . ترجمة حسن الحسن . ط١ . بيروت دار الكتاب العربي ٢٠٠٣ . ص١٢٦ .

21 حسنين توفيق أبراهيم. النظم السياسية العربية . الاتجاهات الحديثة في دراستها . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت ٢٠٠٥ . ص١٤٨

22 المصدر نفسه . ص ١٤٧

وأذ ما أستبعدنا الاهداف المعلنة لاحتلال العراق فأن الاهداف الحقيقية للولايات المتحدة تتمثل في السيطرة على نفط المنطقة وضمان أمن أسرائيل لان الامساك بورقة النفط في العالم كورقة ضغط أستراتيجية حيث التحكم في تصدير النفط (العرض) وفي أسعاره يضع كل القوى الاقتصادية العالمية تحت رحمة الشروط الامريكية ويحد كثيرا من قدرتها على منافسة الولايات المتحدة كقوة عظمى وحيدة[٢٣].

وقد عبر فرانك كارلوتشي الخبير في مجلس سياسات الدفاع الامريكية عن هذه التوجهات " لدينا أستراتيجية عليا غاية في البساطة نحن نريد في المنطقة نظما موالية لنا لاتقاوم أرادتنا ، ثم أننا نريد ثروات هذه المنطقة بغير منازع ، ونريد ضمانا لامن أسرائيل لانها الصديق الوحيد الذي يمكننا الاعتماد عليه"[٢٤].

وفي ذات السياق يشير مايكل هدسون الباحث الامريكي من جامعة جورج تاون في المؤتمر الذي نضمته السفارة الالمانية في بيروت/ تموز ـ ٢٠٠٣ بالتعاون مع مؤسسة فريد ريش ايبرت . والذي حمل عنوان (المسألة العراقية : حق تقرير المصير تحت الاحتلال) أن لهذا التدخل أسباب غير معلنة تتلخص بتعزيز الامن الاقليمي لاسرائيل وألغاء الخطر الذي يشكله العراق على دول خليجية وتفكيك الاقتصاد الاشتراكي الموجه في هذا البلد وتعزيز بعض المؤسسات النفطية الامريكية[٢٥].

المبحث الثاني:

الاستراتيجية[٢٦] الامريكية لتحقيق النصر في العراق

---

[23] خير الدين حسيب . مستقبل العراق . الاحتلال . المقاومة . التحرير والديمقراطية . سلسلة كتب المستقبل العربي .٣٥ . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت ٢٠٠٤ ص٢١٨

[24] عبدة مختار موسى . مستقبل العلاقات الامريكية ـ السودانية بعد أتفاقية السلام . المستقبل العربي . السنة ٢٨ . العدد ٣١٩ . أيلول ٢٠٠٥ ص ٦٤ . نقلا عن محمد حسنين هيكل . الامبروطورية الامريكية .

[25] جاسم يونس الحريري ـ العراق الى أين ((ملف)) الوحدة الوطنية . المستقبل العربي . السنة ٢٧ . العدد ٣٠٥ . تموز ٢٠٠٤ ص ٦٢ .

[26] أذ كانت السياسة هي مجال تحديد الاهداف فأن الاستراتيجية هي الاداة للوصول الى تحقيق هذه الاهداف ويصبح خضوع الاستراتيجي للسياسة هو من المبادىء الاساسية المسلم بها في الفكر الاستراتيجي . وفي ضوء هذا التصور فأن الاستراتيجية يمكن تعريفها بأنها " علم وفن أستخدام الوسائل والقدرات المتاحة في أطار عملية متكاملة يتم اعدادها والتخطيط لها بهدف خلق هامش من حرية العمل تعين صناع القرار على تحقيق أهداف سياستهم العليا في أوقات السلم والحرب "

ومن خلال هذا التعريف يفترض توافر عدة شروط عند وضع الاستراتيجية منها (١)وضوح الاهداف(٢)واقعية الاهداف(٣)العقلانية(٤)الاستمرارية(٥)المرونة.

"سوف يتم تحقيق النصر بتوفر العزيمة ، ولكن ليس في موعد محدد ولم يسبق أن تم تحقيق النصر في أي حرب في السابق بناء على جدول زمني ولن يحدث ذلك في هذه الحرب أيضا"[٢٧].

هذه الفقرة هي جزء من خطاب الرئيس الامريكي جورج دبليو بوش في ٢٠٠٥/١١/٣٠ في الاكاديمية البحرية في أنا بوليس بولاية ميريلاند تناول فيه الاهداف الأمريكية في العراق والخطة لتحقيق النصر ، والغرض من " الاستراتيجية القومية للنصر " التي أصدرها البيت الابيض وأعدها مجلس الامن القومي .

وجاء في الاستراتيجية: نظرا لكونه " ((أي العراق)) الجبهة الرئيسية في الحرب العالمية على الارهاب فأن النصر في العراق عنصر أساسي في الحرب الطويلة ضد أيديولوجية تولد الارهاب الدولي "[٢٨].

ولتحقيق هذه الغاية فأن هذه الاستراتيجية تتمحور حول ثلاثة مسارات :

١. المسار السياسي : ويتمثل في أرساء "النظام السياسي الديمقراطي" القادر على حماية حقوق ومصالح جميع المواطنين .
٢. المسار الامني : شن حملة واسعة لهزيمة الارهابين وأعادة بناء قوات الامن العراقية وتطويرها!.
٣. أرساء أقتصاد متين قادر على الاستمرار دون مساعدات خارجية .

وعلى الرغم من التأكيد أن هذه " الاستراتيجية متكاملة ومتكافلة العناصر "[٢٩]. لم يؤخذ بنظر الاعتبار هذا التلازم بين هذه المسارات الثلاثة والقيام بمراجعة شاملة للوضع في العراق تفضي الى تجاوز "الاخطاء" التي أرتكبت طيلة الفترة الماضية وفي مقدمتها مبررات خوض الحرب[٣٠]. والتي أستندت الى معلومات عن أمتلاك العراق لاسلحة الدمار الشامل وعلاقته بالقاعدة لتبرير شن الحرب وهو ماتبين للراى العام الامريكي والعالمي لاحقا أنه لا أساس لها من الصحة على الاطلاق .يضاف الى ذلك الاخفاق الكبير في تقديم تقدير دقيق لحجم مشكلات العراق السياسية والامنية

لمزيد من التفاصيل عن الموضوع أنظر عبد القادر محمد فهمي . المدخل الى الاستراتيجية . مصدر سابق . ص ١٢ ــ ٢٦ .

[27] جورج دبليوبوش . الاستراتيجية الامريكية لتحقيق النصر في العراق . نشرة واشنطن . مكتب برامج الاعلام الخارجي بوزارة الخارجية الامريكية .
1/12/2005www.usinfo.state.gov/ar/home/

[28] نفس المصدر.

[29] جورج دبليوبوش . الاستراتيجية الامريكية لتحقيق النصر في العراق . مصدرسابق.

[30] وفي ذات السياق أشارت وزيرة الخارجية البريطانية مارغريت بيكت " الى أن بريطانيا والولايات المتحدة أرتكبنا أخطاء في العراق منذ الحملة لاسقاط نظام صدام حسين " قناة الحرة ٢٠٠٧/١/٢٩

والاقتصادية والاجتماعية والمخاطر المحدقة لتدخل قوى وأطراف أقليمية في الشأن العراقي[٣١].

وامام هذه المشكلات والتعقيدات لم تجد وزيرة الخارجية الامريكية كونداليزا رايس سوى الاعتراف صراحة بالارتكاب الاف "الاخطاء" التكتيكية في العراق والتي كان الرئيس الامريكي جورج دبليو بوش قد سبقها في الاشارة الى عدم أستيعاب الواقع العراقي ومن ثم عدم تحديد الاليات بشكل صحيح . ففي مقابلة نشرتها صحيفة نيويورك تايمز في ٢٠٠٤/٨/٢٦ يقول (لقد وقعنا في أخطاء حسابية بشأن ماستكون عليه الاحوال في العراق)[٣٢].

وفي الحقيقة فأن هذه "الاخطاء" التي تحدثت عنها كونداليزا رايس والرئيس الامريكي جورج دبليوبوش لم تكن تكتيكية ولا حسابية على الاطلاق ولكنها مرتكزة على الفلسفة والثقافة السياسية الامريكية في رؤيتها للعالم وموقفها من الاخر وتعاطيها مع القضايا الدولية .

لذلك يرى الكثير من الاستراتيجين والمحللين السياسين ومن بينهم أنتوني كوردسمان الاستاذ في مركز الدراسات الاستراتيجية في واشنطن أن المشكلة تكمن في أن ((الولايات المتحدة أختارت أستراتيجية ذات أهداف لما بعد الصراع غير واقعية ومن غير الممكن تحقيقها . لقد خططت لحرب أرادت أن تخوضها وليس السلام الذي كان من المؤكد أن يعقبها))[٣٣].

ولو كان المفكر الاستراتيجي الالماني كارل فون كلاوزفيتز حيا لكان قد ذكر بمدى أهمية أن يعرف المرء متى يذهب الى الحرب وأى نوع من السلام يريد[٣٤]. وكان الفيلسوف اليوناني أرسطو قد أشار الى هذه الحقيقة عندما قال " أن الحرب ليست ألا وسيلة احتياطية لحل المشاكل وانه لايجب اللجوء اليها الا في النادر والقليل من الحالات "[٣٥].

لقد أشارت الكثير من التقارير والدراسات الى خطورة الوضع في العراق وان حالة من الفوضى سوف تسود الساحة العراقية لان الادارة الامريكية لم تضع السياسات والاليات السليمة لمرحلة مابعد صدام حسين أو انها تريد ذلك .

---

31 لمزيد من التفاصيل حول الموضوع أنظر أنتوني كوردسمان . المقاومة المتطورة في العراق المستقبل العربي . السنة٢٨ . العدد ٣١٨ . اب ٢٠٠٥ .

32 فيليس بينيس . أنتقال فاشل للسلطة . النفقات المتصاعدة في العراق . المستقبل العربي . السنة ٢٧ . العدد ٣٠٩ . تشرين ٢ . ٢٠٠٤ ص١٣ .

33 أنتوني كوردسمان . المقاومة المتطورة في العراق . مصدر سبق ذكره . ص ٣٤ .

34 هانز فون سبونيك .مابعد الحرب وبعد السلام .مصدر سابق ص٤٢

35 مارسيل بريلو. جورج ليسكيه . تاريخ الافكار السياسية . الاهلية للنشر والتوزيع . بيروت . ١٩٨٦ . ص ٦٩ .

أن طريقة الولايات المتحدة في تناول عراق مابعد الحرب عسكريا وسياسيا واقتصاديا قد كشفت عن أنها كارثة للولايات المتحدة وللعراق كدولة وللحالة المادية والعقلية للشعب العراقي . ان المعاناة أثناء سنوات الدكتاتورية وسنوات العقوبات الاقتصادية قد أستبدلت بعد الغزو غير الشرعي بمعاناة بسبب الاحتلال[٣٦].

كانت الادارة الامريكية تعلم معظم هذه الحقائق والمخاطر قبل الحرب وكان بأمكانها أن تكتشف حقائق أخرى ولكنها بدل من هذا أستهانت بها او اخفتها او اساءت تقديمها[٣٧].

واثارت موجات السلب والنهب والحرق والتدمير عقب سقوط النظام علامات استفهام كبيرة حول طبيعة هذه الاعمال والجهات التي تقف ورائها والتي كان الهدف من ورائها الأساءة الى تاريخ العراق وهويته الوطنية .

وبهذا الصدد يشير بول بريمر الحاكم المدني للعراق الى " النهب التام للمتحف الوطني العراقي حيث سرق الناهبون الاف القطع الاثرية القديمة التي لاتقدر بثمن وترجع الى فجر الحضارة في بلاد مابين النهرين "[٣٨]. والتي لم تحرك ساكنا لدى القوات الامريكية على الرغم من نداءات الاستغاثة من قبل العاملين في المتحف ويوعز بول بريمر سبب ذلك الى " انه لم يكن لدى الجنود الامريكيين الذين يزيد عددهم على (٤٠) الف أوامر لوقف الناهبين!"[٣٩].

ولكن الحديث لا يزال لبول بريمر (عندما احتلت القوات التي تقودها الولايات المتحدة هايتي في سنة ١٩٩٤ قتلت قواتنا ستة ناهبين خرقوا منع التجول فتوقف النهب)[٤٠].

وعلى ارض الواقع شرع بول بريمر الحاكم المدني للعراق (ايار ٢٠٠٣ – حزيران ٢٠٠٤) على اتباع "سياسة خاطئة"[٤١] فقد جرى حل الجيش العراقي

---

36 هانز فون سبونييك . مصدر سابق . ص٤٣ .

37 ٧٢٩ اكاديميا من خبراء ا لشؤون الخارجية والامن : سياسات ادارة بوش في العراق الاكثر ضلالة منذ فترة فيتام ، رسالة مفتوحة الى الشعب الامريكي . المستقبل العربي ، العدد ٣٠٩ .تشرين ثاني ٢٠٠٤ . ص١٤٢ .

38 بول بريمرعام قضيته في العراق .ترجمة عمر الايوبي .دار الكتاب العربي . بيروت . ص٢٤.

39 نفس المصدر السابق ص ٢٢ .

40 المصدر نفسه . ص ٢٧ .

41 ان التصور الذي اشاعه بعض الكتاب و المحللين الغربيين و الذي جاراهم فيه عدد من الكتاب والمحللين العرب و مفاده ان بول بريمر ارتكب خطا جسيما حينما اعلن حل الجيش العراقي قد تسبب في شيوع فكرة زائفة و مضللة عن اهداف و طبيعة الاستراتيجية الامريكية في العراق و لقد تبين بوضوح ان القرارات التي اتخذها بول بريمر و منها قرار حل الجيش لم يكن مجرد خطأ او سوء تقدير بل كان تجسيدا لسياسة تدمير و محو الدولة وصولا الى تفكيك المجتمع العراقي وفق اسس طائفية و عرقية على نحو يتوافق مع المصالح الامريكية في المنطقة.

وقوات الشرطة والامن، وحل وزارة الاعلام ، وتسريح الاف من الموظفين، الذين شملهم قانون (اجتثاث البعث) وانكاء حدة النزعات العرقية والطائفية[٤٢]. مما ساعد على خلق اوضاع داخلية مضطربة لم تعد الدولة ومؤسساتها قادرة على فرض سلطة القانون .

وهكذا قادت هذه السياسة الى تعقيد الاوضاع وتفاقم المشكلات بدلا عن ايجاد الحلول المناسبة لها والى تنامي المشاعر الوطنية الرافضة للاحتلال[٤٣]. لان "معارضة الاحتلال ليست متوقفة على منطق المحتل او الكيفية التي يتصرف بها"[٤٤]. والشعارات التي يرفعها ولكنها مرتبطة بالدرجة الاساس بالدفاع عن ارض وهوية وتاريخ وحيثما يوجد احتلال توجد مقاومة[٤٥] ولايمكن بأي حال من الاحوال ان يكون العراق أستثناء من هذه القاعدة .

وهكذا بدأت الوقائع تدحض منطلقات الخطاب السياسي الامريكي عن شرق أوسط جديد-كبير ينعم بالديمقراطية والاستقرار بعد أن اخفقت الولايات المتحدة في خلق الظروف السياسية المناسبة للتقليل من الاستياء الشعبي (كون تفكيرها وهمها الاساس أنصب على جانب واحد هو كيفية القضاء على النظام العراقي وعدم أدراكها

فاضل الربيعي، الاحتلال الامريكي للعراق . تكتيك الهروب من كابوس الشرق الاوسط الجديد، نتائج و تداعيات في الاحتلال الامريكي للعراق، صوره و مصائره . سلسلة كتب المستقبل العربي ٤٣، مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ٢٠٠٥ ص ص ١٤٨-١٤٩.
و كذلك أنظر عبد الوهاب القصاب. الجيش ((العراق الى اين / ملف . المستقبل العربي. السنة ٢٧ . العدد ٣٠٥ تموز ٢٠٠٣ . ص١١١

[٤٢] حينما عينت سلطة التحالف مجلس الحكم تبنت مشروعا للتمثيل النسبي الطائفي والعرقي بدلا من التمثيل السياسي .و على الرغم من الدعوات المتكررة الى اقامة التمثيل العراقي على اساس سياسي فان التوزيع العرقي و الطائفي ظل قائما و اصبح السمة الطاغية على العملية السياسية.
أنظر علي حسين حميد. القوى الاقليمية والقوى الكبرى . مصدر سابق ص٣٤٩ ، و كذلك بول بريمر . عام قضيته في العراق. مصدر سابق. ص ١٢٤.

43 شكل قرار مجلس الامن الدولي ١٤٨٣ ايار ٢٠٠٣ . نقطة تحول حاسمة حينما وصف الولايات المتحدة وبريطانيا بدولتي أحتلال . أنظر أدم روبرتس . نهاية الاحتلال في العراق(٢٠٠٤) في الاحتلال الامريكي للعراق صوره ومصائره . سلسلة كتب المستقبل العربي ٤٣ . مركز دراسات الوحدة العربية . ص١٩٩ .

44 كارل كونيتا.دائرة شريرة، ديناميات الاحتلال والمقاومة في العراق ج١، أنماط السخط الشعبي ، مجلة المستقبل العربي. السنة ٢٨ . العدد٣١٧ تموز٢٠٠٥ ص١٢٧ .

45 المقصود هنا بالمقاومة التي تقاتل المحتل من اجل استقلال و حرية و وحدة العراق، اي المقاومة الوطنية. اما اعمال الخطف و القتل و التفجيرات التي تستهدف المواطنين الابرياء فهي اعمال ارهابية يجب ادانتها و شجبها و استنكارها.

لواقع الحال بعد أنهيار مؤسسات الدولة)[46]، وتفشي ثالوث-العنف والارهاب- والفساد المالي والاداري-وأنعدام الخدمات، وبدلا من الاقرار بالامر الواقع والاعتراف بحجم هذه المشكلات وأنعكاس ذلك على الوضع الداخلي "أفترضت الولايات المتحدة لفترة أمتدت لمعظم السنة الاولى بعد سقوط نظام صدام حسين أنها تواجه عدد محدودا من المقاومين الذين يمكن لقوات التحلف أن تهزمهم "[47]. وأختزلت كل المشكلات الناجمة عن الاحتلال في اطار مايسمى مكافحة الارهاب.

وبدل الحديث عن السلام وأشتراطاته جرى الحديث عن محاربة الارهاب وان العراق أصبح الجبهة الرئيسية في الحرب العالمية على الارهاب وكانها المهمة التي جاءت من أجلها الولايات المتحدة لاحتلال العراق ! وبذلك أنحسرت وتراجعت وتلاشت الافكار التي تتحدث عن ((أنموذج عراقي ديمقراطي)) يؤسس لشرق أوسط جديد- كبير والذي تحدث عنه الرئيس الامريكي جورج دبليو بوش في قمة الدول الصناعية الثمانية / حزيران ٢٠٠٤.

أن دراسة حالتي العراق وافغانستان وكذلك التجارب التي سبقتها في البوسنة والهرسك وكوسوفو يعزز القول أن كل المشكلات قد تصبح اسوأ اذ مافرض الشكل الديمقراطي من الخارج بطريقة الفرض من أعلى الى أسفل وبتركيز مفرط على خطوات رمزية قليلة مثل أجراء انتخابات، أي دون فهم عميق بقدر كاف للاحوال الاجتماعية ودون انتباه كاف يوجه كل من الرغبات والقدرات المحلية بالاتجاه الصحيح[48].

لذلك نستطيع القول ان الديمقراطية ليست دساتير وقوانين ومؤسسات واجراءات فحسب ولكنها تتضمن الى جانب ذلك قيما ثقافية وسياسية مثل التسامح والاعتدال والمشاركة والقبول والتعدد والاختلاف والايمان بالحلول الوسط وبالطرق السلمية في حل الخلافات والصراعات[49].

أن الانتخابات التي جرت في ٢٠٠٥/١٢/١٥ والتي شاركت فيها غالبية القوى السياسية كان من الممكن ان تكون مقدمة لانضاج تجربة سياسية واعدة وخطوة اولى لارساء مشروع وطني يضع في الاعتبار مصلحة الشعب العراقي ووحدته الوطنية . الا ان الاحزاب والكتل الكبيرة التي شكلت الحكومة الحالية والحكومات التي سبقتها لازالت تحمل افكار واتجاهات وسياسات لاتنسجم مع مشروع بناء الدولة

---

46 جاسم يونس الحريري . العراق الى أين . مصدر سبق ذكره . ص٥٢ .
47 أنتوني كوردسمان . مصدر سبق ذكره . ص٣٩ .
48 أليسون جي . كي . بايلز . الامن العالمي في عام ٢٠٠٥ ودروس العراق . مجلة المستقبل العربي . السنة ٢٨ . العدد ٣٢٣ . كانون الثاني ٢٠٠٦ . ص٤١ .
49 حسنين توفيق أبراهيم . النظم السياسية العربية . مصدر سابق. ص١١٠ .

الديمقراطية الحديثة والتركيز على بناء السلطة السياسية علـــى اســـاس المحاصـــصة الطائفية والعرقية . وهذا ماينسجم مع هدف المحتل في " تهشيم الوحدة الوطنية عـــن طريق أستثمار التنوع في تركيبة البلد الذي يحتلونه قوميا ودينيـــا ومـــذهبيا لغـــرض تحويل ذلك التنوع الطبيعي الى محفز يخدمهم لتحطيم مقاومة الشعب ثم أرغامه على الرضوخ"[50].

و من اجل اعادة بناء الدولة العراقية على اسس وطنية و ديمقراطية و كبح صيغ المحاصصة الطائفية و العرقية التي اثبتت تجارب السنوات الاربـــع الماضـــية فشلها .

فان المطلوب لتجاوز هذه الازمة في بعدها الداخلي ما ياتي:

(١) المشروع الوطني الذي يؤسس لبناء العراق الديمقراطي الموحد و الـــذي يستند الى فكرة المواطنة بعيدا عن الاعتبارات الطائفية و العرقيـــة و بخلافـــه فـــان (الاحوال سوف تتجه نحو مزيد من الانقسام الطائفي و العرقي. انها تتحرك نحو مزيد من الفوضى و انعدام القانون)[51] على حد وصف اياد علاوي رئيس الوزراء الاسبق.

(٢)تعزيز سلطة الدولة و مؤسساتها لتكون بديلا عن كـــل المظـــاهر الغيـــر قانونية (لان احد الجوانب الاساسية التي تميز الوضع الحالي في العراق هـــو غيـــاب السلطة المركزية لاستخدام القوة في البلاد مما ادى الى نمـــو متزايـــد للميليـــشيات و الجماعات المسلحة وظهور العصابات و الجريمة المنظمة التي تتهم في بعض الاحيان بانها على علاقة مع بعض القطاعات في الشرطة وقوى الامن يضاف الى ذلك تزايد عدد الشركات الامنية المحلية و الدولية[52].

(٣) التعامل مع المشكلات الخلافية من خلال رؤية وطنية صادقة بدأ باجراء بعض التعديلات على الدستور و موضوع الفدرالية و تقاسم الثروات و مشكلة كركوك و قانون اجتثاث البعث.

---

[50] باقر أبراهيم . الغزو عدوان وأستبداد وتعميق للشقاق . المستقبل العربي . السنة ٢٨ . العدد ٣١٦ . حزيران ٢٠٠٥ . ص١١٠ .

[51] مقابلـــة مـــع شـــبكة ام.اس.ان.بـــي الاثنـــين ٢٠٠٦/١٢/١١ نقـــلا عـــن جريـــدة الزمـــان الاربعـــاء ٢٠٠٦/١٢/١٣ .

[52] تقرير بعثة الامم المتحدة الدوري بشان حقوق الانسان في العراق للمدة من الاول من تموز الى نهاية آب ٢٠٠٦ جريدة الصباح العدد ٩٥٦ ، ١٠ تشرين الاول ٢٠٠٦. و كذلك انظر تقرير منظمة العفو الدولية . الاعتقال و التعذيب في العراق بعد احداث ابو غريب . المستقبل العربي ، السنة ٢٨ ، العدد ٣٢٦ ، نيسان ٢٠٠٦ .

(٤) ضرورة وضع حد لظاهرة الفساد المالي و الاداري و نهب موارد الدولة و المال العام حتى امسى العراق من بين الدول الثلاث الاكثر فسادا في العالم[٥٣].
(٥) تبني استراتيجية اقتصادية و تنموية شاملة تهدف الى تغيير الواقع الاقتصادي و الاجتماعي و الثقافي و البيئي لعموم العراق تضع في سلم اولوياتها اعادة اعمار العراق و توفير فرص للعاطلين عن العمل و تحسين مستوى الرواتب والاجور.
(٦) تحقيق المصالحة الوطنية الحقيقية باعتبارها المدخل الصحيح و صمام الامان للعلاقة بين الانا و الاخر.

ومن هنا يتبين حاجة الحكومة و النخب السياسية والحزبية ومؤسسات المجتمع المدني و القوى الاجتماعية و الدينية (اقامة برنامج له القدرة على التوفيق بين المسعى المضاد لمواجهة الارهاب و المسعى المطلوب لتهيئة الارضية الداخلية اللازمة لصيرورة العملية السياسية الديمقراطية)[٥٤] وذلك (لا يتم الا بجذب الاخر و تأهيله للالتزام بقدسية الديمقراطية كنهج للبناء لا ذريعة للتدمير)[٥٥].

وهذا البرنامج بالتأكيد سيفضي الى التخفيف من سطوة الاحتلال و التمهيد للخلاص منه لاحقا والحد من التدخلات الاقليمية التي تعمل على زيادة العنف بمختلف اشكاله.

والبعد الثاني للازمة العراقية يتمثل في سياسات دول الجوار الجغرافي للعراق في تغذية العنف و توجيهه حسبما تقتضي اهدافها و مصالحها. و هو ما وجدت فيه دول الجوار الجغرافي و حتى العربي منفذا للتاثير و عنصرا للمساومة في تحديد الخيارات الوطنية العراقية يعادل بتأثيره سطوة الولايات المتحدة على الخارطة المجتمعية العراقية[٥٦].

لذلك لا يمكن تصور اي نجاح في العراق في هذه المرحلة على الاقل بدون حوار حقيقي و التزام حقيقي من هذه الاطراف تجاه ضبط الامن و تحقيق الاستقرار و هذا ما شار اليه تقرير بيكر-هاملتون في ان (السياسة الامريكية لا ينبغي ان تركز على الاستراتيجية العسكرية فقط و انما على الحصول على التزام و تعاون جميع الجيران)[٥٧]، لانه ليس من (مصلحة اي بلد في المنطقة ان تعم الفوضى في العراق)[٥٨].

---

53 ستيفن فيدلر و ديميتري سيفاستو بولو (ماذا حدث لعشرين مليار دولار من الاموال العراقية) ، المستقبل العربي ، السنة ٢٧، العدد ٣١١، كانون الثاني ٢٠٠٥.
و كذلك تقارير منظمة الشفافية العالمية.

54 علي حسين حميد. القوى الاقليمية و القوى الكبرى . مصدر سابق ص ٤٠٧.

55 منعم صاحي العمار . المشروع الديمقراطي العراقي و حواضنه الاقليمية و الدولية. مجلة جدل . بغداد . العدد ٢. السنة الاولى شباط ٢٠٠٦ ، ص ١٥.

56 منعم صاحي العمار . المشروع الديمقراطي العراقي . مصدر سابق ص ١٦

57 تقرير بيكر-هاملتون جريدة المشرق السنة الثالثة ، العدد ٨٥٢، ٢٠٠٦/١٢/١٢

و هذا ما يجب التفكير به و الحذر منه لان دول المنطقة تعاني من مشاكل متشابهة عرقية و طائفية و امكانية انتقال لصراع واردة مع ما يحمله من مخاطر و تداعيات.

وفي هذه البيئة نجد اسرائيل و التي عملت بحرص شديد لعزل العراق و عدم تمكينه من القيام بدور فعال في معادلة الصراع العربي الصهيوني و التي عملت مع الادارة الامريكية ابان الغزو العراقي للكويت لافشال اية محاولة عربية او اقليمية لايجاد حل لهذه الازمة و اعتماد قرار الحرب ضد العراق.

و بعد الاحتلال الامريكي للعراق فان اسرائيل مع (عراق ضعيف و مقسم عرقيا و طائفيا و حليفا ضد الجارين السوري و الايراني و نقطة وثوب الى الخليج و قلب اسيا حيث الطموحات التي تراود اسرائيل بان تكون شريكا في السيطرة على الثروة النفطية في الخليج العربي و منطقة بحر قزوين[59].

اما بخصوص السياسة الايرانية تجاه المنطقة العربية عموما و العراق على وجه الخصوص فان الولايات المتحدة تبدي خشيتها من تعاظم هذا الدور و تحديدا في العراق علاوة على الجدل الكبير الذي يثار حول البرنامج النووي الايراني و اتهامها بالسعي لامتلاك السلاح النووي و هذا ما يفسر الضغوط التي مارستها الولايات المتحدة على المجتمع الدولي و استصدار قرار مجلس الامن المرقم ١٧٣٧ كانون الاول عام ٢٠٠٦ الذي يتضمن فرض عقوبات على ايران في حال عدم تعليقها لانشطة تخصيب اليورانيوم و بالنظر لعدم امتثال ايران لهذا القرار فقد اصدر مجلس الامن القرار ١٧٤٧ – اذار ٢٠٠٧

و الذي يفرض عقوبات على ايران لعدم "انصياعها لارادة المجتمع الدولي" ، اما ايران فانها ترى ان برنامجها النووي مخصص للاغراض السلمية و لا يهدف الى انتاج اسلحة نووية .

و اذا كانت الولايات المتحدة قد نجحت في تدمير القسم الاكبر من قوة العراق العسكرية في اعقاب غزو الكويت في عام ١٩٩٠ و فرضت عليه حصارا شاملا مهد لاحتلاله عام ٢٠٠٣ ، فانها بالمثل (لا تريد ان ترى ايران لا يردعها رادع و تهيمن على المنطقة)[60] و هذا ما يفسر طبيعة التصعيد في لهجة الخطاب السياسي حيال ايران و اتهامها بالسعي لزعزعة الاستقرار في العراق و (انها متورطة بارسال اسلحة و متفجرات حديثة و مجاميع مسلحة ادت الى مقتل ١٧٠

---

[58] لي هاملتون، قناة الحرة ، ٢٠٠٧/٣/١

[59] محمد السعيد ادريس . تحديات المستقبل العراقي بين العملية السياسية و خيار المقاومة. المستقبل العربي ، السنة ٢٨ ، العدد ٣٢٦ ، نيسان ٢٠٠٤. ص ٣٢ .

[60] جورج فريدمان . مستقبل العراق: البحث عن توازن اتجاه ايران . المستقبل العربي ، السنة٢٧ ، العدد ٣١٤ ، نيسان ٢٠٠٥. ص ٨٤.

جندياً امريكياً و اصابة ١٦٢٠ اخرون بجروح منذ حزيران ٢٠٠٤)[61]. من جانبها ردت ايران على هذه الاتهامات و شبهت (هذه الادعاءات بتلك التي كانت تطلقها الولايات المتحدة بامتلاك العراق اسلحة دمار شامل)[62].

و يبدو ان هناك نوعا من المقاربة بين الاستراتيجية الامريكية المتبعة مع يـران و تلك التي اتبعت مع العراق ، عزل سياسي و عقوبات اقتصادية و قد يعقبها اجـراء عسكري لان ايران تنتهج سياسة العراق في عدم الاذعان للسياسة الامريكية لحقبة ما قبل الاحتلال . و هذا ما بلور ادراك الفكر الاستراتيجي الامريكي بان ايران هي العقبة الاساس التي تعترض المشروع الامريكي لا بل المصلحة الامريكية في منطقة الخليج. فمن الواجب و الضرورة (اجراء التغيير لاكمال خط الديمقراطية الموصل بين تركيا–العراق–ايران–افغانستان و الضامن لنجاح المشروع الامريكي الكبير الذي تحتل فيه ايران حلقة الوصل بين العراق و افغانستان)[63].

و الاتهامات الامريكية لسوريا مشابهه لتلك الموجهة الى ايران في دعـم "الارهاب" و السماح لمرور مقاتلين لتغذية العنف في العراق اضافة الى معارضتها للسياسة الامريكية حيال الصراع العربي الاسرائيلي والملف اللبناني.

اما تركيا فانها لا تخفي قلقها عما يحدث في العراق و انعكاسه على امنها القومي خاصة فيما يتعلق باقرار فيدرالية اقليم كردستان و التي سيكون لها تأثيرها الواضح في الاستقرار في تركيا و مطالبة اكرادها بحقوق اوسع كما انها تعلن صراحة انها لن تقف مكتوفة الايدي في حالة تعرض مصالح التركمان الى الخطر حول موضوع كركوك. و قد تتجاوز الكثير من هذه التحفظات و الاعتراضات (بتوظيف المتغير العراقي لصالح التسريع بانظمامها الى الاتحاد الاوروبي و استمرار تدفق المساعدات الامريكية)[64].

وبخصوص الموقف العربي فقد اتسم بالضعف وانعدام المبادرة سواء أكان ذلك قبل اندلاع الحرب أم فيما بعد ولم يؤسس لدور حقيقي وفعال يمكن ان يؤديه في العراق و اوضحت استقالة ممثل الجامعة العربية في بغداد مختار لماني (ان الجامعة العربية لا تمتلك رؤية عربية واضحة للمساعدة في ايجاد حل للمشكلة العراقية)[65].

---

61 تصريح لمسؤول عسكري امريكي قناة الحرة . ٢٠٠٧/١/١١ .

62 الناطق باسم وزارة الخارجية الايرانية محمد علي حسيني. قناة العربية ٢٠٠٧/١/١١ .

63 حازم محمد موسى . العلاقات العربية الامريكية . دراسة في الابعاد الاستراتيجية لمشروع الشرق الاوسط الكبير ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين ٢٠٠٦ ص ٢٥٥-٢٥٦ .

64 المصدر نفسه . ص ٣٨٤ .

65 قناة الحرة. ٢٠٠٧/١/٢٨.

اما على صعيد التعامل الأمريكي مع الأزمة العراقية فأن حالة الأضطراب سوف تتصاعد مع تمادي النظرة الأحادية للسلوك الأمريكي التي عبر عنها الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش عقب احداث الحادي عشر من ايلول هو اما ان يكون الأخرون معنا او مع "الأرهاب" ومع (استمرار الولايات المتحدة الأمريكية في اعتمادها لخيار "صفر" في علاقاتها الدولية الأمر الذي لا يتيح للقوى الأخرى مشاركة القوة الأمريكية بل يكرس حصول واشنطن على ما تريد مقابل اذعان الأخرين وانصياعهم التام لها)[٦٦].

وهذا ما دفع البعض الى تطبيق طريقة "النسخ التاريخي" في استشراق مستقبل الوجود الأمريكي في العراق ومن بينها ان التاريخ قد يعيد نفسه بحيث تجد الولايات المتحدة نفسها وسط مستنقع اخر خصوصاً مع وجود بيئه اقليمية غير مواتية او بكلمة اخرى غير مرحبة بهذا "الوجود"[٦٧] وبيئة سياسية عراقية تعكس الخلافات الطائفية والعرقية سواء على صعيد مجلس النواب او الحكومة وفشلت في تقديم خطاب او برنامج وطني يعلو على خطاب وتوجهات الكتل السياسية التي تشكل الحكومة ومجلس النواب ، وبيئة دولية عاجزة او ممنوعة من المشاركة في ايجاد الحلول الناجعة للأزمة العراقية .

والمتابع والمحلل لانعكاسات هذه الأزمة على الساحة الأمريكية يمكن ان يؤشر ثلاثة امور مركزية :-

١ – رأي عام امريكي معارض للحرب قبل اندلاعها ولحد الأن وهذا ما اظهرته الكثير من الدراسات واستطلاعات الرأي و منها ما اظهره استطلاع للرأي اجرته صحيفة USA TODAY اوضح ان ٥٩% من المشاركين يرى ان قرار الحرب كان خاطئا وان شعبية الرئيس جوج دبليو بوش وصلت الى ادنى مستوى بلغ ٣٣% وان ٢٨% من الذين شملهم الاستطلاع يعتقدون ان الولايات المتحدة سوف تحقق النصر[٦٨].

٢ – الخسائر الكبيرة للحرب حيث بلغت خسائر الجيش الامريكي في العراق ٣٢٤٤ قتيل لغاية ٢٠٠٧/٣/٢٩[٦٩] و هناك تقديرات تشير الى ان العدد يصل الى اضعاف

---

66 احمد منيسي . الأستراتيجية الأمريكية ، نزوع امبراطوري ينذربفوضى دولية . موقع اسلام اون لاين ، ٧ / ١٠ / ٢٠٠٢ ص ١٠
www.islamonline.net/arabic/politcs/2002/10/article.07.shtml

67 عماد مؤيد جاسم . اثر دراسة قوى التغير في مستقبل الدولة القومية. مصدر سابق ص ٥٤ .

68 قناة الشرقية. ٦ / ٣ / ٢٠٠٧

69 شبكة ال سي. ان . ان

ذلك، اما الخسائر المالية فقد بلغت نحو ٣٢٠ مليار دولار امريكي لغاية شهر نيسان ٢٠٠٦[٧٠]، و هناك تقارير تؤكد ان هذه الخسائر وصلت الى ٤٠٠ مليار دولار في مطلع العام ٢٠٠٧[٧١].

٣ – الأنقسام الحاد داخل الولايات المتحدة حول السياسات التي يجب اتباعها لمعالجة الوضع في العراق خصوصاً بين الكونغرس الذي يهيمن عليه الديمقراطيون والرئيس بوش والذي لايزال يعول على الحل العسكري وفقاً للأستراتيجية الأمريكية الجديدة للتحقيق النصر في العراق الذي اعلنها في١٠/١/٢٠٠٧ (ان إرسال نشر اكثر من ٢٠٠٠٠ جندي اضافي في العراق دعماً للخطة العراقية لأحلال الأمن في البلاد سيؤدي الى تغير المسار في العراق ويساعدنا في النجاح في معركتنا ضد الأرهاب)[٧٢].

وفي ذات الوقت يحمل على ايران وسوريا ويتهمهما بالتدخل في العراق والسعي الى زعزعة استقراره (يتطلب النجاح في العراق حماية وحدة الأرضي العراقية واحلال الأستقرار في المنطقة ويبدأ هذا بمعالجة امر سوريا وايران)[٧٣].

وبالمقابل فأن الأكثرية في الكونغرس وخاصة في مجلس النواب يركزون على الحل السياسي وينتقدون سياسة بوش في العراق ويعدونها خاطئة وتعتمد أولويات معكوسة ويطالبون الرئيس الأمريكي بوضع جدول زمني للأنسحاب من العراق حيث وافق مجلسي النواب و الشيوخ على قانون يربط بين تمويل العمليات القتالية وبين انسحاب القوات في العام ٢٠٠٨[٧٤]. اما بخصوص العلاقة مع ايران و سوريا فان الاغلبية في الكونغرس يحبذون الحوارمع ايران وسوريا استناداً الى تقرير لجنة بيكر – هاملتون ورفض التصعيد لأنه سوف يزيد من تعقيد الوضع

(يجب على الولايات المتحدة ان تنخرط مباشرة مع ايران و سوريا في محاولة للحصول على التزام منهما بسياسات بناءه تجاه العراق والقضايا الأقليمية

---

http://arabic.cnn.com/2007/middle_east/3/28/iraq.soldier/index.html

[70] صحيفة الاند بند نت البريطانية.

http://news.independent.co.uk/world/americas/article360657.ece

[71] قناة الحرة. ١٧/٣/٢٠٠٧ .

[72] جورج دبليو بوش. الاستراتيجية الامريكية الجديدة لتحقيق النصر في العراق. نشرة واشنطن. مكتب برامج الاعلام الخارجي بوزارة الخارجية الامريكية ١٢/١/٢٠٠٧

. www.usinfo.state.gov/ar/home/

[73] نفس المصدر.

[74] قناة الحرة ٢٨/٣/٢٠٠٧ .

الأخرى)[٧٥]. و كذلك (يجب ان يكون هناك التزام متجدد و مستمر من الولايات المتحدة بتسوية شاملة بين العرب و الاسرائيليين على الجبهات كافة)[٧٦].
(لقد كسبت الولايات المتحدة حتى الآن معركة احتلال العراق ولكن المهم من سيكسب الحرب)[٧٧]. ويبدو ان هذا التوصيف دقيقا حتى ان الرئيس الأمريكي عكس هذه الحقيقة حينما اشار الى (ان الأخفاق في العراق سيكون كارثة بالنسبة للولايات المتحدة)[٧٨].

و لم يجد الرئيس الامريكي سوى الاعتراف بصعوبة و خطورة الوضع في العراق (ان الوضع في العراق غير مقبول بالنسبة للشعب الأمريكي وغير مقبول بالنسبة لي ،لقد حاربت قواتنا هناك ببسالة لقد قامت بكل ما طلبناه منها وفي الحالات التي ارتكبت فيها اخطاء انا هو المسؤول عنها)[٧٩].

و السؤال المطروح هو هل يشكل هذا الاعتراف مدخلا للحل لازمة يتفاعل فيها اكثر من طرف :

اولا: الطرف الامريكي الذي يجب ان يقر و يعترف بانه (لا تستطيع الولايات المتحدة الامريكية حسم الحرب عسكريا بل هي في حاجة الى حسمها سياسيا)[٨٠].

ثانيا: الطرف الاقليمي هو الاخر عليه الاعتراف ان الانغماس في هذه الازمة الى هذا الحد لتحقيق مكاسب انية عليه ان يدرك ان خسارته سوف تكون كبيرة في حال التصعيد المستمر مع الولايات المتحدة او انهيار الدولة العراقية و اندلاع حرب اهلية.

ثالثا: الطرف العراقي ان يعترف بانه يتحمل القسط الاكبر في هذه المعادلة ، و ان الحل معقود عليه اذا كان مستعدا لاجراء التسويات الضرورية التي تتطلبها الديمقراطية و ان الاطراف الاخرى يمكن ان تساعد على الحل، و يبدو ان وزير الخارجية الفرنسي فيليب دوست بلازي كان مصيبا حينما اشار الى ان (المقاربة الشاملة و الاستراتيجية السياسية وحدها الكفيلة بادخال السلام الى العراق)[٨١].

---

75 تقرير بيكر هاملتون. جريدة المشرق. السنة الثالثة. العدد ٨٥٢، ٢٠٠٦/١٢/١٢

76 نفس المصدر.

77 التعبير ماخوذ من الرئيس نيكسون الذي اشار عندما كان نائبا للرئيس في محاضرة القاها في اتحاد الطلبة بجامعة اكسفورد بعد حرب السويس عام ١٩٥٦ والعدوان الثلاثي على مصر(ان عبد الناصر خسر المعركة و لكنه كسب الحرب Nasser lost the battle but won the war)
انظر خير الدين حسيب. المشاهد المستقبلية المحتملة في العراق في مستقبل العراق، الاحتلال- المقاومة- التحرير والديمقراطية. مركز دراسات الوحدة العربية ، سلسلة كتب المستقبل العربي ٣٥، بيروت ٢٠٠٤ ص ٢٣٨ .

78 جورج دبليو بوش. الاستراتيجية الامريكية الجديدة لتحقيق النصر في العراق،مصدر سابق.

79 نفس المصدر.

80 جون كيري. امريكا والعراق. اجندة مواعيد لانجاح المهمة. الواشنطن بوست ٢٠٠٦/٤/٦
www.elaph.com/elaphweb/newspapers/2006/4/139891.htm

81 قناة الحرة ٢٠٠٧/١/٢٥.

الخاتمة

١) ان الاهداف الحقيقة لاحتلال العراق هو السيطرة على الثروة النفطية و ضمان امن اسرائيل وتعزيز نفوذها الاقليمي و ان الذرائع التي ساقتها الولايات المتحدة عن امتلاك العراق اسلحة دمار شامل و علاقة النظام السابق بالقاعدة ثبت بطلانها.

٢) لم يحظ قرار شن الحرب الذي اتخذته الولايات المتحدة بالشرعية الدولية و اتخذت الكثير من الدول منها(فرنسا و المانيا و روسيا و الصين)مواقف مناهضة للحرب.

٣) ارتكبت الادارة الامريكية الكثير من "الاخطاء" منها حل الجيش العراقي و الاجهزة الامنية و وزارة الاعلام و قانون "اجتثاث البعث" و التي خلقت فراغا سياسيا و امنيا ادى الى تعقيد الاوضاع و تفاقم المشكلات بدلا عن ايجاد الحلول المناسبة لها.

٤) افتقرت الاستراتيجية الامريكية لتحقيق النصر في العراق الى الكثير من عناصر الاسترتيجية الناجحة لانها وضعت محاربة الارهاب في المرتبة الاولى في سلم اولوياتها و اختزلت كل المشكلات الناجمة عن الاحتلال في اطار ما يسمى محاربة الارهاب و الانتصار عليه.

٥) لا تستطيع الولايات المتحدة الامريكية حسم الحرب عسكريا بل هي في حاجة الى حسمها سياسياعبر رؤية سياسية واضحة لاطرافها الثلاثة (الامريكي-الاقليمي-العراقي) مع التشديد على ان الطرف العراقي يتحمل المسؤلية الاكبر في هذه المعادلة و ان الاخرين يمكن ان يساعدو في الوصول الى الحل المنشود.

اثر النفط في العلاقات العراقية الكويتية ١٩٦٨-٢٠٠٥

الاستاذ المساعد الدكتور
قيس جواد علي الغريري(*)

المقدمة

أدى النفط وما زال دوراً كبيراً في العلاقات الدولية، فبسبب النفط ولأجله رسمت الحدود واقيمت أنظمة وسقطت أنظمة، بل وحدثت الحروب وعقدت المعاهدات والاتفاقيات وهذا ما ينطبق على منطقة الخليج العربي بالذات، والتي شهدت خلال عقدين قيام اكثر الحروب كلفة في التاريخ المعاصر.

أن دراسة أثر النفط في العلاقات العراقية الكويتية يعد عاملاً مهماً في فهم طبيعة تطور العلاقة بين البلدين. فقد آن الأوان لدراسة هذه العلاقة دراسة موضوعية علمية بعيدة عن التشنج، خاصة وقد مرت فترة زمنية كافية لنسيان الأحقاد والأحداث المؤلمة التي مرت بها علاقة البلدين الشقيقين منذ أكثر من نصف قرن.

أحتوى هذا البحث على خلفية تاريخية، وثلاثة محاور تناول المحور الأول منها، العلاقات العراقية – الكويتية من عام ١٩٦٨ الى عام ١٩٧٩ وهي فترة العهد الجمهوري الثالث، أما المحور الثاني فقد أسهب بالحديث عن العلاقات العراقية الكويتية خلال حكم صدام حسين الى نهاية الاجتياح العراقي للكويت عام ١٩٩١. وفي المحور الأخير أختص الحديث عن هذه العلاقات من عام ١٩٩١ الى عام ٢٠٠٥، ومن ضمنها فترة الاحتلال الأمريكي للعراق، لأن هاتين الفترتين تختصان برد الفعل العراقي على تخطيط الحدود الجديد، ونتائج هذا الترسيم على العلاقات بين البلدين.

أثر النفط في العلاقات العراقية – الكويتية ١٩٦٨ – ٢٠٠٣

لمحة تاريخية

لم يكن اهتمام بريطانيا بمنطقة الخليج العربي بدوافع إستراتيجية فقط، وإنما كان لنفط وادي الرافدين العامل المهم الآخر فيه، اذ كانت تراقب بقلق النشاط الألماني في المنطقة، وتتابع تقارير الخبراء الألمان في نهاية القرن التاسع عشر، والتي وصفت

(*) استاذ جامعي - باحث اكاديمي

منابع أرض الرافدين بانها (بحيرة من النفط) لاتنضب[1]، فضلاً على البحوث التي نشرها كولبنكيان[2] بين عامي ١٨٩٠ – ١٨٩٤ عن وجود النفط في العراق.

فظهر المشروع الألماني لمد سكة حديد برلين– بغداد، وامتد ليجعل من الكويت نهاية لهذا الخط، واقترن هذا الخط بمنح الشركة حق استثمار الثروات المعدنية على جانبي السكة ولمسافة ٢٠كم على الجانبين[3]، ومن الواضح أن هذا المشروع صار مفتاح الزحف الألماني البري للسيطرة على ثروات المنطقة رداً على الزحف البريطاني نحو النفط الفارسي منذ عام ١٨٨٩[4]. واحسن من عبر عن هذه الحالة هو ب.ج ماركن حين قال:

((أن الاستعمار قد سار منذ ذلك الحين، جنباً الى جنب مع شق السكك الحديدية))[5].

وغني عن القول أن التنافس على نفط وادي الرافدين قد أدى دوراً كبيراً في فرض بريطانيا حمايتها على الكويت عام ١٨٩٩، وتعهد الشيخ مبارك لها عام ١٩١٣، بأن لايمنح أي امتياز للبحث عن النفط في الكويت، الا لمن تعينه الحكومة البريطانية[6].

ومهما يكن من امر، فقد كشفت الحرب العالمية الأولى أهمية النفط، الذي صارت كل قطرة منه تعادل قطرة دم على حد تعبير كليمنصو رئيس وزراء فرنسا[7].

وتحت ضغط من شركات النفط، إندفعت بريطانيا لتخطيط الحدود داخل مناطق نفوذها، وما حدث من تخطيط لحدود الكويت في مؤتمر العقير عام ١٩٢٢، الا دليلاً قوياً على صحة ما نقول، اذ وضع برسي كوكس (بجرة قلم) حدود الكويت على

---

1 نوري عبد المحميد العاني ، التاريخ السياسي لأمتيازات النفط في العراق ١٩٢٥ – ١٩٥٢ ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص٢٠ .

2 كالوست سركيس كولبنكيان : أرمني من عائلة عثمانية ثرية ، تخرج من كلية الملك في لندن في هندسة التعدين عام ١٨٩١ . وقام بدور كبير في تأسيس شركة النفط التركية ، وكانت حصته فيها ٥% ومن هنا لقب بالمستر خمسة بالمئة .
Ralph Hewins , Mrfive percent , The Biography of calouste Gulbenkian , London , 1957 , p.28 – 29 .

3 حسن علي الابراهيم ، الكويت –دراسة سياسية ، الكويت ، ١٩٨٠ ، ص٤٨؛ أمين سعيد ، الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة ، بيروت، لات ، ص٨٨ .

4 **Stephen . H.Longrigg , Oil in the Middle East, London , 1954, p.16 .**

5 أحمد حسن جودة ، المصالح البريطانية في الكويت حتى عام ١٩٣٩ ، بغداد، ١٩٧٩ ، ص٦٨ .

6 **J.C.Hurewritz, Documents of Near East Diplomatic History , near Middle East studies , School of International Affairs Columbia University, New York , 1951, p.91 .**

7 صلاح العقاد ، البترول أثره في السياسة والمجتمع ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص٩ .

خارطة الجزيرة العربية، اعتماداً على الاتفاق العثماني-البريطاني غير المصدق لعام ١٩١٣، دون استشارة أحد[٨].

أرسى مؤتمر العقير اللبنة الأولى لحدود محمية الكويت وزاد من الهيمنة البريطانية عليها، ممهداً الطريق لتحويلها الى مستعمرة نفطية بريطانية، ظهرت بوضوح في التقارير البريطانية. اذ وصف أحد هذه التقارير الكويت بانها:

(كانت من الناحية السياسية والاقتصادية كياناً مصطنعاً، وظلت على الدوام عرضة للضغط من العربية السعودية والعراق)[٩].

وهكذا أدى النفط الى تمسك بريطانيا بقوة تجاه محاولات السعودية والعراق لضمها. إذ أن بريطانيا تأخذ ٥٠% من احاجاتها من نفط الكويت، فضلاً على الاستثمارات الكويتية في الخارج والتي كان معظمها في بريطانيا والتي قدرت عام ١٩٦١ الى أكثر من ملياري دولار[١٠].

والواضح من استقراء العلاقة بين العراق والكويت خلال العهد الملكي ، يمكن أن نعد نوري السعيد أحسن من أدار هذه العلاقة بمهارة سياسية كبيرة بحكم ما عرف عنه من ذكاء وخبرة في السياسة الخارجية ، استطاع خلالها إقناع بريطانيا بانضمام الكويت الى الاتحاد العربي الهاشمي ، لتحقيق نوع من الاتحاد الفيدرالي معها ، الا ان قيام ثورة ١٤تموز ١٩٥٨ حال دون ذلك[١١].

وبعد الإطاحة بالنظام الملكي في العراق عام ١٩٥٨ ، واعلان استقلال الكويت عام ١٩٦١ ، طالب الزعيم العراقي عبد الكريم قاسم بالكويت ، فجوبه طلبه بمعارضة قوية عربية ودولية ، ووصلت مشاكل الحدود بين البلدين الى طريق مسدود ، بل وساءت العلاقات الى درجة أقدام الكويت على غلق حدودها مع العراق ، وترحيل عدد كبير من العراقيين منها[١٢].

---

8 للتفاصيل ينظر : مصطفى عبد القادر النجار ، التاريخ السياسي لعلاقات العراق الدولية بالخليج العربي ، دراسة وثائقية ، جامعة البصرة ، ١٩٧٥ ، ص١١٥ .

9 **F.0.371-18909, Record of meeting held at (1) the foreign office on the 5th feb , 1935 .**

نقلاً عن مصطفى عبدا لقادر النجار ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٤٢ .

10 الشيخ عبد الله الطريقي ، البترول في خدمة القضايا القومية ، مجلة البترول والغاز العربي ، القاهرة ، العدد (٤) ، ١٩٦٥ ، ص٤٢ .

11 نوري عبد الحميد العاني وعلاء جاسم محمد الحربي ، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري ١٩٥٨ – ١٩٦٨ ، ط٢ ، بغداد ، ٢٠٠٥ ، ص ص ٢٧٢ – ٢٧٣ .

12 رضا هلال ، الصراع على الكويت – مسألة الأمن والثروة ، القاهرة ، ١٩٩١ ، ط١ ، ص٥٤ .

وبعد الإطاحة بنظام عبد الكريم قاسم في ٨ شباط ١٩٦٣ حصلت الكويت على اعتراف رسمي من العراق بكيانها الخاص وبحدودها الجغرافية[١٣]، دون أن ينتبه النظام العسكري الجديد الى حل مشكلة العراق الجيوستراتيجية مع الكويت في ايجاد ميناء له على الخليج العربي، وبذلك استفادت الكويت كثيراً من الصراع العسكري على السلطة في العراق خلال العهد الجمهوري، وقلة خبرة "العسكرتاريا" بشؤون السياسة الخارجية، الأمر الذي جعل هذه الأنظمة تدخل في مشاكل مع الكويت فيما بعد ، لقد أدرك الرئيس العراقي عبد الرحمن عارف مشاكل العراق الحدودية مع الكويت ، فطالب الكويتيون بتعديل الحدود فقط وليس السيادة على بلدهم. فحاول أن يضغط على الكويت عن طريق الحوار السياسي تارةً وتارة أخرى ملوحاً بالقوة العسكرية، واضعاً في حساباته الظروف الدولية والإقليمية المعقدة، فبقي ملف الحدود معلقاً حتى نهاية رئاسته في ١٧ تموز ١٩٦٨.

العلاقات العراقية – الكويتية ١٩٦٨ – ١٩٧٩

عاد حزب البعث الى السلطة في العراق بعد الإطاحة بنظام عبد الرحمن عارف في ١٧ تموز ١٩٦٨، وبقيت قضية الحدود معلقة مع الكويت، وفي مطلع السبعينات بدأ المسؤولون الكويتيون بزيارة العراق لحل مشاكل الحدود بينهما، ولكن دون التوصل الى نتيجة[١٤]. وقد تزامنت هذه الزيارات مع إقدام الكويت على التوقيع على اتفاقية الجرف القاري مع السعودية وإيران عام ١٩٦٨[١٥]. دون إشراك العراق في هذه المفاوضات أو أخذ رأيه، إذ ان العراق يشترك مع إيران والكويت في الجرف القاري في شمال الخليج العربي.

ومن جانب آخر توترت العلاقات بين العراق وإيران أواخر عام ١٩٦٩، بعد أقدام الأخيرة على إلغاء اتفاقية عام ١٩٣٧، واستيلائها على نصف شط العرب، مما أضعف موقف العراق في الملاحة بشط العرب[١٦]. فطلبت الحكومة العراقية من المسؤولين الكويتين السماح للقوات العراقية بالتمركز في مناطق شمال الكويت، تخوفاً من هجوم إيراني محتمل على ميناء أم قصر، الا ان الحكومة الكويتية رفضت المطالب العراقية[١٧].

---

[13] هيام محمد ديب أبو تاج ومرزوق محمد الشمري ، الكويت ، لام ، ٢٠٠٤ ، ص٤٣٢ .

[14] Abdul.H.Raoof, confrontation and Détente in the Arabian Gulf : The Case of Iraq, p.14 .

[15] صبري فارس الهيتي ، مصدر سبق ذكره ، ص٤٠٦ .

[16] عباس عبود عباس ، أزمة شط العرب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ١٩٧٤ ، ص٤١ .

[17] من الانترنت www.albainah.net

تزامنت هذه الأحداث، مع تدهور علاقة العراق مع شركة نفط العراق في مطلع السبعينات، فاتجهت هذه الشركة -كعادتها- الى خفض إنتاج النفط العراقي والاتجاه الى نفط دول الخليج العربي ومنها الكويت للتعويض عن نقص النفط العراقي[18] في وقت كان العراق يعاني من ضيق اقتصادي كبير، رفضت الكويت خلاله منح العراق قرضاً لتمويل مشروع كهربة سد سامراء عام ١٩٧٢[19].

أن سياسة كهذه كان لابد أن تثير العراق، فأقدم على احتلال مركز الصامتة الحدودي في ٢٠ آذار ١٩٧٢، وهي منطقة غنية بالنفط[20].

أن أهم ما يسترعي النظر في هذا الحادث الحدودي، هو رد الفعل الكويتي الذي كان شديداً، فقد أعلنت الطوارئ وأغلقت الحدود، ودعي مجلس الأمة الى الانعقاد، وتم الاتصال بالدول العربية[21]، وهاجمت الصحف الكويتية العراق، واتهمته بأنه قام بهذا الغزو لتقديم قاعدة للأسطول السوفيتي في الخليج العربي، خاصة وان ناقلات النفط السوفيتية كانت تتردد على ميناء ام قصر لاستغلال حقل نفط الرميلة[22]. وبذلك ضربت بعض الصحف الكويتية على الوتر الحساس لأثارة المعسكر الغربي على العراق، الذي أرتبط باتفاقية تعاون وصداقة مع الاتحاد السوفيتي منذ عام ١٩٧٠[23].

لم تقتصر هذه الضجة على رد الفعل الكويتي وحده، بل وظهر رد فعل آخر أقوى منه على الجانب الآخر من شاطئ الخليج، فقد أعلنت الحكومة الإيرانية عن استعدادها لإرسال قوات عسكرية الى الكويت لمساندتها، وحذر رئيس وزراء إيران- آنذاك- بأن إيران لن تسمح بأي مسعى لأحداث تغييرات في الجغرافيا السياسية في المنطقة[24].

وعلى أثر هذا التصعيد للأزمة تدخلت الجامعة العربية، فأبلغها العراق بأنه سحب أعترافه باتفاق عام ١٩٦٣، ودعا الى إجراء محادثات عراقية-كويتية لبحث قضية الحدود[25].

---

[18] Peter Mangold , Super powerInter vention in the Middle East " LONDON – Cromtlelm, 1978 " , p.89 .

[19] مجال زكريا قاسم ، مصدر سبق ذكره ، ص٨٣ .

[20] محمد عبد الله خالد العبد القادر ، الحدود الكويتية العراقية – دراسة في الجغرافية السياسية ، مركز البحوث والدراسات الكويتية ، الكويت ، ٢٠٠٠، ط١ ، ص٨٢ .

[21] جريدة الثورة ، العدد(١٤٠٩) ، ٢٧ آذار ١٩٧٣ .

[22] جمال زكريا قاسم ، مصدر سبق ذكره ، ص١٠٨ .

[23] صلاح العقاد ، نزاع الحدود بين العراق والكويت ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ٣٣ ، ١٩٧٣ ، ص١١١ .

[24] من الانترنت www.albainah.net .

[25] محمد مشكور ، النزاعات الحدودية في الخليج العربي ، لام ، ١٩٩٧ ، ص١٠٣ .

وسعى ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية الى تقديم وساطته لحل المشكلة، فعرض على الكويت طلب العراق بالحصول على شريط ساحلي يتراوح طوله بين ٧ – ٨ كيلومترات ليكون امتداد لميناء أم قصر، فهذا الموقع يؤمن للعراق. مياه عميقة يحتاجها لإنشاء مرفأ كبير، وذلك لأن مياه أم قصر العراقي، مياه ضحلة لاتسمح باستقبال سفن كبيرة، ولكن الكويت رفضت الطلب العراقي[٢٦].

وعاودت الكويت اتصالاتها مع العراق، فقد قام الشيخ جابر الأحمد الصباح ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء بزيارة العراق، وتباحث مع صدام حسين نائب رئيس مجلس قيادة الثورة للفترة من ٢٠ – ٢٢ آب ١٩٧٣، حول قضية الحدود، حيث طالب العراق بأن يستأجر جزيرتي وربه وبوبيان[٢٧]. ولكن رئيس الحكومة الكويتية أبلغ العراقيين، أنه بالأمكان البحث في تأجير جزيرة وربه وبعض الأجزاء الأخرى، ولكن من الصعب تأجير جزيرة بوبيان لأنها تقع في وسط الكويت[٢٨]. وهنا فوت العراق أيضاً فرصة تاريخية للحصول على بعض المطالب من الكويت. وفي مؤتمر الجزائر عام ١٩٧٥، جرت مفاوضات بين العراق والكويت تحت رعاية الجامعة العربية، فأقترح صدام حسين نائب رئيس مجلس قيادة الثورة على أمير الكويت إعادة جزيرة وربه وتأجير نصف جزيرة بوبيان لمدة (٩٩) عاماً، ولكن أمير الكويت لم يعط رأيه في ذلك[٢٩]. ويبدو أن العراق كان يرغب بانشاء قاعدة بحرية عسكرية متقدمة في أم قصر لمواجهة التفوق البحري الإيراني في الخليج[٣٠]. وعلى أية حال، ففي مؤتمر الجزائر، تم حسم العراق لمشاكله مع إيران بعقد إتفاقية الجزائر. وأدت جهود الجامعة العربية أيضاً الى سحب العراق لقواته من الصامتة عام ١٩٧٥[٣١].

العلاقة بين العراق والكويت ١٩٧٩ – ١٩٩١

تنحى أحمد حسن البكر عن رئاسة الجمهورية عام ١٩٧٩، وتولي صدام حسين السلطة فيه، وتزامن ذلك أيضاً مع سقوط نظام الشاه في إيران في شباط من العام نفسه ومجيء آية الله الخميني الى السلطة في إيران. ولنا أن نشير هنا الى حقيقة، هي أن

---

26 طيبة خلف عبد الله ، مصدر سبق ذكره ، ص١٧١ .

27 تقع جزيرتا وربه وبوبيان في مدخل خور الزبير ويبلغ طول جزيرة بوبيان ٣٦كم وعرضها ٢٠كم ، أما جزيرة وربه فيبلغ طولها ١٠كم وعرضها ٦كم، وهما خاليتين من السكان .

جي.ج.لوريمر ، الكويت في دليل الخليج ، ج٢ ، القسم الجغرافي ، ترجمة مكتب الترجمة في ديوان أمير دولة قطر ، ط١ ، ١٩٩١ ، ص١٠٥ .

28 جريدة السياسة الكويتية ، العدد(٢٥٨١) ، ٢٩آب ١٩٧٥ .

29 علي حسن كريم ، مصدر سبق ذكره ، ص٤٤ .

30 صلاح العقاد ، مصدر سبق ذكره ، ص١٢١ .

31 عبد المالك التميمي ، العلاقات الكويتية العراقية ١٩٢١ – ١٩٩٩ ، دراسة تاريخية ، مجلة عالم المعرفة ، العدد ، ١٩٥ ، الكويت ، ١٩٩٤ ، ص٥٧ .

عهد رئيس الجمهورية أحمد حسن البكر، اتسم بالمطالبة بتعديل الحدود فقط، ولكنه لم يستفد من الفرص المتاحة، وعندما لجأ الى التلويح باستخدام القوة، ظهرت تداعيات عربية وإقليمية خطيرة، متمثلة خاصة بدور إيران الشاه، التي سعت بصورة علنية أو سرية الى الحد من تطلعات العراق نحو موانئ الخليج العربي.

وعلى أية حال، فقد عاد الجمود الى مفاوضات الحدود بين العراق والكويت، بعد اندلاع الحرب العراقية–الإيرانية عام ١٩٨٠، والتي استمرت ثمان سنوات كانت الولايات المتحدة الأمريكية تعمل على إطالتها لأضعاف الطرفين. ولم يخف أحد الكتاب الأمريكيين الأسباب وراء إطالة الحرب بقوله:

((اذا نجحت إيران في الحرب العراقية – الإيرانية فتشكل خطراً على دول الخليج العربي (البحرين)، وكذلك اذا نجح العراق في تلك الحرب فسيشكل نفس الخطر، فهاتان القوتان تتطلعان للاتجاه جنوباً))[٣٢].

وأود أن أشير هنا الى حقيقة، هي أن هذه الحرب ونتائجها قد انتهت لا ليكون الخليج عربياً أو فارسياً ولكنه صار أمريكياً بمقدار ما استفادت الولايات المتحدة الأمريكية من هذه الحرب.

ومن المفيد أن نذكر هنا، ان العراق اعتمد على الموانيء الكويتية–خلال الحرب في استقبال مختلف البضائع والمواد الغذائية والاستراتيجية، والتي لايستطيع استيرادها بسبب الحصار البحري الإيراني عليه[٣٣]. كما وصدرت الكويت لحساب العراق يومياً (١٢٥) ألف برميل وفاء لالتزامات تعاقد العراق عليها في الأسواق ثم توقف عن التزاماته نتيجة ظروف الحرب[٣٤].

وقدمت الكويت للعراق خلال الحرب أيضاً قروض بـ(١٣) مليار دولار كديون على العراق[٣٥]، بينما بالغ الشيخ صباح الأحمد الجابر وزير الخارجية الكويتي، حين ذكر للصحفيين بأن الكويت مولت المجهود الحربي العراقي خلال حربه مع إيران بحوالي (٤٠) مليار دولار[٣٦].

---

32 Edited by , Robert. G Darius, Gulf Security in to the 1980 s, Slonford university California , USA, 1984, p.121 .

33 من الانترنت www.albainah.net .

34 محمد حسنين هيكل ، حرب الخليج ـ أوهام القوة والنصر ، ط١ ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٩٩٢ ، ص٢٠٦ .

35 علاء سالم ، السلوك العراقي وعمليات التصعيد ، مجلة السياسة الدولية ، العدد(١٠٢) تشرين الأول ، ١٩٩٠ ، ص٢٢ .

36 جريدة الأهرام ، العدد (٣٩٧٠٠) ، ١٧ آب ١٩٩٥ .

وبعد نهاية الحرب العراقية–الإيرانية عام ١٩٨٨، قام أمير الكويت جابر الأحمد الصباح بزيارة العراق عام ١٩٨٩، وحصل على وسام الرافدين تقديراً لمواقفه في الحرب[٣٧].

وتوالي بعد ذلك زيارات المسؤولين الكويتيين للعراق من أجل تخطيط الحدود، الا أن الجانب العراقي لم يكن متحمساً لترسيم الحدود مع الكويت، اذ كان مستمراً في الضغط على الكويت للحصول على جزيرتي وربه وبوبيان معاً. ومما زاد مخاوف المسؤولين الكويتين من العراق رفضه التوقيع على معاهدة عدم اعتداء معهم، وقد برر عزة إبراهيم نائب رئيس مجلس قيادة الثورة ذلك، بأن على الطرفين أولاً الانتهاء من مشاكل ترسيم الحدود قبل البحث في مسألة معاهدة عدم الاعتداء[٣٨].

ومما يسترعي النظر هنا، ان العراق خرج من الحرب قوياً عسكرياً ومنهاراً اقتصادياً. فقد كانت لدى العراق قبل الحرب مدخرات تصل الى اكثر من (٣٨) مليار دولار، وعندما إنتهت الحرب، تبخرت هذه المدخرات وأصبح مديناً بما يقارب (١٠٠) مليار دولار[٣٩]، في حين بلغت خسائر الحرب المادية (٣٠٠) مليار دولار[٤٠].

أدى تراكم الديون وعجز العراق عن سداد ديونه مقترناً بتدهور أسعار النفط. فمن اجل سداد ديونه كان على العراق أن يدفع ما يعادل سبعة مليارات دولار سداداً للفوائد فقط. وذلك لايتحقق الا بسعر يعادل خمسة وعشرين دولاراً للبرميل الواحد، بينما كان السعر آنذاك يقارب ثمانية عشر دولاراً فقط[٤١].

ومعنى ذلك أن يدخل العراق في دائرة المديونية التي لايخرج منها أبداً، في وقت كان بحاجة الى أعمار البصرة وكثير من المصانع والموانئ والمطارات التي دمرت بسبب الحرب، فضلاً على الانفاق على أستيراد السلع والتزامات المعيشة والحياة المدنية في العراق، إضافة الى اعتماد العراق على العمالة الوافدة بسبب عسكرة المجتمع والتي قدرت تحويلاتها عام ١٩٨٩ بأكثر من مليار دولار سنوياً[٤٢].

---

[37] محمد الأطرش ، أزمة الخليج جذورها والسياسة الأمريكية تجاهها ، المستقبل العربي ، العدد ١٥٥ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، كانون الثاني ١٩٩٢ ، ص١١٨ .

[38] محمد حسنين هيكل ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٩٩ .

[39] بيار سالنجر واريل لوران ، المفكرة المخفية لحرب الخليج : رؤية مطلع على العد العكسي للأزمة ، بيروت ، ١٩٩١ ، ص١١ .

[40] غازي القصيبي ، أزمة الخليج : محاولة للفهم ، دار الساقي ، لندن ، ١٩٩١، ص١١ .

[41] **JoelBeinin, Origins of the Gulf war (west feld, New Jersey : open Magazine, 1991, p.8.**

[42] عامر التميمي ، الأبعاد الاقتصادية للغزو ، مجلة عالم المعرفة ، العدد١٩٥ ، الكويت ، ١٩٩٤ ، ص ص ٢٣٠ – ٢٣٢ .

والمعروف إن دول الأوبك اتفقت عام ١٩٨٩ على رفع السعر الى واحد وعشرين دولاراً للبرميل وتحديد حصص معنية للإنتاج من أجل ذلك، الا ان دولتي الكويت والأمارات لم تلتزمها بحصص الأوبك ، مما أدى الى هبوط السعر الى خمسة عشر دولاراً للبرميل واحياناً الى أحد عشر او أثني عشر ، وكان الجزء الكبر في زيادة الإنتاج الكويتي المتجاوز لحصة اوبك من حقل الرميلة الواقع على المناطق الحدودية المتنازع عليها بين العراق والكويت[43].

أدت سياسة الكويت والأمارات النفطية الى إثارة العراق ، حيث كبدت العراق خسائر قدرها الرئيس العراقي صدام حسين في خطابه في ١٦ تموز ١٩٩٠ بـ(١٤) مليار دولار سنوياً، فهدد الكويت بقوله (قطع الأعناق ولا قطع الأرزاق)[44].

وقدم طارق عزيز وزير الخارجية العراقي مذكرة الى الشاذلي القليبي أمين عام الجامعة العربية في ١٥ تموز ١٩٩٠ ، إتهم الكويت بالتجاوز على الأراضي العراقية، حيث قامت بسرقة آبار من حقل الرميلة العراقي المتاخم للحدود الكويتية، خلال انشغاله في حربه مع إيران. وقدر كمية النفط المسروق بـ(٢,٤) مليار دولار، إضافة الى قيامها مع الأمارات بتدهور أسعار النفط، حتى بلغت خسارة العراق (٨٩) مليار دولار. واعتبر العراق هذا التصرف بمثابة عدوان عسكري، وطالب الكويت باسقاط جميع القروض والمساعدات، وتنظيم خطة على غرار مشروع مارشال، لتعويض ما خسره العراق في تلك الحرب[45].

وإزاء تصاعد التوتر بين العراق والكويت، بذل الرئيس المصري حسني مبارك جهوداً من أجل احتواء الأزمة، فزار العراق والكويت والسعودية، وتم الاتفاق على عقد محادثات في جدة بالسعودية يوم ٣١ تموز ١٩٩٠ بين الوفدين العراقي والكويتي وتحت رعاية الملك فهد عاهل المملكة العربية السعودية[46].

وفي المحادثات قدم العراق للطرف الكويتي قائمة بعدة مطالب منها[47]:-

١. أن تشطب الكويت ١٣ مليار دولار قيمة ديونها على العراق.
٢. أن تؤجر الكويت جزيرة وربه وبوبيان لمدة ٩٩ عاماً قرضاً.
٣. إمتناع الكويت عن سحب النفط العراقي من حقول الرميلة.

---

43 Joel Beinin , opcit. , p.8.

44 للتفاصيل ينظر : فؤاد مطر وآخرون ، موسوعة حرب الخليج ، الموسوعة العربية للدراسة والنشر ، ط١ ، ١٩٩٤ ، ص ص ٧ – ١١ . جريدة الثورة ، العدد(٧٣٥١) ، ١٨ تموز ١٩٩٠ .

45 Adel darwish, Gregory Alexander, "Unholy Babylon" st marten press , New York 1991, p.271 .

46 أيمن السيد عبد الوهاب ، مصر واحتواء الأزمة ، مجلة السياسة الدولية ، العدد(١٠٢) ، شباط ١٩٩١ ، ص٣٠ .

47 علاء سالم ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٢ – ٢٥ .

٤. أن تقدم الكويت ١٠ مليارات دولار قرضاً للعراق لإعادة أعماره.

ساد جو المؤتمر توتر شديد بين الوفدين العراقي برئاسة عزت إبراهيم نائب رئيس مجلس قيادة الثورة، والوفد الكويتي برئاسة سعد العبد الله الصباح ولي العهد، فقد رفض الجانب الكويتي المطالب العراقية ، فادى ذلك الى قيام صدام حسين باجتياح الكويت واحتلاله في ٢ آب ١٩٩٠[48].

ويمكن إدراك أبعاد الموقف الأمريكي من هذه الأزمة من خلال عدة محاور، أولها عثور القوات العراقية على وثيقة في دائرة أمن الدولة الكويتية ، عبارة عن محضر اجتماع بين مدير عام هذه الدائرة العميد سالم صباح مع القاضي وليم وبستر مدير عام وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في ١٩٨٩/١١/١٤، واتفق الاثنان على التنسيق والاستفادة من الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي خلفتها الحرب للضغط على العراق من اجل ترسيم الحدود مع الكويت[49]. وثانيهما المقابلة التي جرت في حزيران ١٩٩٠ بين ولي العهد الكويتي سعد العبد الله الصباح والسفير الأمريكي في الكويت، والتي نصحه فيها بعدم تلبية المطاليب العراقية، لأن مطاليبهم لاتنتهي، وأن الحكومة الأمريكية مستعدة لإرسال قوات للدفاع عنكم[50].

وظهر الدور الأمريكي واضحاً أيضاً من خلال المقابلة التي جرت بين السفيرة الأمريكية في بغداد أبريل كلاسبي، والرئيس العراقي صدام حسين، إذ ذكرت للرئيس العراقي أن الخلاف الحدودي بين العراق والكويت ليس محور اهتمام امريكي، ولاتوجد معاهدة دفاع مشترك مع الكويت، وإن الولايات المتحدة تتمنى حل المشكلة من خلال الجامعة العربية، وفي هذا ضوء أخضر لصدام، إستخداماً لسياسة التوجيه عن بعد، وهو ما أنكرته السفيرة أمام الكونكرس الأمريكي، إلا أن صدام نفسه اعترف به[51]. فضلاً على الزيارة التي قام بها مبعوث الحكومة الأمريكية جون كيلي لصدام في شباط ١٩٩٠، حين قال له :

((أنتم قوة توازن في المنطقة، تتمنى الولايات المتحدة توثيق العلاقات معها))[52].

والعامل الآخر والأهم هو طبيعة النظام السلطوي الدكتاتوري في العراق، والذي أتخذ من العنف وسيلة لتحقيق الأهداف، فضلاً على جهله بطبيعة العلاقات والمتغيرات الدولية، والتي حصلت في العالم بعد إنهيار الاتحاد السوفيتي[53].

---

48 سعد البزاز ، حرب تلد أخرى ، عمان ، ١٩٩٢ ، ص١٢٨.

49 جريدة الثورة ، العدد (٧٤٤٠) ، ٢٤ تشرين الأول ١٩٩٠ .

50 شبكة الانترنت www.Majdah.com .

51 خالد بن سلطان ، مقاتل من الصحراء ، بيروت ، دار السامي ، ط١ ، ١٩٩٥ ، ص٢٠٧ .

52 بير سلنجر ، أريك لوران ، مصدر سبق ذكره ، ص ص٣٠ – ٣٣ .

53 شفيق ناظم الغبرا ، نقد العقل المغامر : حالة أزمة الخليج ، مجلة السياسة الدولية ، العدد(١١٩) ، كانون الثاني ١٩٩٥ ، ص٢٠ .

فكشف ذلك عن عجز تام في استيعاب منطق العصر، ولم يكن هذا التصرف الا نتيجة منطقية لانعدام الديمقراطية في النظام بكافة مؤسساته فلايوجد رأي آخر سوى رأي (القائد الملهم) ومن تسول له نفسه ابداء رأي مخالف-ولو كان مصيباً- فأن جزاءه التصفية الجسدية.

وهناك من يشير، الى أن الحكومة العراقية قد حصلت على وعد بقبولها عضواً في مجلس التعاون الخليجي ثمناً لدخولها الحرب ضد إيران، إلا أنه تم استبعاده منه بعد نهاية الحرب[٥٤].

وإزاء كل ذلك، اتجه الرئيس العراقي الى تأليف مجلس التعاون العربي ليضم دول عربية فقيرة وهي مصر والأردن واليمن، ورفع شعار حق الفقراء العرب بالثروة النفطية[٥٥]، معتقداً أن هذه الدول ستكون خير معين له في مغامراته، إلا أن بعضها وقفت ضده بشكل أو بآخر.

ومما يسترعي النظر، أن الحكومة العراقية بعد فرض الحصار الاقتصادي عليها في أيلول ١٩٩٠، عرضت بيع نفطها بسعر الكلفة الى دول قارات أفريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية[٥٦] من أجل كسب ودها وإثارة الرأي العام فيها ضد الولايات المتحدة الأمريكية، إلا ان هذه الدول وشعوبها، والتي راهنت القيادة العراقية على ردود أفعالها، لم تحرك ساكناً ولم تستطع تغيير حجم الكارثة التي حلت بالعراق فيما بعد.

العلاقات العراقية الكويتية ١٩٩١ – ٢٠٠٥

خرج العراق من حرب الخليج الثانية وهو مثقل بالديون، والتي قدرها البنك الدولي بحوالي (١٢٧,٧) مليار دولار[٥٧]. كما دمرت أغلب بنيته التحتية. وسمحت الكويت للقوات الجوية الأمريكية والبريطانية بفرض حظر جوي على جنوب العراق حتى نهاية عهد صدام حسين[٥٨].

وعلى أية حال، فأن الكويت سارعت الى استغلال حقول نفط الرميلة التي استولت عليها من العراق وفق التخطيط الجديد وأخذت تبيع النفط بسعر مخفض للشركات الأمريكية بحدود ٢٠ – ٢١ دولار للبرميل، وهذا أقل بكثير من سعره في السوق العالمية[٥٩].

---

54 تركي الحمد، الغزو : الاسباب الموضوعية والمبررات الايديولوجية، مجلة عالم المعرفة، العدد١٩٥، الكويت، ١٩٩٤، ص١٣٦.

55 عبد المالك التميمي، مصدر سبق ذكره، ص٦٢.

56 جريدة الثورة، العدد (٧٣٥٥)، ١٢ أيلول ١٩٩٠.

57 عبد الرحمن نجم المشهداني، نادي باريس وإعادة جدولة ديون العراق، مجلة دراسات وبحوث الوطن العربي / الجامعة المستنصرية، العدد ١٨ – ١٩، ٢٠٠٦، ص١٠.

58 جريدة الثورة، العدد(٨٥٨٩)، ٢ تشرين الثاني ١٩٩٤.

59 جريدة المشرق، العدد(٦٠٢)، ١٦ كانون الثاني ٢٠٠٦.

ولعل من المهم أن نذكر هنا، ان العراق لم يتمكن من تصدير نفطه– بسبب الحصار الاقتصادي–الا لسد نفقات لجان ونشاط الأمم المتحدة على الرغم من مطالبة النظام السابق المتكررة لزيادة صادراته النفطية، والتي كان من الممكن أن يخصص جزء منها لسد الديون التي تراكمت عليه، والتي تضاعفت أيضاً بفعل الفوائد[٦٠].

وبعد نهاية الحرب شكل مجلس الأمن لجنة لترسيم الحدود بين العراق والكويت في مايس ١٩٩١، وقد عهد اليها مهمة ترسيم الحدود الدولية بين العراق والكويت على النحو المحدد في المحضر المتفق عليه والموقع من جانب البلدين عام ١٩٦٣، والمسجل لدى الأمم المتحدة ، وفقاً للمادة (١٠٢) من ميثاق الأمم المتحدة فتكونت اللجنة من خمسة أعضاء ثلاثة مستقلون عينهم الأمين العام للأمم المتحدة، وممثلاً عن العراق والكويت، وترأس اللجنة السيد مختار كوسوما إتمادجا وزير خارجية اندونوسيا السابق[٦١].

أنهت اللجنة أعمالها وبعجالة في نيسان ١٩٩٢، على الرغم من أنسحاب ممثل العراق الدكتور رياض القيسي منها ، وفيما يأتي أهم القرارات المتعلقة بترسيم الحدود:

أ. الحدود البرية

١. يمتد الجزء الغربي من الحدود من تقاطع وادي العوجة مع الباطن شمالاً على طول وادي الباطن ومن نقطة التقاء الحدود العراقية–السعودية–الكويتية، بوصفها العمود رقم(١). وتسير مع أعمق نقطة في وادي الباطن.

٢. يمتد الجزء الشمالي من الحدود عند تقاطع محور وادي الباطن مع خط العرض الذي يمر خلال النقطة الواقعة جنوبي صفوان مباشرة وباتجاه الشرق جنوبي جبل سنام، وبعدها على طول أقصر خط الى ميناء أم قصر ومن هناك الى نقطة التقاء خور الزبير مع خور عبد الله. وحددت اللجنة جنوب صفوان بمسافة (١٤٣٠م)[٦٢] فيما كان الاقتراح البريطاني للحدود عام ١٩٥١ قد أعطى للعراق ميل واحد (١٦٠٩,٣م)، إلا ان الحكومة العراقية رفضته[٦٣].

---

[60] **Iraq External Debt stands of 104 – 129 Bn, Middle East Survey 14.4/2003, at www:mees.com.Economic.**

[61] **مركز الدراسات والبحوث الكويتية ، تخطيط الحدود الدولية بين دولة الكويت وجمهورية العراق كما أقرتها الأمم المتحدة ، أشراف ومراجعة عبد الله يوسف الغنيم ، ط٢ ، الكويت ، ١٩٩٣ ، ص ص ٣٢ – ١١٧ .**

[62] **بطرس بطرس غالي ، الأمم المتحدة والنزاع بين العراق والكويت ١٩٩٠ – ١٩٩٦ ، سلسلة الكتب الزرقاء ، المجلد التاسع ، الأمم المتحدة ، نيويورك ، ١٩٩٦ ، ص ص ٥٥ – ٥٦ .**

[63] **وليد حمدي الاعظمي ، الكويت في الوثائق البريطانية ، ١٧٥٢١٧٥ – ١٩٦٠ ، ط١ ، لندن ، ١٩٩١ ، ص١٦٣ .**

ب. الحدود البحرية

تم ترسيم الحدود الشرقية (البحرية) بين العراق والكويت وفق قرار مجلس الأمن (٧٧٣) عام ١٩٩٢، وقاطع العراق أعمال هذه اللجنة أيضاً.

لقد خلصت اللجنة الى أن الحدود القائمة التي ستخطط هي خط الوسط، على أساس أن يتاح لكلا الدولتين منفذاً ملاحياً الى مختلف أجزاء أقليمها المتاخمة للحدود المخططة. والملاحظ هنا أن المقترح البريطاني لعام ١٩٥١ حدد خطاً مستقيماً جنوب صفوان الى ملتقى المثلث لخور الزبير وخور الصبية وخورشتاته، إلا أنه انحرف في صورة أبقت للعراق المنفذ المائي السابق كله، ولكن التخطيط الجديد للحدود جاء على طول الخط المستقيم من دون انحراف فجعل جزءاً من المجرى الأسفل لخور الزبير داخل أراضي الكويت[٦٤].

ومن ملاحظة هذا الترسيم نستقرأ الملاحظات الآتية:

١. أدى ترسيم الحدود البرية الى تحريك الحدود (٦٠٠م) على طول (٢٠٠كم) لصالح الكويت ، وبناء على ذلك حصلت الكويت على ما يعادل (١٢٠كم٢) يشمل خمسة آبار نفط من حقل الرميلة والتي كان العراق يستغلها سابقاً[٦٥]. وفيما يتعلق بميناء ام قصر، فقد أخذت الكويت أجزاء منه بما في ذلك القاعدة البحرية مع أحواض بناء السفن، وأجزاء من مباني عملاقة شيدها العراق في هذه المنطقة لأغراض التنمية[٦٦].

٢. قامت اللجنة بترسيم الحدود في خور عبد الله على الرغم من ان صلاحيات اللجنة لاتشمل ذلك وبضغط مباشر من الكويت، واشترك ممثلها في تحديد موقع نقطة صفوان، الأمر الذي أدى فيما بعد الى استقالة رئيس اللجنة (كوسوما اتمادجا) في ٢٠ تشرين الأول ١٩٩٢، اذ برر استقالته لسببين الأول شخصي والثاني تحفظاته تجاه تخطيط الحدود في قطاع ما بعد الساحل (خور عبد الله)، اذ لم تجر الإشارة اليه في الرسائل المتبادلة عام ١٩٣٢ ، مما يعني عدم تحديد للحدود يمكن للجنة أن تتخذ منه أساساً في عملية الترسيم الموكلة أليها[٦٧].

والواقع إن منافذ العراق على الخليج العربي محدودة جداً عكس الكويت، لذلك فأن خور عبد الله ذو اهمية كبيرة للعراق، لأنه يطل منه على الخليج العربي، فمن

---

[64] خالد السرجاني ، ترسيم الحدود العراقية الكويتية بعد أزمة الخليج الثانية ، مجلة السياسة الدولية ، العدد(١١١) ، ١٩٩٣ ، ص٢٣٢ .

[65] المصدر نفسه ، ص٢٣٢ .

[66] بطرس بطرس غالي ، مصدر سبق ذكره ، ص٥٥ .

[67] الأمم المتحدة ، الوثائق الرسمية لمجلس الأمن ،ملحق نيسان وايار وحزيران ١٩٩٣ ، الوثيقة المرقمة (s/٢٥٩٠٥) . من الانترنت www.kuwait.kw .

الضروري أن تنطبق عليه وصف الظروف الخاصة، حسب اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار لعام ١٩٨٢، بتعيين حدود البحر الإقليمي بطريقة تخالف قاعدة خط الوسط[٦٨]، خاصة وأن العراق قد انفق مليارات الدولارات عبر عشرات السنين لتحسين الملاحة فيه من أجل انسياب تجارته عبر البحار.

ومهما يكن من امر، فقد تم وضع منطقة منزوعة السلاح لمسافة ٢٠٠كم على جانبي الحدود[٦٩]. وأصرت الكويت على بناء خندق لتأمين حدوها الجديدة، وباشرت العمل به في ٩ حزيران ١٩٩٣ فشقت خندق من مثلث العوجة جنوب غرب الكويت يمتد الى الشمال[٧٠]، وقد بلغ عمق الخندق ثلاثة أمتار وعرضة خمسة أمتار وساتر ترابي على ارتفاع ثلاثة أمتار وجدار يبلغ ارتفاعه خمسة أمتار وسياجاً من الأسلاك الشائكة[٧١]. و على الرغم من ان الأمم المتحدة طلبت من الكويت التريث في بنائه لأن عملية طرد المواطنين العراقيين من أراضيهم سيخلق توتراً في المنطقة، الا ان الكويت قامت بترحيل جميع المواطنين العراقيين في منطقة ام قصر والعبدلي، وقررت الأمم المتحدة بالاتفاق مع الكويت تعويض المزارعين والمواطنين العراقيين، وشكلت لجنة ترأسها خبير سويدي أقرت مبلغ التعويض الأجمالي هو (٥٦) مليون دينار عراقي لـ(٩٥) مزرعة و(١٥,٥) مليون دينار عراقي لـ(٢٠٦) بيوت سكنية[٧٢].

وسددت الكويت مبلغ التعويضات، غير ان احداً من العراقيين لم يوافق على تسلم مبلغ التعويضات، واودع المبلغ في حساب ضمان تابع للأمم المتحدة حيث تبقى تحت تصرف المستفيدين[٧٣].

وهكذا نجحت دبلوماسية (الدينار الكويتي) في إصدار القرار الخاص بترسيم الحدود في ٢٧ ما يس ١٩٩٣، والذي وافقت عليه الكويت، وعارضه العراق[٧٤]، اذ علق وزير خارجية العراق أحمد حسين على قرار الترسيم هذا بقوله:

((أن القصد السياسي الواضح من هذا القرار ليس حرمان العراق من حقوقه التاريخية والجغرافية وإلحاق الأذى بمصالحه الحيوية فحسب ، وأنما هو تعمد خلق

---

[68] من الانترنت www.alriyadh.com .
[69] بطرس بطرس غالي ، مصدر سبق ذكره ، ص٤٦ .
[70] الوثائق الرسمية لمجلس الأمن ، الوثيقة (s/١٩٩٤/١٣٧١) من الانترنت www.kuwait.kw .
[71] المصدر نفسه ، ملحق تشرين الأول وتشرين الثاني وكانون الأول ، الوثيقة (s/١٩٩٥/٨٣٦) .
[72] المصدر نفسه ، الوثيقة (s/١٩٩٤/٢٤٠) .
[73] بطرس بطرس غالي ، مصدر سبق ذكره ، ص٥٩ .
[74] مركز الدراسات والبحوث الكويتية ، تخطيط الحدود الدولية ، مصدر سبق ذكره ، ص٥٠ .

وضع غير شرعي وغير منطقي ومهدد لمصالح حيوية لشعب عريق فرضت عليه محنه بطريق القوة المسلحة والابتزاز السياسي))[٧٥].

وظهر التخبط السياسي واضح لدى الحكومة العراقية سواء في جامعة الدول العربية أو المحافل الدولية، فقد أعتمد على المراهنات السياسية ضمن اللعبة الدبلوماسية، من خلال الاعتراض والمقاطعة او العزلة او العناد دون الاستناد الى أسس قانونية ، فادى ذلك الى خسارة الموقف الذي يمكن الحصول عليه من خلال الحوار والمشاركة حول الموضوع المختلف عليه مع الطرف الآخر، وظهر ذلك واضحاً من خلال معارضة الحكومة العراقية لقرار ترسيم الحدود ثم الموافقة عليه، بقرار من مجلس قيادة الثورة والمجلس الوطني يوم ١٠ تشرين الثاني ١٩٩٤[٧٦] ويبدو أن اندريه كوزيريف وزير خارجية روسيا لعب دوراً في ذلك، واعداً القيادة العراقية–بعد الاعتراف–برفع الحصار الاقتصادي عن العراق، والأهم من ذلك بقاء نظام صدام حسين في السلطة.

اعتقدت الحكومة العراقية، ان الاعتراف بالكويت سيادة وحدوداً، سيحل معظم المشاكل التي تواجهها ومنها الحصار الاقتصادي الذي فرض على العراق، إلا ان الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ودول خليجية أخرى استمرت في ممارسة الضغوط على العراق بحجة وجود أسلحة الدمار الشامل لديه، الأمر الذي دفع العلاقات العراقية الكويتية الى العودة الى نقطة الصفر بعد عام ١٩٩٤ صعوداً، حتى احظر العراق الى حشد قواته على الحدود مع الكويت، ووصلت الأزمة ذروتها عام ١٩٩٨ حين تعرض العراق الى عدوان جوي آخر[٧٧].

وفي عام ٢٠٠٣ سمحت الكويت للقوات الأمريكية والبريطانية باحتلال العراق عبر أراضيها، وقام بعض رجال مخابراتها بتدمير الكثير من المنشآت العراقية انتقاماً من الغزو العراقي للكويت عام ١٩٩٠[٧٨]، على الرغم من ما حصلت عليه الكويت من تعويضات هائلة.

وأعلن بول بريمر الحاكم المدني الأمريكي في العراق، بعد تسلمه منصبه في شهر حزيران ٢٠٠٣ الى ضرورة عودة حدود العراق الى ما كانت عليه، فأبدى أحد شيوخ الكويت قلقه من الوعود الأمريكية للعراق[٧٩].

---

75 المصدر نفسه ، ص٥٢ .
76 جريدة الثورة ، العدد(٨٥٩٩) ، ١٩٩٤/١١/١١ .
77 جريدة الثورة ، العدد(٨٥٩٩) ، ١٩٩٨/١٢/٢٦ .
78 جريدة المشرق ، العدد(٥٥) ، تموز ٢٠٠٤ .
79 جريدة المشرق ، العد (١٦١) ، ٨ تموز ٢٠٠٤ .

وقام رئيس الوزراء العراقي أياد علاوي بزيارة الكويت في تموز ٢٠٠٤، أكد خلالها على احترام سيادة واستقلال الكويت، وتم خلال الزيارة مناقشة مسألة استغلال الحقول النفطية المشتركة الحدود بين البلدين، لأن الكويت تستغل هذه الحقول من جانب واحد[80] مما يلحق الضرر الكبير بالعراق.

ومن جانب آخر رفضت الكويت بشدة الطلب الذي تقدم به كل من رئيس الجمهورية غازي عجيل الياور ورئيس وزراء العراق أياد علاوي ومبعوث الرئيس الأمريكي جيمس بيكر إلغاء التعويضات والديون العراقية[81]، بسبب ظروف العراق الاقتصادية الصعبة،ولازالت الكويت تأخذ هذه التعويضات، والتي بلغ مجموع ما دفع العراق منها حتى أيلول٢٠٠٦ ما يعادل (٢٧) مليار دولار[82].

ومن المعلوم أن ديون الكويت على العراق قبل غزوه الكويت كانت(١٣) مليار دولار، وقدرت الأمم المتحدة الأضرار الناجمة عن اجتياحه للكويت بـ(٢٣)مليار دولار[83]. إلا أن الكويت أضافت الى هذه التعويضات جميع المنح التي قدمتها للعراق أثناء حربه مع إيران، فضلاً عن أضافتها لفوائد جعلت هذه الأرقام تتضاعف بشكل كبير على الرغم من ان هذه التعويضات هي ديون بغيضة[84]، بسبب الحرب، سبق للولايات المتحدة أن الغتها بعد إنهيار النظام الدكتاتوري في كوستاريكا عام ١٩٢٣[85] كما لم تفرض على ألمانيا بعد إنهيار النظام الهتلري فيها بعد الحرب العالمية الثانية.

وكما يبدو من مناقشات الجمعية الوطنية العراقية في آب ٢٠٠٥، فان الكويت لم تكتفي بما حصلت عليه من ترسيم الحدود عام ١٩٩٣، فقد استغلت الفوضى السياسية والأمنية في العراق، فقامت باختراق الحدود العراقية، وظهر ذلك من خلال البيان الذي ألقاه جواد (نوري) المالكي رئيس لجنة الأمن والدفاع في الجمعية أمام الأعضاء قائلاً:

---

80 المصدر نفسه ، العدد(١٨٢) ، ٢ آب ٢٠٠٤ .

81 شبكة الانترنت www.asharqalawsat.com .

82 جريدة المشرق ، العدد (٨١٩) ، ٢٩ أيلول ٢٠٠٦ .

83 عامر التميمي ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٣٥ .

84 الديون البغيضة : مفهوم أطلقه ساك الوزير السابق والاستاذ في الاقتصاد الدولي في جامعة السوربون ومما قاله : اذا تركت سلطة دكتاتورية ديناً لم يكن لمتطلبات او مصلحة الدولة بل لتقوية نظامها الدكتاتوري وقهر شعبها ، فأن هذا الدين بغيض وكريه لكل هذا الشعب وبالتالي يسقط هذا الدين من الناحية القانونية بسقوط السلطة . هناء عبد الغفار السامرائي ، ماهي قضية شطب الديون العراقية ، مجلة الحكمة ، العدد٣٨ ، السنة السابعة ، بيت الحكمة ، كانون الأول ٢٠٠٤ ، بغداد ، ص٢٩ .

85 شاكر موسى عيسى ، الديون القبيحة والتعويضات الظالمة على الشعب العراقي ، مجلة الحكمة ، المصدر نفسه ، ص٣١ .

((المعلومات التي توفرت لدينا من خلال مشاهدات عينية ومتابعات ان الخندق المحفور قد تم ردمه، وتجاوزته الحدود الكويتية لمسافة تصل في بعض المناطق الى كيلومتر)) ثم أضاف ((عاد الكويتيون وتجاوزوا هذا الحد مرة أخرى، وهدموا المنازل في أم قصر وأقاموا المنشآت لسرقة النفط العراقي))[86]. وتجاوزت الكويت على المياه العميقة في أم قصر والتي تصل الى ١٦ متراً ولم يبق لنا منها الا ما عمقه ستة أمتار[87].

وهاجم بعض النواب الكويت ، لأنها سلبت أراضي عراقية وحقول نفطية جديدة ، ودعوا الى إعادة النظر في ترسيم الحدود[88]. فيما إشار النائب عبد الكريم المحمداوي، الى ان الكويت تجاوزت النفق الذي أقامته بمسافة ٢ الى ٣ كم داخل الحدود العراقية ، ووضعوا أنبوباً حديدياً أخذوا بموجبه نصف أم قصر[89].

أثارت تصريحات النواب هذه بعض المسؤولين الكويتيين، الذين نعتوا نواب المجلس بمختلف النعوت، وأعلنوا رفضهم بشدة البحث في مسألة إعادة ترسيم الحدود مع العراق، وإضاف أحد مسؤولي وزارة الخارجية الكويتية غانم صقر الغانم قائلاً:

((لقد وضعنا في صندوق لدى الأمم المتحدة منذ عام ١٩٩٤ وحتى الآن ما أجماله مليون و١١٤ ألف دولار هي قيمة التعويضات المقدرة عن مزارع وأراضي ومنازل العراقيين، إلا ان النظام العراقي السابق رفض تسليمها اليهم))[90].

ومهما يكن من أمر فقد شكل مجلس النواب وفداً رسمياً برئاسة النائب خالد العطية، حيث زار الوفد منطقة أم قصر لتقصي الحقائق، وأجرى مباحثات مع المسؤولين الكويتيين، وطلب منهم الترتيب في نصب الأنبوب لحين تشكيل حكومة عراقية دائمية واقرار الدستور الدائم للبلاد[91].

وإزاء هذه الأحداث يمكننا القول، ان الحكومة العراقية كانت منشغلة بترتيب البيت العراقي، فلجأت الى التهدئة عبر الحوار الهادىء العقلاني، دون الانزلاق وراء المهاترات والمزايدات التي دفع العراق نتيجة لها طيلة عقود من السنين ثمناً باهضاً من دماء أبنائه واستنزاف أمواله وسرقة أجزاء من خيرة أراضيه.

وتكشف هذه الأحداث أيضاً، أنه اذا كانت الكويت تعادي نظام صدام حسين فهي محقة في ذلك، ولكن بعد سقوط النظام، كان أولى بالمسؤولين الكويتيين مراجعة

---

86 جريدة المشرق ، العدد(٤٧٥) ، ٣ آب ٢٠٠٥ .

87 الانترنت www.Middieest online.com .

88 جريدة المشرق ، العدد(٤٧٥) ، ٣ آب ٢٠٠٥ .

89 المصدر نفسه ، العدد(٤٧٦) ، ٤ آب ٢٠٠٥ .

90 المصدر نفسه ، العدد(٤٨٢) ، ١١ آب ٢٠٠٥ .

91 المصدر نفسه ، العدد(٤٧٨) ، ٧ آب ٢٠٠٥ .

مواقفهم السلبية السابقة، وفتح صفحة جديدة مع الشعب العراقي الذي ذاق الأمرين من ظلم النظام السابق.

الخاتمة

ظهر من خلال صفحات هذا البحث، أن الكويت-بسبب النفط ولأجله-تحولت الى مستعمرة نفطية بريطانية، ظهرت واضحة بعد مؤتمر العقير عام ١٩٢٢. وتمسكت بريطانيا بها خوفاً على مصالحها الاقتصادية والتجارية.

استفادت الكويت من ثروتها النفطية ومن ظاهرة عدم الاستقرار السياسي في العراق، في تعزيز كيانها السياسي والوقوف بوجه محاولات ضمها. فحصلت على الاعتراف بكيانها السياسي من قبل نظام عبد السلام عارف عام ١٩٦٣.

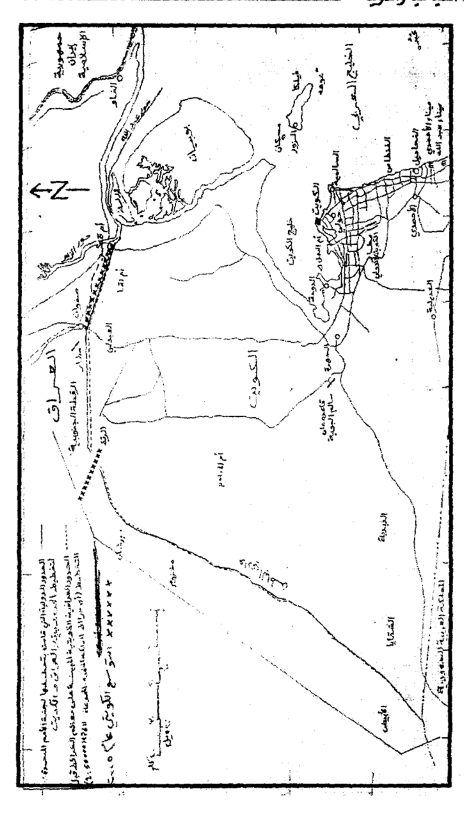
واتيحت للأنظمة الجمهورية المتعاقبة على الحكم في العراق بعض الفرص لحل مشاكل العراق الجيوستراتيجية والمتمثلة بايجاد ميناء له على ساحل الخليج العربي والحصول على جزيرة وربه وبعض المناطق الجنوبية المتاخمة للحدود من أجل توسيع ميناء ام قصر، الا أن جهل هذه الأنظمة وعدم قراءتها جيداً للتعاقب الزمني للتاريخ، وعدم تعاملها مع الواقع السياسي الموجود فعلاً، دفعها لأرتكاب أخطاء تاريخية كبيرة.

والواضح من استقراء العلاقة بين العراق والكويت بعد حرب الخليج الأولى، ان الطرفين ارتكبا سلسلة من الأخطاء، كان على العراق واجب إعادة الثقة بين الطرفين عن طريق الحوار الهادئ ومن خلال الجامعة العربية، درءاً للأيادي الخفية التي كانت تدفع بالطرفين نحو الهاوية.

وانحنت العلاقات بين العراق والكويت منحنى خطيراً بعد اجتياح الكويت، واتخذت أبعاد جيوستراتيجية واقتصادية خطيرة سواء باغلاق منافذ الخليج العربي بوجه العراق وتحكم الكويت بها، أو بفرض الحصار الاقتصادي على الشعب العراقي لمدة (١٣٩) عاماً وما آل اليه من تدمير لثروات العراق واقتصاده وبنيته الاجتماعية، والتي ستبقى في الذاكرة الشعبية مهما طال الزمن.

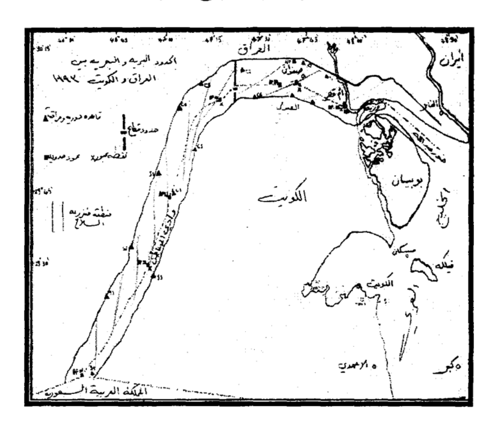
وبعد الاحتلال الأمريكي للعراق، وعلى الرغم من محاولات ساسة العراق فتح صفحة جديدة من العلاقة مع الكويت ، إلا أن الكويت استمرت في ممارسة سياسة الابتزاز مع العراق سواء باستمرار سرقة نفطه وإجزاء من أراضيه، أم باصرارها على اخذ التعويضات والديون مع فوائدها، بدل مساعدة الشعب العراقي الذي كان هو أكبر ضحايا النظام السابق.

وأخيراً نحن بحاجة الى قراءة جديدة ودقيقة لتقييم العلاقات مع أشقائنا الكويتيين عبر الحوار الهادئ والبعيد عن الأنانية السياسية أو المهاترات العسكرية، من أجل رسم علاقة مستقبلية مشرقة للأجيال القادمة في كلا البلدين.



خارطة رقم (١) تخطيط الحدود العراقية - الكويتية عام ١٩٩٣

خارطة رقم (٢)[٩٢]
المنطقة المحرمة بين العراق والكويت



92 بطرس بطرس غالي ، الأمم المتحدة والنزاع بين العراق والكويت ، ١٩٩٠ ــ ١٩٩٦ ، الكويت ، ص٣٢١ .

العلاقات الصينية-الاسرائيلية
دراسة في الادراك السياسي والاستراتيجي لصانع القرار في البلدين

المدرس المساعد
احمد عبد الامير الانباري(*)

مقدمة :

يحتل موضوع هذه الدراسة أهميته كونه يعنى بدراسة العلاقات الصينية – الإسرائيلية من حيث الأسباب التي دفعت بصانعي القرار في كل من الصين وإسرائيل لإقامة العلاقات بينهما ، وما هي المكاسب التي حققها كل طرف ـ وتلك التي يأمل في تحقيقها ـ من خلال هذه العلاقات . وإذا كانت الصين ترى في إسرائيل ما يمكن أن يلبي جزء كبير من حاجتها للتكنولوجيا المتطورة ، خاصة العسكرية منها ، وامكانية أن توفر لها هذه العلاقات اداء دور، محدود ، في حل مشكلة الشرق الأوسط ، فان إسرائيل ترى في الصين ، كونها دولة كبرى وعضو دائم في مجلس الأمن التابع لمنظمة الأمم المتحدة ، مكسباً كبيراً لها سعت دائماً للحصول عليه ، فضلاً على المنافع الاقتصادية التي يمكن أن تحصل عليها من العمل في الأسواق الصينية بما توفره من فرص كبيرة لتسويق البضائع الإسرائيلية .

غير أن هذه العلاقات واجهت ظروفاً اقليمية ودولية-لها تأثيراتها في كل من الصين وإسرائيل-قد حالت دون اقامة هذه العلاقات في وقت مبكر على قيام الدولتين الصينية والإسرائيلية. منها ما يتعلق بسعي الولايات المتحدة الأمريكية لفرض عزلة دولية على جمهورية الصين الشعبية بعد قيامها عام ١٩٤٩، ومنها ما يتعلق بموقف إسرائيل من انضمام الصين لعضوية الأمم المتحدة واعتبارها الممثل الوحيد للصين بكاملها، ومنها ما يتعلق باندلاع الحرب الكورية (١٩٥٠-١٩٥٣) وموقف إسرائيل بالضد من الصين في هذه الحرب، فضلاً على تأثير مؤتمر باندونغ.

الا أن ثمة متغيرات حصلت-ابتداءً من العام ١٩٧٩-دفعت باتجاه اقامة اتصالات سرية وعلاقات في مجالات محددة-عسكرية تحديداً-طيلة عقد الثمانينات من القرن العشرين، ومن ثم علاقات دبلوماسية كاملة في العام ١٩٩١ وتعاون في مختلف المجالات. ومن هذه المتغيرات وصول قيادة جديدة في الصين في العام ١٩٧٨ تتبنى رؤية مفادها الانفتاح على العالم والحصول على التكنولوجيا اللازمة لنهضة الصين، واقامة العلاقات الدبلوماسية بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية، فضلاً على عقد

(*) مركز الدراسات الفلسطينية ـ جامعة بغداد

اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل مما دفع الصين باتجاه التعاون مع إسرائيل، وفي فترة لاحقة-ومع متغيرات أخرى اضافة لما سبق-اقامة علاقات قوية وفي مختلف المجالات.

ان القراءة الصحيحة لصناع القرار في الصين وإسرائيل للمتغيرات التي حصلت وسعيهم لتوظيفها بما يخدم مصالح بلديهم، دفعتهم للاتجاه نحو الأخر في محاولة-ناجحة-لتقديم تسهيلات واغراءات تدفع به لمزيد من التعاون والتقارب، حتى وصلت العلاقات بين البلدين لمستويات متقدمة، يصعب على أي منهما التفريط بها بسهولة.

العلاقات السياسية:

إن الحاجة الإسرائيلية إلى تأكيد وجودها تطلب منها-بعد عام ١٩٤٨-الحصول على إعتراف دول العالم بها كدولة. ولهذا سعت إسرائيل للحصول على إعتراف جمهورية الصين الشعبية بعد تأسيس هذه الجمهورية عام ١٩٤٩.

وعلى الرغم من إعلان الصين الشعبية إستعدادها لإقامة علاقات دبلوماسية مع كل دولة راغبة في إقامة علاقات متبادلة معها، على أن تكون مستعدة لقطع علاقاتها مع نظام فرموزه (تايوان). هذا الإعلان جاء على لسان الزعيم الصيني ماو تسي تونج يوم تأسيس جمهورية الصين الشعبية، إلا أن الصين قد رفضت دعوة إسرائيل لإقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين في ذلك الوقت. وسبق هذه الرغبة الإسرائيلية قيام إسرائيل بالاعتراف بجمهورية الصين الشعبية بعد حوالي ثلاثة أشهر من تأسيسها وبالتحديد في ٩/كانون الثاني/١٩٥٠. وهي تعد ثامن دولة في العالم- من غير الدول الشيوعية- وأول دولة من دول الشرق الأوسط تعترف بالصين الشعبية. وتشير التصريحات التي كان يصرح بها قادة الصين الشعبية، في ذلك الوقت، على ان مسالة اقامة علاقات بين الصين الشعبية إسرائيل هو أمر مستبعد. مثال على ذلك، ان رئيس وزراء الصين شو إن لاي أبلغ سفير مصر في الصين بتاريخ ١٩/تموز/1968 بأن الصين لن تعترف بإسرائيل حتى لو أعترفت بها الاقطار العربية طالما ان حالة العدوان الإسرائيلي قائمة على الأراضي العربية[1]. غير ان هذا الموقف الصيني قد تغير في فترة لاحقة تبعاً لمتغيرات حصلت على المستويين الداخلي والخارجي، رأت الصين في ضوئها ان مصالحها تتطلب تغيير مواقفها تجاه إسرائيل وكما سيتضح في سياق البحث .

فالصين تعد إسرائيل عدواً لها وانها تنتمي الى المعسكر الغربي المعادي للصين، لاسيما ان إسرائيل كان لها دور سلبي بالنسبة للقضية الصينية التي كانت مطروحة في

---

[1] د.محمد السيد سليم،الصين الشعبية والقضية الفلسطينية،القاهرة ،مجلة السياسة الدولية،العدد ٢٥، يوليو ١٩٧،ص٧٠-٧١. كذلك أنظر: د. مسعود ظاهر ، العلاقات الثقافية العربية – الصينية : الواقع والآفاق المستقبلية،دمشق،مجلة الفكر السياسي،العدد ٧، ١٩٩٩، ص ١٨٢.

ذلك الوقت، وهي مسألة حصول الصين الشعبية على عضوية الأمم المتحدة واعتبارها الممثل الوحيد عن الصين بكاملها. وبقيت إسرائيل تصوت في الأمم المتحدة ضد انضمام الصين الشعبية بحجة انها تريد تمثيل كل من الصين الشعبية والصين الوطنية (فرموزه) في هذه المنظمة. ووجهة النظر الإسرائيلية التي أريد لها ان تبرر الموقف الإسرائيلي، جاءت على لسان وزير خارجية إسرائيل "ان مبدأنا القائل بأن الأمم المتحدة يجب أن تعكس الواقع الراهن ينطبق على الصين. وفرموزه" . والحقيقة ان هناك نظام حكم معين في البر الصيني ، ولكن هناك حقيقة أخرى هي وجود نظام حكم معين في جزيرة فرموزه أيضاً. ومما لاشك فيه ان اندلاع الحرب الكورية (١٩٥٠-١٩٥٣) وموقف اسرائيل منها جعلت مسألة اقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين امراً صعباً . فقد اعدت إسرائيل ان الصين خالفت الشرعية بتدخلها في هذه الحرب ، وصوتت لصالح ارسال قوات الامم المتحدة لاجتياز خط العرض ٣٨ للحليولة دون وصول الامدادات العسكرية الى قوات الصين الشعبية وكوريا الشمالية. كما كان للاتصالات العربية-الصينية في مؤتمر باندونغ عام ١٩٥٥ دور في افشال محاولات إسرائيل لاقامة علاقات مع الصين الشعبية، فالصين رأت في الدول العربية أكثر أهمية لها من إسرائيل ويمكن العمل مع هذه الدول لاضعاف السيطرة الاستعمارية الغربية في المنطقة[2].

وأستمر الموقف الصيني الرافض للمحاولات الإسرائيلية باقامة العلاقات بين البلدين حتى بعد حصول الصين الشعبية على عضوية منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٧١. فلم ترد الصين على رسالة تهنئة بعث بها وزير خارجية إسرائيل بمناسبة حصول الصين الشعبية على عضوية منظمة الأمم المتحدة ، بل أعيدت الرسالة دون ان تفتح بحجة ان الصين ليس بينها وبين إسرائيل أتفاقية بريد أو مواصلات سلكية أو لاسلكية . وكررت إسرائيل المحاولة عندما وجدت في التقارب بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين في مطلع السبعينات من القرن العشرين فرصة للتقارب مع الصين من خلال وساطة الولايات المتحدة ، غير انها لم تنجح . والفشل أيضا اصاب الوساطة الرومانية المكلفة من قبل إسرائيل لاقامة العلاقات مع الصين في كانون الأول عام ١٩٧٢. وفي اول بيان للصين في الجمعية العامة للأمم ، اعدت الصين ان العدوان الإسرائيلي هو المسبب الأول للأزمة في الشرق الاوسط . كما ان الصين من المؤيدين لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة باعتبار الصهيونية حركة عنصرية . وادانت الصين بناء المستوطنات الإسرائيلية في الأرض العربية المحتلة . وبالمقابل

---

[2] ج.ه.جانسن،الصهيونية وإسرائيل وآسيا،ترجمة:راشد حميد ، بيروت،مركزالأبحاث، ١٩٧٢، ص ١٥٨ـ ١٥٩ـ كذلك أنظر:د.حامد ربيع،تطورالعلاقات الصينية الإسرائيلية ، في : علاقات إسرائيل الدولية ، بغداد ، كلية العلوم السياسية ، مركز الدراسات الفلسطينية ، ص ٢١ـ ٢٣ .

اختارت الصين خيار مساندة الشعب الفلسطيني في نضاله لاسترداد حقوقه وأرضه ، من خلال تقديم المساعدات العسكرية والمالية للقضاء على إسرائيل . فالصين ترفض مبررات إسرائيل لاحتلالها الأرضي الفلسطينية والقائلة بأن هذه الأرض هي أرض أسلافهم قبل ٢٠٠٠ عام[3].

غير ان دراسة السياسة الخارجية الصينية تجاه إسرائيل تفيد بانها انتقلت من الموقف الذي تبنته الصين الشعبية منذ عام ١٩٤٩ الى مطلع عقد السبعينات من القرن الماضي والذي يدعو للقضاء على إسرائيل بكل الوسائل وفي مقدمتها القوة العسكرية ، الى موقف يدعو الى حل قضية الشرق الأوسط بالطرق السلمية واقامة دولة فلسطين الى جانب دولة إسرائيل .

لقد تزامن هذا الموقف الصيني مع مؤشرات تفيد بوجود تقارب صيني ـ إسرائيلي الذي أتخذ مساراً متصاعداً وصولاً الى اقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ومن ثم تقدم في مختلف المجالات .

بدأت أولى مؤشرات هذه العلاقات في نهاية عام ١٩٧٨ عندما التقى وفد من الكنيست الإسرائيلي خلال زيارته لعدد من دول شرق اسيا (بورما ، اليابان ، كوريا الجنوبية ، النيبال) عدد من الشخصيات الصينية . ثم تبعها أول زيارة لدبلوماسي صيني الى إسرائيل لاجراء لقاءات مع مسؤولين إسرائيليين حول العلاقات بين البلدين ، وذلك في ١٤/كانون الثاني /١٩٧٩[4]. هذا التطور كان يقف وراءه عدد من الاسباب منها :

١- وصول قيادة جديدة في الصين ــ الرئيس الأسبق دينج شياو بنيج ــ التي تتبنى رؤية ــ تختلف عن رؤية ماو تسي تونج ــ مفادها الانفتاح على العالم ، وخاصة أمريكا والغرب ، والاستفادة من التكنولوجية الغربية اللازمة لتطور الصين .
٢- اقامة العلاقات الدبلوماسية بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية .
٣- التطورات التي حصلت في طبيعة الصراع العربي-الإسرائيلي والمتمثلة في رغبة مصر بالسلام مع إسرائيل.

وشهد شهر آذار من عام ١٩٨٧ أول اتصال رسمي معلن بين البلدين وذلك باجتماع المندوب الدائم للصين في الأمم المتحدة مع وكيل وزارة خارجية إسرائيل . كما تم في العام نفسه لقاء بين وزيري خارجية البلدين ، وكان نتيجة هذه اللقاءات فتح

---

[3] انس مصطفى كامل،السياسة الصينية والصراع العربي- الإسرائيلي،بيروت،مجلة المستقبل العربي،العدد ٢٥، ١٩٨٣،ص٥٩- ٦١. كذلك أنظر:د. مسعود ظاهر،مصدرسبق ذكره،ص ١٥٨و١٨٢ .

[4] د. عبد العزيز حمدي عبد العزيز ، العلاقات الصينية- الإسرائيلية ، القاهرة ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ١٣٢ ، ابريل ١٩٩٨ ، ص ١٣٤ .

مكتب اتصال لأكاديمية العلوم والآداب الإسرائيلية في بكين[٥]. كما أتفق البلدان على افتتاح مكاتب صحفية في عواصم البلدين أثر مباحثات جرت في عام ١٩٨٩ بين وزيري خارجيتهما في مقر الأمم المتحدة[٦].

وكان قبول الدول العربية التفاوض مع إسرائيل في بداية عقد التسعينات من القرن العشرين عاملاً دافعا للصين لاقامة العلاقات الدبلوماسية الكاملة مع إسرائيل . وهذا يعطي الصين دوراً في المفاوضات العربية ــ الإسرائيلية ، فضلاً على حاجة الصين للخروج من العزلة التي فرضت عليها من قبل الدول الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية واليابان بعد أحداث (تيان آن مين) عام ١٩٨٩ .

وقد مُهد لاقامة العلاقات الدبلوماسية بلقاء وزيري خارجية البلدين في ١٩٩١/٩/٢٥ والتي أعقبها زيارة وفد دبلوماسي إسرائيلي الى بكين ، ويترأس هذا الوفد موشي باجر مدير الشؤون الأفريقية والأسيوية في وزارة الخارجية الإسرائيلية ورئيس مركز الدراسات السياسية في قسم الشؤون الخارجية[٧].

في ٢٤/كانون الثاني /١٩٩٢ اقيمت العلاقات الدبلوماسية الكاملة بين الصين وإسرائيل . ويقف وراء الرغبة المتبادلة لدى البلدين لاقامة هذه العلاقات عدد من الأسباب ، تتمثل بالنسبة للجانب الصيني بما يأتي :

١- حاجة الصين للخروج من العزلة التي فرضت عليها بعد أحداث تيان آن مين في العام ١٩٨٩.

٢- الحاجة الصينية للحصول على التكنولوجية الغربية من خلال إسرائيل ، لاسيما التكنولوجية العسكرية .

٣- ادراك الصين للدور الذي يمكن ان يقوم به أعضاء الكونكرس من اليهود في مجال حصولها على تسهيلات تجارية في علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية[٨].

٤- تسعى الصين من خلال هذه العلاقة الى تحييد العلاقات الهندية ــ الإسرائيلية ، لاسيما ان هذه العلاقة تعطي دعما للهند في تنافسها مع الصين للحصول على النفوذ في آسيا .

---

[5] المصدر نفسه ، ص ١٣٦ .

[6] د. ناظم الجاسور ، العلاقات الصينية – الإسرائيلية : الأهداف والنتائج ، في : مستقبل الحركة الصهيونية والمشروع الحضاري العربي ، بغداد ، بيت الحكمة ، ٢٠٠١، ص ٣٢٧ .

[7] المصدر نفسه ، ص ٣٢٧ .

[8] وليد عبد الحي ، المكانة المستقبلية للصين في النظام الدولي ١٩٧٨- ٢٠١٠ ، أبو ظبي ، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ٢٠٠٠ ،ص ١٨٤ .

ولمزيد من التفصيل أنظر : د. هاني الياس الحديثي ، سياسة إسرائيل ازاء جمهوريات اسيا الوسطى الاسلامية والصين ، في : مستقبل الحركة الصهيونية والمشروع الحضاري العربي ، بغداد ، بيت الحكمة ، ٢٠٠١ ، ص ٣٦٧- ٣٦٨ .

٥- كون الصين دولة كبرى وعضو دائم في مجلس الأمن ، فهي ترغب ان يكون لها دور في عملية السلام في الشرق الأوسط والصراع العربي ـــ الإسرائيلي .

وفيما يتعلق بإسرائيل، فانها ترى في الصين أكثر من ميزة تدفع بها للارتباط معها بعلاقات دبلوماسية واقتصادية وتجارية ، ومنها :

١- فالصين دولة كبرى على المستوى الدولي .

٢- وهي عضو دائم في مجلس أمن منظمة الأمم المتحدة مما يوفر لها نفوذ سياسي كبير .

٣- من خلال هذه العلاقات استطاعت إسرائيل ان تعقد اتفاقية مع الصين بشأن الحد من تصدير الأسلحة الصينية الى الدول العربية[9].

٤- هي قوة اقتصادية صاعدة بسبب معدلات النمو العالية التي حققتها ولازالت تحققها.

٥- أضف الى ذلك ان الصين تعد أكبر سوق استهلاكي في العالم، حيث يحتوي هذا السوق على أكثر من (١,٣) مليار مستهلك. مما يوفر فرصاً كبيرة للاقتصاد الإسرائيلي للاستثمار فيه، وسوقاً للبضائع الإسرائيلية.

وبعد فترة قصيرة على اقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ، زار إسرائيل وفد من الحزب الشيوعي الصيني حيث التقى مع رئيس وزراء إسرائيل الأسبق (اسحاق رابين) . وعبر الجانبان عن آمالهم في تطوير العلاقات بين البلدين وأهمية هذه العلاقات لكلا البلدين. وأصبحت الطروحات الصينية تقوم على أساس ان كسب السلام يتطلب من إسرائيل الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني والتخلي عن سياسة احتلال المزيد من الأراضي العربية والتوسع على حساب هذه الأراضي[10].

وهذا يعد تغييراً في طبيعة الطروحات الصينية تجاه إسرائيل، حيث تحولت من موقف يذهب باتجاه ضرورة ازالة إسرائيل بشكل كامل، الى موقف يذهب باتجاه الاعتراف بإسرائيل كدولة مستقلة ولها الحق في العيش بأمن وسلام.

ومع زيارة الرئيس الصيني السابق جيانج زيمين الى إسرائيل في شهر نيسان عام ٢٠٠٠، أصبح التعاون الصيني-الإسرائيلي أكثر وضوحا وعلانية[11]. وجاءت الزيارة الأخيرة لرئيس الوزراء الإسرائيلي ايهود اولمرت الى الصين في كانون الثاني

---

9 اسامة فاروق مخيمر ، العلاقات بين الصين الشعبية وإسرائيل ، القاهرة ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ١٠٨ ، ابريل ١٩٩٢ ، ص ٢٦٠ .

10 د.عبد العزيز حمدي عبد العزيز، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٧. كذلك أنظر: د. مسعود ظاهر، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٢.

11 تميم خلاف ، إسرائيل والصين : تقارب استراتيجي جديد ، القاهرة ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ١٤١ ، يوليو ٢٠٠٠ ، ص ١٦٢ .

٢٠٠٧، بمناسبة مرور (١٥) عام على اقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين[12]، لتؤكد حرص الطرفين استمرار وتطوير علاقاتهما وبمختلف الميادين.

ان هذه الزيارات المتبادلة بين مسؤلي البلدين وعلى أعلى المستويات ، تدل على الحرص المتبادل على ادامة هذه العلاقات وتنميتها بما يحقق المصالح المشتركة لكل من الصين وإسرائيل. وهو يعكس ادراك صانع القرارالصيني والإسرائيلي للمنافع السياسية والاستراتيجية المتحققة- والتي يمكن ان تتحقق- من خلال استمرارهذه العلاقات وتطويرها.

العلاقات العسكرية:

ان الرؤية العسكرية التي تمتلكها القيادة الجديدة في الصين (بعد عام ١٩٧٨) والتي تقول بضرورة العمل على تحديث الجيش وامتلاك الصين القدرة الكافية لبناء صناعة عسكرية متقدمة[13]، وادراك هذه القيادة ان هذه الأهداف لايمكن تحقيقها الا من خلال التعاون مع دول أخرى ، دفع بالصين للتعاون مع إسرائيل في المجال العسكري.

فالعلاقات في المجال العسكري قد مهدت لعلاقات صينية ـــ إسرائيلية في مختلف المجالات . فالصينيون كانوا قد فوجئوا بما أحرزته إسرائيل في مجال التكنولوجيا العسكرية ، عندما شاهدوا الطائرة الإسرائيلية من نوع "الكفير" في عام ١٩٧٥ في معرض باريس ، كذلك ما تم عرضه في الجناح الإسرائيلي في معرض سنغافورة عام ١٩٨٦ . فقد مهدت الزيارة التي قام بها وفد إسرائيلي في شباط عام ١٩٧٩ لهذا التعاون ، وكان من بين أعضاء هذا الوفد مدير عام هيئة الصناعة الجوية موشي كرت[14].

وتتوافر المصلحة المتبادلة لدى كل من الصين وإسرائيل للتعاون في هذا المجال ، فالصين تمتلك القدرة الاقتصادية لشراء ما تحتاجه من الأسلحة ذات التقنية المتقدمة ،

---

[12] موقع وزارة خارجية جمهورية الصين الشعبية ،www.fmprc.gov.cn

[13] ان الاهتمام الصيني بهذا الجانب يتأتى من أثره الكبير في اسناد حركة السياسة الخارجية للصين اقليمياً ودولياً ، أنظر :

Srikanth Kondapalli , China s Naval Power , New Delhi , Daryaganj , 2001 , p . 184 .

كذلك أنظر : بول كندي ، نشوء وسقوط القوى العظمى ، ترجمة : مالك البديري ، عمان ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ١٩٩٦ ، ص ٦٨٥ . كذلك أنظر: د. هاني الياس خضر الحديثي ، العلاقات الإسرائيلية - الأسيوية - الهند - باكستان - الصين - وسط أسيا ، بغداد ، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية / جامعة بغداد ، العددان ٢-٣ ، ٢٠٠٦ ، ص ٩ .

[14] شاي فيلدمان، الأمن الصيني: تأثيراته على إسرائيل، القاهرة، مجلة مختارات إسرائيلية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، العدد ٦٥، ايار ٢٠٠٠، ص ٧٦. كذلك أنظر: د. عبد العزيز حمدي عبد العزيز، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٤.

وإسرائيل لديها مثل هذه التقنية -، لاسيما ان الاسعار الإسرائيلية تعد مناسبة نسبياً إذا ما قورنت مع الاسعار الأمريكية. فعلى سبيل المثال، الطائرة الإسرائيلية نوع"الكفيـر" سعرها (٦،٥) مليون دولار، مقابل (١١) مليون دولار سعر الطائرة (ف -٥تـايجر) الأمريكية[15]. وقد اشترت الصين في بداية عقد الثمانينات من القرن الماضي أسلحة من إسرائيل بلغت قيمتها (٢) مليار دولار ، وشملت هذه الصفقة تجهيزات ليزرية وأنظمة بالستية متطورة وتقنيات الكترونية وصواريخ جو/جو وصواريخ باتريوت وقطع غيار للدبابات (تي- ٦٢). وسبقها صفقة شملت (٥٤) طائرة مقاتلة من نوع "الكفير" وعـدد من دبابات نوع "ميركافا" وعدد من المدافع والصواريخ[16].

وقام موشيه ارينز في عام ١٩٩١ بزيارة الى الصين وكان يشغل منصب وزير الدفاع في إسرائيل في ذلك الوقت، كان الغرض من الزيارة التباحث مع المـسؤولين الصينيين بشأن التعاون العسكري بين البلدين. واستطاعت إسرائيل من خلال توثيـق علاقاتها مع الصين الحصول على ضمانات صينية بتحديد بيع الأسلحة الـى الـدول العربية وايران. وفي العام نفسه حصلت الصين على تقنية صاروخ (بي-ال-٨-ابج) جو/ جو، كما حصلت الصين على معلومات مهمة عن أجهزة توجيـه الـصواريخ ، وخاصة صواريخ باتريوت[17].

وشهد العاشر من شهر تشرين الأول ١٩٩٣ تقدماً في هذه العلاقـات بزيـارة رئيس وزراء إسرائيل (اسحاق رابين) الى الصين ومحاولته بيـع العتـاد العـسكري الإسرائيلي الى الصين[18]. وقامت إسرائيل بعد هذه الفترة بتطوير طائرات صينية نوع (ميغ ١٩) و(ميغ ٢١) وذلك بتزويدها بأجهزة رادار وحاسبات إسرائيلية الصنع. وفي شهر تشرين الأول ١٩٩٥ شاركت إسرائيل في معرض الصين العالمي للطيران من خلال ثمان مؤسسات إسرائيلية لصناعة الطـيران. وقام مسؤول المشتريـات الحربية (شين جيانج فانج) بزيارة جناح إسرائيل في هذا المعرض. كما عقدت صفقة صينية- إسرائيلية تم بموجبها بيع أسلحة إسرائيلية الى الصين بقيمة (٣) مليار دولار، تتضمن مقذوفات مضادة للدبابات موجهة بالليزر وذخائر مدفعية وأسلحة أخرى . كما تم عقد صفقة بين البلدين بقيمة (٤) مليار دولار تقوم بموجبها إسرائيل ببناء منظومة للمراقبة والرصد على الحدود الصينية على مع جمهوريات أسيا الوسطى. ويـشمل التعـاون

---

15 د. عبد العزيز حمدي عبد العزيز ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٤ .

16 د. خيري الدين عبد الرحمن ، القوى الفاعلة في القرن الحادي والعشرين ، دمشق ، دار الجليل للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٦ ، ص ٩٠ .

17 المصدر نفسه ، ص ٣٢٩-٣٣٠ . كذلك أنظر : د. هاني الحديثي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٦٨ . كذلك أنظر : علي حسين باكير ، العلاقات العسكرية الإسرائيلية - الصينية

18 د. عبد العزيز حمدي عبد العزيز ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٦٨ .

الصيني- الإسرائيلي في المجال العسكري ، قيام عدد من من الخبراء الإسرائيلين بتطوير وتحديث عدد من الطائرات الصينية نوع (٨١١/ف) بتزويدها برادارات متطورة ، وتحديث دبابات صينية نوع (٥٩ت). بالاضافة الى قيام إسرائيل بتطوير عدد من أنواع الدبابات الصينية مثل (تي٥٤، تي٥٥، تي ٥٦) بتغيير مدافعها التي كانت تحملها وهي من عيار (١٠٠ملم) بمدافع أخرى عيار (١٠٥ملم) ، وتغيير محركات الدبابات من نوع (تي٥٤) ذات القوة الحصانية (٥٣٠) حصان ووضع محركات إسرائيلية الصنع بقوة حصانية تبلغ (٩٦٠) حصان ، وتحديث مدافها بحيث تكون الحركة فيها كهربائية ، بدل حركة مدفع الدبابة (تي ٥٥) ذات الحركة الهيدروليكية. مع تحديثات أخرى شملت أجهزة الأتصال اللاسلكية وأجهزة رؤية ليلية[١٩].

ونجحت الصين في العام ١٩٩٩ في عقد عدة صفقات مع عدد من الشركات الإسرائيلية، تضمنت اخضاع قادة الطائرات الحربية الصينية لتدريبات خاصة باشراف إسرائيلي، كما شملت هذه الصفقة شراء الصين عجلات دفع رباعية الكترونية[٢٠].

وفي العام ٢٠٠٠ اعترضت الولايات المتحدة الأمريكية على صفقة- عرفت بصفقة رادارات الفالكون- كان قد تم الاتفاق عليها في وقت سابق بين الصين وإسرائيل . الصفقة تتضمن قيام إسرائيل بتركيب أجهزة انذار متطورة على طائرات صينية، مما يجعلها قادرة على استهداف محطات الرادارات والبطاريات المضادة للطائرات[٢١]. وطلبت الولايات المتحدة الأمريكية من إسرائيل الغاء هذه الصفقة، والا فانها ستقطع المعونات المالية التي تقدمها لها والبالغة حوالي (٢،٨) مليار دولار سنوياً، مما اضطر إسرائيل الى الغائها[٢٢].

---

19 تقديرات استراتيجية،العدد ١٤، ١٩٩٥، ص ٢٩. نقلاً عن:عبد العزيز مهدي،واقع العلاقات الصينية ـ الإسرائيلية وآفاقها المستقبلية ، بغداد ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم السياسية / جامعة بغداد ، ص ٦٦- ٧٦ . كذلك أنظر : د.خير الدين عبد الرحمن ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٠ .

20 علي حسين باكير ، مصدر سبق ذكره .

21 **Dr.P.R Kumaraswamy , The Israel – China – US arms triangle, www.pinr.com**

22 **Sudha Ramachandram , *US up in arms over Sino –Israel ties* , *Asia Times* Online , December 21 , 2004**

ولمزيد من التفصيل أنظر :

Chinas Missile Imports and assistance from Israel , Monterey Institute s , Center for Nonproliferation Studies , www.nti.org

ومن خلال ما تقدم يمكن القول، ان إسرائيل أصبحت مصدراً مهماً لتزويد الصين بالتكنولوجيا العسكرية المتطورة[٢٣]، وان الصين غير مستعدة للتخلي عن مصدر هذه التكنولوجيا.

العلاقات الإقتصادية :

تُعد العلاقات الاقتصادية بين الصين وإسرائيل ذات أهمية كبيرة لكلا البلدين . فإسرائيل تنظر الى الصين باعتبارها ستشكل مرحلة مهمة في النهوض الاقتصادي لها. فالسوق الصيني يغري كثيراً الصناعات الإسرائيلية ويمثل بالنسبة لها هدفاً تسعى للوصول اليه. لاسيما ان البضائع الإسرائيلية تحظى بقبول المستهلك في الأسواق الصينية، ويفضلون بعضها حتى على ميثلاتها من البضاعة الصينية، مثل ملابس الجينز[٢٤]. فتحقق قبول للبضائع الإسرائيلية في أكبر سوق استهلاكي بالعالم له عوائده المالية التي لايستهان بها، والتي ستعمل على زيادة الحرص الإسرائيلي لادامة وتوثيق العلاقات مع الصين. كما ان مثل هذه العوائد ستجعل إسرائيل غير مستعدة للتخلي عن العلاقة مع الصين أو الاساءة اليها بسهولة.

وادراكاً لهذه الأهمية من قبل صانع القرار في إسرائيل ومعززة بادراك متقابل من قبل نظيره الصيني، سعى الجانبان لتعزيز هذه العلاقات وتنميتها . وهذا ما يدل عليه حجم التباد التجاري بين البلدين الذي يأخذ خطاً متصاعداً منذ العام ١٩٩٢ وحتى العام ٢٠٠٧ .

فقد ارتفع حجم التبادل التجاري بين البلدين من (٥٠) مليون دولار في العام ١٩٩٢ الى (٣) مليار دولار في العام ٢٠٠٥[٢٥]، ليصل الى (٣،٩) مليار دولار في العام ٢٠٠٦[٢٦].

في ٢١حزيران ٢٠٠٤ قام ايهود اولمرت-كان يشغل منصب نائب رئيس الوزراء الإ سرائيلي ووزير الصناعة والتجارة في حينه-بزيارة الى الصين، وكان يترأس وفداً يضم أكثر من ٢٠٠شخص من رجال الأعمال والتجارة في إسرائيل

---

[23] Barry Rubin , Chinas Middle East strategy , Mera Journal , Volume 3, No . 1 – March 1999 , www.meria.biu.ac.il

[24] محمد عبد الرحمن يونس ، الصين الجديدة .. في ظل الاصلاح والانفتاح ، مجلة وجهات نظر ، العدد السادس والاربعون ، نوفمبر ٢٠٠٢ ، ص ٤٧ .

[25] Chen Yonglong (Chinese Ambassador to Israel) , Reception marks the anniversary of China-Israel diplomatic ties , January 25 , 2007 , www.chinaembassy.org

[26] موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية ،٢٤-١-٢٠٠٧

Israel and China mark 15 years of diplomatic relations , www.altawasul.net

والذين يمثلون مختلف المجالات من الصناعة المعلوماتية، التقنيات الألكترونية، الأجهزة والمعدات الطبية، قطاع البيئة، الزراعة والاستثمار الخطر وغيرها. وبعد يوم واحد من هذه الزيارة، تم التوقيع على اتفاقية يتم بموجبها انشاء صندوق مالي، حيث يستثمر فيه (١٥٠) مليون دولار من قبل مؤسسة مالية أمريكية وبالتعاون مع احدى الجامعات الصينية لاستخدام العلوم والتكنولوجيا الإسرائيلية في الأسواق الصينية. كما تم الاتفاق على شراكة عمل بين شركة إسرائيلية للاعتمادات المالية وشركة صينية بقيمة (٧٥) مليون دولار. وتهدف إسرائيل الى نشر صناعاتها في الأسواق الصينية بشكل كبير والعمل على رفع معدل التبادل التجاري بين البلدين[27].

وتبدي الشركات الإسرائيلية اهتماماً كبيراً للعمل بالأسواق الصينية وحرصها على زيادة حجم التبادلات التجارية والاقتصادية بين البلدين، حيث كان لهذه الشركات دور كبير في تعزيز هذه العلاقات واقامة روابط تجارية قوية مع نظيراتها من الشركات الصينية وفي مختلف المجالات . هذا الاهتمام عبر عنه اموس يودان رئيس الغرفة التجارية الإسرائيلية، كما أوضح ان عدد الشركات الإسرائيلية التي أسست لها مكاتب محلية داخل الصين بلغ (٤٠) شركة، في حين عدد الشركات الإسرائيلية التي تعمل حالياً في الصين وصل الى أكثر من (٨٠٠) شركة. وهذا يُعد مؤشراً واضحاً على اهتمام الجانب الإسرائيلي بتطوير علاقاته الاقتصادية مع الصين، لما توفره الأسواق الصينية من فرص اقتصادية كبيرة للاقتصاد الإسرائيلي، كون الأسواق الصينية تُعد من أكبر الأسوق في العالم. وفي المقابل أعربت القائمة بأعمال السفارة الصينية في إسرائيل تشانغ شياو ان عن اهتمام الجانب الصيني بتطوير هذه العلاقات وبما يخدم مصالح البلدين، متوقعة ان يصل حجم التبادل التجاري بين الصين وإسرائيل الى (٥) مليار دولار في العام ٢٠٠٨[28]. وهو ما يعكس ادراك القيادة في الصين لأهمية تنمية العلاقات الاقتصادية مع إسرائيل، لما لها من منافع ايجابية في تقوية روابط مجمل العلاقات الصينية-الإسرائيلية.

العلاقات العلمية والتكنولوجية:

تمتلك القيادة الصينية التي جاءت بعد ماوتسي رؤية جديدة مفادها الانفتاح على العالم والاستفادة مما توصل اليه من تطور في الجوانب العلمية. ومما لاشك فيه ان الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية هم من يمتلكون التكنولوجيا المتطورة. ولذا سعت القيادة الصينية بكل ما في وسعها من أجل الحصول على هذه التكنولوجيا دون

---

27 فتح الأسواق الصينية .. هدف إسرائيل لعام ٢٠٠٤ ، صحيفة دنيا الوطن ٢٠٠٤/٦/٣٠
www.alwatanvoice.com

28 أنباء شينخوا ، ١٠ / ١١ / ٢٠٠٦ www.arabic.xinhuanet.com

النظر الى مصدر هذه التكنولوجيا سواء كان دولة اشتراكية أم رأسمالية[٢٩]. فالقادة في الصين يدركون جيداً ان اليوم هو للتكنولوجيا وليس للأيديولوجيا، وان أية دولة لايمكن لها ان تحقق أهدافها الا من خلال التعاون مع وحدات المجتمع الدولي والانفتاح على هذا المجتمع.

وبذلك كان خيار اقامة العلاقات والانفتاح على دول العالم ولاسيما الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية، هو السبيل لتحقيق أهدافها المتمثلة في الحصول على التكنولوجيا الغربية المتطورة. وتعد إسرائيل أحدى القنوات لامتلاك مثل هذه التكنولوجيا. فكان خيار اقامة العلاقات مع إسرائيل خياراً يجد مسوغاته في تحقيق المصالح الصينية .

وفي اطار التعاون الصيني-الإسرائيلي في هذا المجال ، أتفق البلدان على اقامة (٣٠٠) معهد مشترك في الصين لتجربة أولية، تقوم بتقديم خبراتها في مجالات عديدة مثل الطاقة ، والتكنولوجيا المتقدمة وغيرها. وقد تم ذلك خلال محادثات بين وفد إسرائيلي، يتكون من ممثلين عن (٤٠) شركة إسرائيلية، ومسؤولين صينيين في شهر حزيران عام ١٩٨٥. كما تم في عام ١٩٨٦ افتتاح كلية لتعلم اللغة ولآداب العبريين والتاريخ والديانة اليهودية في جامعة بكين. كما كان لرجال الأعمال اليهود دور في توثيق التعاون في المجالات العلمية بين كل من الصين وإسرائيل. فرجل الأعمال اليهودي لورنس خضوري الذي يدير شركات عديدة، لعب دوراً في مجال الطاقة الكهربائية بلغت كلفتها (٤) مليار دولار. وفي عام ١٩٨٧ زار الصين وفد برئاسة البروفسور شموئيل فوهور ياليس، مدير دائرة التخطيط الاقتصادي في وزارة الزراعة الإسرائيلية، بناءً على طلب من قبل الصين قدمته الى رجل الإعمال الإسرائيلي شاؤول ايزنبرغ. طلبت منه عمل دراسة للنهوض بالقطاع الزراعي في الصين. كما شمل الوفد ممثلي وزارات انتاج المواد الغذائية، الطاقة الشمسية، والمواد الكيمائية. وكمثال على تقديم الخبرة الإسرائيلية في قطاع الزراعة في الصين، أصبحت مصدرا للقطن بعد ان كانت مستوردة له. وفي عام ١٩٩١ تم الاتفاق للتعاون بين أكاديميات العلوم في كلا البلدين. ويوجد في جامعة بكين برنامج يتضمن دورات في الدراسات اليهودية ودورات اللغة العبرية، كما يوجد في جامعة نانجين دورات للثقافة اليهودية، بالاضافة الى الدراسات الإسرائيلية في جامعة كوينمينج[٣٠].

وتم في العام ١٩٩٣ انشاء مركز تدريب زراعي في جامعة الهندسة الزراعية في العاصمة الصينية بكين، وعدد من المزارع النموذجية في انحاء متعددة من الصين.

---

[29] خيري عزيز ، الانفتاح والتحديث في الصين الجديدة ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ٥٩ ، يناير ١٩٨٠ ، ص ٦٢ .

[30] د. عبد العزيز حمدي عبد العزيز ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٩ ـ ١٤٠ .

وفي العام ٢٠٠٤ انشأت شركة فيرتكس الإسرائيلية فرعاً لها في مدينة شين جين الصينية، أثر زيارة قام بها وزير العلوم والتكنولوجيا الإسرائيلي في شهر آذار ٢٠٠٤ الى هذه المدينة[٣١]. كما تم الاتفاق في كانون الثاني ٢٠٠٧ على البدء بانشاء مركز التعاون الصيني-الإسرائيلي في مجال صناعة الألبان الحديثة، مما سيسهم في تدريب المزارعين الصينيين، الذين يعملون في هذا المجال، على احدث الطرق في صناعة الألبان، بواسطة التكنولوجيا الإسرائيلية[٣٢]. وفي الزيارة التي قام بها رئيس وزراء إسرائيل ايهود اولمرت الى الصين في كانون الثاني ٢٠٠٧، وخلال لقائه رئيس مجلس الدولة الصيني ون جياباو، أكد الجانب الصيني رغبة الصين في تعزيز التعاون العلمي والتكنولوجي بين البلدين، وخاصة في مجال الطاقة وتكنولوجيا المعلومات[٣٣]. ومن الجدير بالذكر ان نسبة الصادرات الإسرائيلية الى الصين في مجال تكنولوجيا المعلومات تبلغ (٦٤%) من مجمل الصادرات الإسرائيلية الى الصين[٣٤]. وفي مجال التعليم فان ما يقارب (١٠٠٠) طالب صيني تلقوا تعليمهم في إسرائيل، وما يقارب (٤٠٠) طالب إسرائيلي تعلموا في الصين[٣٥].

الخاتمة:

تعد العلاقات الصينية ــ الإسرائيلية اليوم ، بالنسبة لأطرافها ، علاقات استراتيجية وعلى جانب كبير من الأهمية ، بما حققته من منافع لكل من الصين وإسرائيل ، وما يؤمل أن تحققه في المستقبل .

وإذا كانت هذه العلاقات قد واجهت عقبات ، في السنوات التي تلت قيام جمهورية الصين الشعبية في العام ١٩٤٩ ، حالت دون قيامها ، فانها وبسبب متغيرات حصلت في العام ١٩٧٨ والسنوات التي تلته ، قد وظفت لصالح اجراء اتصالات بين الطرفين وتطورت فيما بعد لتعاون محدود ، ليصل الى اقامة علاقات دبلوماسية وتعاون متبادل بين البلدين وفي مختلف الميادين .

---

[31] د. اسامة عبد الحكيم ، العلاقات الصينية - الإسرائيلية : الدفاع والأمن يتصدران التعاون www.fm.m.com
ولمزيد من التفصيل بخصوص التعاون العلمي والتكنولوجي بين الصين وإسرائيل ، أنظر :
Scince and Technology cooperation between China and Israel ,
موقع وزارة خارجية جمهورية الصين الشعبية
www.wcm.fmprc.gov.cn

[32] موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية
www.altawasul.net

[33] موقع وزارة خارجية جمهورية الصين الشعبية
www.wcm.fmprc.gov.cn

[34] د. اسامة عبد الحكيم ، مصدر سبق ذكره .

[35] Chen Yonglong , op , cit

وثمة عدة مؤشرات يمكن الاستعانة بها لمعرفة مدى التطور الذي حصل في طبيعة العلاقات بين البلدين . ومن هذه المؤشرات ارتفاع حجم التبادل التجاري بوتائر متصاعدة سنوياً، وعدد الشركات الإسرلئيلية العاملة في الصين وتلك التي افتتحت مكاتب محلية لها في المدن الصينية ، والتعاون المشترك في مجال التكنولوجيا الزراعية ، والتعاون في المجال العلمي وغيرها . هذا فضلاً على المجال التعاون في المجال العسكري الذي ابتدأت به العلاقات بين البلدين ، والذي فتح المجال للتعاون في المجالات الأخرى ، وما يحظى به هذا المجال من أهمية كبرى بالنسبة للصين من جهة حاجتها للتكنولوجيا العسكرية ، ولإسرائيل من جهة مردودها الاقتصادي . كما وفرت مكتسبات أخرى لكلا الطرفين فيما يتعلق بحركتهما الاقليمية والدولية، كرغبة الصين بأن توفر لها علاقاتها مع إسرائيل امكانية أن تلعب دوراً في حل مشكلة الشرق الأوسط، ورغبة إسرائيل اقامة علاقات مع كافة الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن، وتحديد العلاقات الصينية العربية لاسيما العسكرية منها بتقييد بيع الاسلحة الصينية للدول العربية. حتى أصبحت هذه العلاقات تعني الشيء الكثير للصين وإسرائيل، وهو ما يشدد عليه دائماً وعلى لسان المسؤولين في البلدين وعلى أعلى المستويات. بحيث بات من غير الوارد-الى حد كبير-أن يفكر أي منهما بالاستغناء عن هذه العلاقات.

اثر التهذيب في الهندسة الاجتماعية

المدرس المساعد

رعد قاسم صالح(*)

المقدمة :

أي مجتمع سياسي ينشد الأستقرار عليه أن يسعى إلى كسب رضا الأفراد المواطنين، لأن في ذلك أستقرار النظام السياسي النابع منه وبقائه.

والأدعاء بأن الشعب هو تكتل الأفراد جاهل أدعاء لاقيمه له في النتيجة الأخيرة، لأن المصير بيد الشعب. فأذا ما وجد الفرصة المناسبة أعلن سخطه بوسائل عملية عديدة قد لاتؤدي إلى أستقرار النظام السياسي والأجتماعي.

السؤال الأول هنا: أذا أصبح الأفراد الحكم وفي أنظمة المجتمع وعلاقاته، وهم غير متشابهون في أرائهم فكيف سيكون حكمهم، فهل نترك لكل فرد أن يضع أنظمته وعلاقاته بالشكل الذي يبغي ويريد؟ وكيف يمكن أن ينشأ مجمع أونظام صالح أذا تركنا فيه المجال لكل أنسان ولكل فرد مهما أختلفت صفاتهم وأفكارهم ومصالحهم أن يضعوا أنظمتهم لأنفسهم كل على هواه ورأيه وحكمته الشخصية؟

أن بعض قادة الفكر، ومنهم أنصار الفكر الماركسي الذي أعطى دوراً للدولة في حل هذه الأشكالية عن طريق توليها مهمة صهر جميع الأفكار في فكر عام، وجميع الأراء في رأي عام الذي يجد فيه كل فرد مرآة لنفسه وفكره ومصلحته، فتعكس الدولة رغبة الأفراد في الشعب كرغبة جامعة ويعكس الأفراد رغبتهم العامة التي تجمعهم جميعاً في هذه الدولة، فتمثل الدولة الأفراد ويندمج الفرد بالدولة وتندمج الدولة بالفرد، ويصبح الجميع معنى واحد وحقيقة واحدة.

وهذا الحل بعيد عن الحقيقة الواقعة التي تقول أن المجتمع إنما يضم بين أطرافه مصالح متناقضة مع نفسها أشد التناقض والأفكار والأراء لايمكن جمعها مهما حاولت في فكره ورأي واحد، وأن الأمة التي يعيش فيها الأفراد وكأنهم في أفكارهم وأرائهم مرآة أمرهم للأخر هي أمة لاوجود لها. وأن وجدت فهي أقرب إلى الموت والأنقراض منها إلى الحياة الناضجة المبدعة الطويلة.

ويقدم بعضهم حلاً أخر قائم على عدم ترك التناقض في أفكار وأنطباعات الأفراد يؤدي إلى العبث والفوضى خصوصاً أذا علمنا أن نسبة كبيرة من الأفراد هم جهلة لايقدرون مصالحهم ولا الصالح المشترك لو الصالح العام، وأن عملية تقرير

(*) كلية العلوم السياسية – الجامعة المستنصرية

المصير لايجب أن تترك عرضة للأهواء المتصارعة، بل لابد أن يأتي عن طريق أناس هيئوا أنفسهم لهذا الغرض وأنصرفوا للعمل من أجل الصالح العام والمشترك، وأن من الواجب ترك هذه النخبة أو هذه القوى المهيمنة على الحزب المهيمن أن تقرر مصير المجتمع.

ولأنصار هذا الرأي فقد يقول، أنه بالأضافة إلى عدم أستطاعة هذه الطبقة أو الفئة أو النخبة أو قيادة الحزب المهيمن من تحقيق رضا معظم الأفراد وتحقيق ذات الفرد أينما كان موقعه لخدمة نفسه والمجتمع، فهناك حقيقة لايمكن أنكارها بأن مؤثرات البيئة النفسية والأقتصادية والأجتماعية لاتنحسر على الأفراد الفاقدين لأهلية المعرفة التامة للواقع بل هي تطال الجميع بما فيهم أنصار هذه الفكرة، فهولاء الذين يراد لهم أن يحكموا حكماً مطلقاً هم متأثرون ببيئاتهم وثقافتهم وأحوالهم وطبقتهم الاجتماعية مدفوعون إلى العمل بحكم هذه المؤثرات المذهبية أو العرفية أو التجارية أو العائلية أو الفوضية التي تجعلهم يسيرون في أتجاه واحد لايحتوي الأكثرية وشتان بين الأحوال التي تحيط بأكثرية الشعب والأحوال التي تحيط بجزء منه وهذه الطبقة أو الشريحة أو الحزب قد يأتون إلى الحكم بعزيمة جديدة ويعملون للمصلحة العامة، ولكنهم أذا أستشعروا القوه في أنفسهم أمنوا بالحكمة فقط في أعمالهم وضربوا بكل رأي مخالف عرض الحائط، والباحثون في المدرسة السلوكية لهم دراسات تحليلية عبر التاريخ لأنظمة سياسية وأجتماعية حققت نتائج موحدة معروفة حول نهاية مثل هذه الأنظمة ومساوئها، لأنهم أولاً وأخراً أفراد، والأفراد قد يخطئون وقد يصيبون، فأذا أخطأ هولاء فمن الذي يصلح أخطاءهم بعد أن شكلوا "كتلة القوة" التي تتألف من جماعات لها من القوة والسلطة والنفوذ بما يجعلها رديفة Power Bloc.

بل هي التعبير عن الدولة، وقد عبر عن هذه الحالة عالم المدرسة الاجتماعية الوظيفية تالكوت بارسونز Talcott Passons "بالحالة المرضية المنحرفة" البعيدة عن التوازن المستقر لبنية السلطة، فأنه من الخطأ اللجوء إلى أحتكار السلطة تحت مبرر غياب أمكانية السيطرة على عالم المتناقضات للأراء والأحتكار والرغبات الفردية.

والسؤال الثاني هنا : كيف يمكن حل أشكالية السيطرة على سلوك وتفكير الفرد خارج السلوك والتفكير المطلوبين لقيام نظام سياسي أجتماعي ديمقراطي مستقر ومتطور، أو بعبارة أخرى ماهو المنهج الفاعل الذي يرتب عدم خروج الفرد خارج منظومة الحقوق الفردية والشخصية التي أقرها المجتمع للفرد بالشكل الذي لايلحق الضرر بحرية وحقوق الآخرين وبالبناء الديمقراطي والأجتماعي السليمين. للأجابة على هذا السؤال علينا أن نقر بالحقائق:

١- الحقيقة الأولى أن الحكم يجب أن يتجه أولاً وأخراً الى مصلحة الفرد.

٢- الحقيقة الثانية أن مصلحة كل فرد وفهمه للحياة داخل المجتمع قد تختلف عن مصلحة وفهم أي فرد أخر.
٣- الحقيقة الثالثة هي أن المجتمع المختلف الأنتماءات الفكرية والمصلحية بحاجة الى توحيد لهذه المصالح والأفكار، وإلا زالت عنه صفة المجتمع الواحد.
٤- الحقيقة الرابعة تكمن في أنهيار التنظيم الأجتماعي والسياسي عند نفاد الوقت الملائم لأستحصال رضا معظم أفراده.

وهي ان المجتمع الذي نتكلم عنه هو ذلك المجتمع الذي يمتلك تاريخاً طويلاً من أنظمة التجانس الأجتماعية والتاريخية والبيئية واللغوية والمصالح المشتركة.

فمهما بلغت الأراء الفردية فية من تناقض، نجد مستوى عام لايحملها كلها في مستوى واحد، وإنما يجمعها في كتل كبيرة من الأراء والمذاهب، فالذين يتقاربون في أنطباعاتهم وأحوال معيشتهم وثقافاتهم لابد من تقاربهم ليشكلوا لهم كتلة، وعند هذا الحد لابد من ظهور تقارب وتفاعل بين الكتل أو الأحزاب أو المنظمات أو الجمعيات.

والمجتمع الصحيح هو المجتمع الذي يجد فراغاً لكل هذه الكتل مهما تضاربت مصالحها، وأختلفت وجهات نظرها.

والسؤال الثالث والمتعلق بالغاية من بحثنا هذا. ماهو الضاغط الرادع الذي يتواصل بضخ الشحنات الفكرية داخل الأنا للفرد لأحداث الموائمة بين أنطباعاته وسلوكه مع كتلته ومع الكتل الأخرى من خلال كتلته التي أنتمى اليها مع مجمل منظومة العلاقات الأجتماعية والسياسية والأقتصادية التي أخرها المجتمع دون أن يحدث ارباك فيها وخاصة عند لجوئه الى أستخدام العنف أو النفاق والكذب والكره والعداء والحب المبالغ به للسلطة والثروة. تلك العناصر التي تعمل على تشكيل ظواهر الأنحرافات الاجتماعية والسياسية والأقتصادية مثل الفساد الأداري وظاهرة تزوير الأنتخابات وظاهرة سرقة المال العام وظاهرة انتشار البطالة وجنوح الأحداث للجريمة... الخ.

فالمجتمعات العريقة في تنظيماتها القانونية والأصلاحية وخاصة بعد ان رفدتها الثورة التكنولوجية والمعلوماتية بأدوات جديدة هي عاجزة عن المعالجة الكاملة أو الواسعة لظواهر الأنحراف لسلوك وتفكير الفرد "الكائن الأجتماعي" فالقانون الوضعي والمستند الى الرسالات السماوية أو تجارب الشعوب يقف الى حدود الأنا للفرد الكامنة في أعماق تفكيره وضميره، وهو يعالج تفكير وسلوك الفرد عندما يمارس عملية التفاعل مع الأفراد.

نقول أذا كان هذا الحال في المجتمعات العريقة في أستقرار نظمها الأجتماعية والسياسية والأقتصادية، فكيف هو الحال في المجتمعات الباحثة على نظم جديدة بعد أن هدت نظمها الحالية، فهي بحاجة الى هندسة تهذيب أستثنائية قائمة على أستسقاء القيم

والمثل الأخلاقية من منابعها الأصلية لأدخال الفرد في دائرة السيطرة المعبرة عن الصالح المشترك عند تفاعله مع الأخرين وهو الغاية من بحثنا هذا، ومبحثنا الأول سيتطرق الى الوجيز عن طبيعة الحريات والحقوق الفردية، وأن الضمانات لتمتع الأفراد لهذه الحريات والحقوق في المبحث الثاني، أما الثالث فهو عن أهمية النظام الأخلاقي كضمانة مهمة دائمة بعد أن أتسعت ظاهرة عجز النظم القانونية الوضعية.

التهذيب وفلسفة التربية:

التهذيب شأنه شأن المواضيع المهمة في المجتمعات الباحثة عن فلسفة محددة المعالم لتنطلق منها السياسات والنظريات والستراتيجيات المعالجة والهادفة لأحداث التغيير المطلوب، فكما كان ومازال الأقتصاد والقضاء والتشريع والتعليم ينطلون من فلسفة خاصة يؤمن بها المجتمع في زمن معين نجد ان التهذيب الفردي الذي يمارس من قبل العائلة النووية أو الجماعة الأجتماعية أو المجتمع ككل ينطلق دائماً من فلسفة محددة تعبر عن نفسها من خلال عقائد ومبادئ وتقاليد وأعراف تميز هذا المجتمع عن ذاك، وأقرب مجال للأطار العام الفلسفي لحركة المجتمع وبنائه هو النظرية التربوية والتعليمية وبعدها الرأي المجتمعي العام والمزاج الشعبي والأخلاق الحميد والسلوك المرغوب. وإذا كانت الفلسفة التي تؤمن بها الأكثرية الغالبة من المجتمع تنطلق من عقائد دينية مذهبية، أو عقائد وثوابت تمجد التمحور حول العنصر نجد أن جميع هذه المفردات وبضمنها ستراتيجية التهذيب تتناغم وتنسجم مع هذه العقائد والثوابت الفكرية.

وأذا كانت فلسفة المجتمع تنطلق من الأيمان بضرورة البناء الديمقراطي المجتمعي وهذه فرضيتنا هنا، فسيكون التهذيب منطلقاً من جوهر هذا السياق وجوهر الديمقراطية الليبرالية هو مبدأ منح وحماية الحرية الفردية والحقوق المترتبة لها وعليها مع المجتمع، وبذلك تكون ستراتيجية التهذيب للفرد عبارة عن عمليات متواصلة من التغلغل الحسي الحركي الأجرائي في عقل وضمير الفرد لأحداث التوازن المطلوب بين سلوكه وتفكيرهِ ومستلزمات البناء الديمقراطي في الهرم الأجتماعي، وميزة التهذيب المتغلغل في هندسة البناء الأجتماعي القائم على الحريات الفردية والحريات العامة أنه يلتقي مع جميع المبادئ الأخلاقية المترابطة مع منظومة القيم الأنسانية لأغلب أمم المعمورة وبالذات تلك الأمم التي تملك بصمات حضارية واضحة في التأريخ الأنساني.

المبحث الأول
الحقوق الأساسية للفرد

هي الحقوق التي يجب أن يتمتع بها كل فرد، وهي أربعة أصناف، الأول الحقوق الشخصية والثاني الحقوق السياسية والثالث الحقوق الأقتصادية والرابع الحقوق الأجتماعية، فالأول نابع من حرية الفرد الشخصية، ولكنها حرية غير منعزلة وسلبية عن الحريات العامة للمجتمع[1] ولكنها ليست خاضعة لواجب المجتمع، إما الثاني والثالث والرابع فهي حقوق واجبة على المجتمع في توفيرها ورعايتها بالتعاون مع الفرد، لكي لايفقد القدرة في التوجيه الصحيح كونه كائن أجتماعي يعمل لمنفعة ذاته ومنفعة المجتمع.

ولتقريب ذلك نستذكر المقولة الرائجة بأن الحياة "مسرحية" فنجد أن الفرد الممثل على المسرح لايقول إلاما يجب قوله ، ولايتحرك إلا مايجب أن يفعله ، لايستطيع أن يخرج عن النص والأخراج المقررين من قبل المشرفين وأرادة وميول المشاهدين[2] ولكن عندما يختلي مع ذاته يستطيع أن يمارس حريته وحقوقه الشخصية ورغباته في القول والحركه بالشكل المختلف عما كان يؤديه على المسرح، أي أن قوانين المدلول الأجتماعي تقف عند سيادة الفرد على نفسه بعد تحديد السلوك الذي يخص الفرد قبل غيره ، والسلوك الذي يخص المجتمع قبل غيره.

١- الحقوق الشخصية:

هي تلك الحقوق التي تنشأ من ممارسة الفرد لميوله الشخصية دون أن تتصل أتصالاً وثيقاً بالمجتمع، بمعنى تلك التصرفات النابعة من الحقوق الفردية، وليست التصرفات نابعة من الحقوق التي تمس الغير، لذلك حتمت واقعة الحياة في المجتمع التي لاغناء عنها عن الفرد وجوب مراعاة قسط معين من السلوك أزاء الأخرين، وهذا السلوك الوجوبي يتضمن أمرين أولاً: عدم المساس بمصالح الأخرين والتي ضمنها القانون ورفعها الى مستوى الحقوق. وثانياً: تحمل الفرد نصيباً عادلاً من العمل والتضحية من أجل الدفاع عن المجتمع[3] الذي يرعاه .

فالرغبة في الملبس المعين، والتطعم بنوع معين دون سواه، والمسكن وتصميمه وتأثيثهِ وكيفية قضاء وقت الفراغ والزيارات والسفر والزواج... الخ، فلكل فرد ميول خاصة به في هذه المجالات لايشاركه فيها فرد أخر، يمتاز بها وحده عن

---

[1] د. نعيم عطيه – النظرية العامة للحريات الفردية – الدارالقومية للطباعة والنشر – القاهرة ١٩٦٥ ص٣٢ .
[2] هنري برجسون – الفكرالواقع المتحرك – ترجمة سامي الدوربي – مطبعة الأنشاء دمشق ص٢٣٦
[3] د. نعيم عطيه – المصدر السابق ص٩٤ .

بقية المجتمع تترك له خالصة لايتدخل المجتمع فيها إلا أذا أستعملها بشكل أذى به المجتمع أو غيره من الأفراد، على الرغم من وجود صعوبة في وضع حد فاصل يقال فيه إن وراء هذا الحد لايؤذي المجتمع، وأمام هذا الحد يؤذي المجتمع، لكن المهم هو محاولة أعطاء كل فرد كامل حريته الشخصية فيما يخصه هو وحده، دون تدخل أي جهة من المجتمع ، والقانون يقف عند عتبة الحقوق الفردية، ولكن من الذي يردع الفرد دون التجاوز على حقوق وحريات الأخرين في الحالات التي لا يستطيع كشفها القانون والقائمون عليه بعد أن تشعبت مجالات النشاطات الحياتية وتعقدت ولاتستطيع القيود المتولدة عن النصوص التشريعية اللحاق بها.

٢- الحقوق السياسية:

هي تلك الحقوق التي تتيح للفرد كمواطن أن يشترك في أبداء رأيه في جميع المسائل التي تهم الأفراد جميعاً كمواطنين، في أسلوب الحكم وأدارة الأمن والنشاط الأقتصادي الداخلي والخارجي والأنفاق العام ونظم القوانين والسياسات الصحية والتربوية والعلاقات الخارجية وماشاكل ذلك، وهي حقوق لايمكن بغيرها أن يشعر الفرد بالمواطنة وأنه عنصر فاعل ومؤثر ومشارك في أدارة بلده. ومن الطبيعي في حالة عدم ممارسة هذه الحقوق أن يقول بأن حكومته تمثله أو تعمل لصالحه أو أن حريته غير مقيدة مادام غير قادر على أبداء رأيه والمشاركة في أختيار حكامه بصورة مباشرة أو غير الكتلة التي ينتمي اليها كالحزب أو الجمعية نجده يتهرب أو لا يؤمن بتأدية واجباته الوطنية لأنه لايشعر بممارسة حقوقه، وقد يسكت عما تفرضه الحكومة سكوت العاجز هو وأقرانه، ولكن بمرور الوقت يشكل عدم الرضا الجماعي حالة شلل وتصدع للنظام الأجتماعي والسياسي الذي يعيش فيه الفرد .

بيد أن السؤال المهم هنا، هل يشكل تمتع الفرد بالحقوق السياسية حصول على حريته السياسية وضمان لها: هذا يعتمد على تناغم وأنسجام القوى السياسية والقوى الأقتصادية والثقافية في المجتمع وعلاقاتهم بالبناء السياسي وتقيدهم بمفاهيم القيم والأخلاق للصالح العام، لأننا نجد حالياً في معظم النظم الديمقراطية التي تعد الحقوق السياسية حقوقاً لا تنتقص لا توفر الممارسة لهذه الحقوق ضمانه كاملة للحرية السياسية، فالتصويت العام في الولايات المتحدة الأمريكية لم يجلب دائماً الحكومة التي يريدها الشعب، وقد أظهرت الدراسات أن معظم المواطنين المعروفين بأرائهم اليسارية لم يحصلوا على معاملة عادلة في المحاكم[4] وأن التصويت والأنتخابات في أغلب الدول النامية أو الحديثة بالأستقلال لم تجري بطرق عادلة تعبر عن الأرادة الحقيقية لميول ورغبات المواطنين فأساليب الضغط والأكراه والتزوير أصبحت ظاهرة في مثل هذه

---

[4] هارولد ج. لاسكي – الحرية في الدولة الحديثة – ترجمة أحمد رضوان عز الدين دار الطليعة بيروت، ١٩٧٨، ص١٣ .

الأنتخابات لتشويه الحق السياسي، حتى أضحت الحرية التي هي أساس الحياة المتمدنة في أزمة عالمية لاتنحسر أسبابها في المجالات الأقتصادية والثقافية فحسب بل في أزمتها الأخلاقية القيمية التي ابعدت الأنسان عن حقيقته الأنسان، ولهذا نجد العديد من الباحثين الأجتماعيين اليوم يؤشر بدقة الى حاجة المجتمعات الأنسانية الى هندسة أجتماعية قائمة على التهذيب الأخلاقي للفرد، بعد أن وجدوا ظهور حكومات منتخبة من قبل الأفراد تتم بغياب العلاقة المتبادلة والمتفاعلة بينها.

الحقوق الأقتصادية:

هي حقوق واجبة على المجتمع توفرها والألتزام بها، فاللفرد حق أنتخاب العمل، حق حرية تغييره، وحق حرية الأستهلاك وحق حرية الأدخار، وحق حرية الأقراض، وحق حرية الأستثمار وحق حرية تناقل رأس المال، وحق حرية تأسيس الشركات والنشاطات الأقتصادية والصناعية والزراعية وهي حقوق مهمة جداً نالت أهتمام المعنيين بالمجتمعات الأنسانية لما لها من أهمية في تعايش أو تصارع طبقات المجتمع لذلك نجد المجتمعات المستقرة المتطورة هي تلك التي تمارس المراقبة الدائمة للتمتع بهذه الحقوق لأن مظاهر العوز والقهر والأستغلال لها نتائج خطيرة قد تؤدي إلى حدوث الأنقلابات البنيوية لعموم المجتمع والنظام السياسي المنبثق عنه بسبب تداخل قوة تأثيرها في جميع مفاصل الحياة الأجتماعية، وتأتي هذه الظواهر المنحرفة بسبب الأختلال الوظيفي لهياكل المجتمع، فالهيكل الأقتصادي أكثر الهياكل البنيوية تأثراً[5] بطبيعة السلطة وممارسات الحكومات التي قد تساعد أصحاب رؤوس الأموال على زيادة ثروتهم على حساب الحقوق الأقتصادية للفرد تحت شعارات تدعيم الأقتصاد الوطني وحرية النشاطات الخاصة التي تملك بمرور الوقت القابلية على التكيف مع الوضع القانوني والألتفاف عليه عليه لمصالحها المادية ، لذلك نجد المجتمعات الأنسانية تسعى الى أقرار الحقوق :

١. حق العمل المناسب للكفاءة والمؤهلات .
٢. حق أستغلال الفرد لدخله .
٣. حق الفرص المتكافئة .
٤. حق التأمين ضد البطالة.
٥. حق الأجور العادلة.
٦. حق الاجازة والراحة.

[5] يوري كرزين – علم أجتماع الثورة – ترجمة شوقي جلال – دار الثقافة الجديدة – بغداد ١٩٧٤ ص٢٩ .

فالمجتمعات التي لها باع طويل في تشريعات وتطبيقات آليات ضمان الحقوق الفردية تأن من أنحرافات الفساد السياسي والجريمة والعنف التي تضرب في أعماق المجتمع الباكستاني والهندي والأيطالي والفرنسي والبرازيلي والأمريكي ومعظم هذه الدول المدعية حكم المجتمع نفسه بنفسه فيها على أعتبار أنها حققت توازن مستقر دائم في مكوناته الطبقية والعرقية والمذهبية والثقافية والأقتصادية للفرد التي تقلب حالة السكون المستقر الى حالات التوازن الأجتماعية والتي تؤدي الى تعديل أنماط الحياة الأجتماعية والسياسية للمجتمعات مما أدى بالكثير من الباحثين على أعتبار أن الثورة في الأنقلابات الأجتماعية تبدأ عند الأنهيار الكامل لممارسة الفرد حقوقه الأقتصادية[٦] وقد فات الكثيرين أثر التهذيب القيمي في هندسة المجتمعات لحماية البنى الأجتماعية والأقتصادية بشرط عملها في بيئة ديمقراطية ذات نظم قانونية كاملة واضحة لمتطلبات حياة الفرد وأستقرار ونمو المجتمع ونظام سياسي مستقر متأتي من أنتخابات حقيقية صادقة ليحقق التلائم والتكييف مع ذاته ومع الفرد والمجتمع بجميع كتله.

الحقوق الأجتماعية:

لم تكن تعد هذه الحقوق الى أمد قريب واجباً من واجبات المجتمع بل كانت تعتبر حقوقاً للفرد لا على المجتمع بل على الفرد، أي من قبيل الحقوق الشخصية للفرد ، وعلى الفرد أن يقبل عليها أو ينصرف عنها كما يريد وكما تهيئه بيئته وظروفه ، ولكن تطور الأحوال في العالم وتشابك مصالحه وأتصالاته والتفاعل السريع والكثيف بين المجتمعات الأنسانية بفضل ثورة المعلومات والأتصالات جعلت العالم كله ميدان تنافس شديد للمجتمعات لتثبت وجودها وتفوقها ورقيها الحضاري في وقت برزت ظواهر جنوح الفرد في توظيف المقدرة المتنامية له ولبعض المتحالفين معه في الأستحواذ على حقوق الأخرين لأسباب مادية وأعتبارية مستغلين قصور النظم والتشكيلات القانونية والأخلاقية في خلق منظومه الأليات الرادعة والمانعة لمثل هذه الأنحرافات التي أثرت في مستويات الحاجات الأجتماعية للفرد وأبرزها:

١. مستوى الحاجات العضوية في المأكل والملبس والجنس التي بدونها يتعرض الفرد لأختلال التوازن الداخلي.
٢. مستوى حاجات الأمن المادي والجسدي التي بدونها يتعرض الفرد الى الأخطار التي تهدد حياته وبقائه الخارجية أو تلك التي تهدده داخل جسمه جراء عجزه عن تلقي العلاج والطعام الصحي والوقاية من مخاطر البيئة التي تهدد أستمرار أداء اعضاء جسمه بوظائفها الفايزلوجية.

---

[6] المصدر نفسه ص٨١ .

٣. والــثالثة مستوى الحاجة الى التقرير النفسي والأعتباري الأجتمــاعي التــي تؤدي الى أن يكون الفرد موضع تقدير وقــبول وأعتبار وأحترام أجتمــاعي ذلك لأن التقدير الأجتماعي يعزز الشعور بالأمن ويدفع الفرد الى تحقيق ذاتــه ومن ثم يدفعه الى تحقيق الصورة التصويرية له التي يرتضيها المجتمع.

الحقوق الأجتماعية Self-Actualization نابعة مــن حاجــة الفــرد المصيرية للأنتماء داخل المجتمع لكونه كائن أجتماعي أولا[٧] وأخــراً ولــذلك جــاءت الحريات Belong ingness الاجتــماعية أســاساً لهــذه الحقوق، فلا يصلح أن يتدرع الشعب بالدول لمنح وضمان تمتع الأفراد بالحقوق الاجتماعية، بل عليه أن ينظم منح ومتابعة تمتع الأفراد بهذه الحقوق فالــشعب الألمــاني واليابــاني والأســكتلندي لايملكون تلك الدولة ذات السيادة الكاملة والقوة النافذة القادرة على منح وضمان تمتــع الأفراد بهذه الحقوق بيد أن المجتمعات هناك كان لها الدور البارز في ذلك على الرغم من وجود قصور في المقوم الأخلاقي في التطبيق والأطار، وأهم مــا فــي الحقــوق الاجتماعية حق التعليم والتنشئة: كان التعليم منذ أمد قريــب يقتــصر علــى الأفــراد القادرين على تحمل أعباءه في النقل والمصاريف والتفرغ والرعايــة وكانــت هــذه العوامل متوفرة في طبقة الأغنياء والأثرياء والنخبة من المجتمع أو العاملين في أمور السلطة وكان الفكر اليميني المتطرف يرعى ذلك بحجة واهية مفادها العرق العنصري الراقي والأخلاقي بين أبناء الأثرياء وأبناء الفقراء. وأن التعليم يجب أن يكون حصراً لأبناء الأثرياء، وحقيقة أبناء الفقراء من البسطاء والفلاحين وسكان المستعمرات والخدم والحرفيين تجد في صمتهم وجهلهم خير معبر عنهم[٨] ولكن مع تطور الفكر الأنساني في العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية ركن هذه الترهات الخاويه. وأقرت الأنــسانية حقوق الإنسان والحريات الفردية وما تمخض عنها من واجبــات علــى المجتمعــات لتضمن تمتع الأفراد بحق التعليم، فظهرت سياســات التعلــيم الألزامــي والمجــاني والتعاوني وبرزت المنظمات والجمعيات المحلية والأقليمية والدولية التي تتسابق فــي رفد المتعلمين بشتى أنواع المساعدات وأنحصرت الأمية في عموم المعمورة، لــسبب بسيط جداً هو أن المجتمع أي مجتمع تأكد بأنه لايمكنه أن يصبح سليماً وقابلاً للنمــو والتطور بدون الألتزام لضمان هذا الحق لأستحاله نموه وتطوره مع كــم هائــل مــن الجهلة الأميين[٩].

---

[7] لمزيد من المعلومات أنظر – د. زيدان عبد الباقي – علم الأجتماع المهني – مطبعة السعادة – القاهرة ١٩٧٦ ص ص ٧٩-٨١ .

[8] هارولد ج. لاسكي – م. س. ذ. ص١٢٦ .

[9] سيمون دي بوافوار – واقع الفكر اليميني – ترجمة جورج طرابيشي – دار الطليعة بيروت – ١٩٨٠ ص٦٥ .

واجب التربية والتعليم:

هو أعطاء الفرد كل أنواع النشاط التي تؤثر في مكونات الفرد وأستعداداته وسلوكه، ومصدر هذه الأنواع الشاعة في المنزل والحي والمدرسة والقوانين السائدة في الجمعيات والمنظمات الأجتماعية والمؤسسات التعليمية ونظام الحكم وأنماط المعيشة والتقاليد والعادات الأجتماعية النافعه المتفق عليها والذوق والعرف وأساليب العمل والتدرج فيها وأتجاهاتها وأهدافها المتعلقة بتطور الحياة وعلى هذا الأساس فأن التربية تشمل كل فعل وأرشاد ينصب الى تنشئة الفرد وأستعداداته ونواحي سلوكه بقصد توجيهها، وأهمية التهذيب هو موضوع بحثنا هذا إما التعليم فعلى المجتمع واجب نقل المعلومات المهمة والضرورية للفرد في مختلف مراحل حياته من المعلم داخل مؤسسة حكومية تابعة لأشراف المجتمع أو من رحم المجتمع[10] مباشرة بقصد أكسابه ظروب المعرفه، وقد تأخذ أشكالا، ((التلمذة الصناعية–التلمذة الزراعية–التلمذة التجارية–التلمذة العلمية–التلمذة الأدبية–التلمذة الأجتماعية والسياسية والأقتصادية... الخ)) ويجب توفر جهات معنية في مجالات الأرشاد والتدريب التعليمي لمعالجة الأنحرافات والتقصيرات في العملية التعليمية والتربوية حتى أصبحت واجبات التربية والتعليم مرادفة لعملية نمو وتطور المجتمع لدى الكثير من الباحثين.

واجب العلاج والوقاية الصحيين:

ويدخل هذا الواجب في صلب الأعداد الفردي لخدمة نفسه والمجتمع، فلا يستطيع أحد أن يضمن حصوله على الأعداد السليم للفرد من الناحيه العقلية والنفسية لحياة كريمة ويسهم في خدمة المجتمع دون التكامل الصحي والبدني، فالوقاية الصحية تأخذها أهمية أكبر لكون الفرد غير السليم صحياً سيكون عنصراً من عناصر المشكلة الواجب حلها والمساعدة في تخفيف آثارها، إما الفرد المعافى فسيكون عنصراً من عناصر الحل والقوى البشرية المستخدمة في معالجة مشاكل المجتمع وتطوره.

وجميع هذه الحقوق أقرتها المجتمعات الأنسانية أستناداً الى أيمانها بالحريات الفردية التي تعد فلسفة النظم الديمقراطية.

[10] د. أحمد زكي بدوي – تنمية القوى البشرية – مجلة الصناعة العدد الخامس ١٩٧٧ ص٢٠ .

المبحث الثاني
في ضمان حقوق الفردية

دافع الباحثون لعقود طويلة عن فلسفتهم في ضرورة بناء ثلاثة أنظمة مختلفة **الأول**-يسمح بأخضاع النشاطات الفردية للرقابة وتتخذ فيه السلطة موقف التدخل والأشراف عند التمتع بالحقوق الفردية تحت ذريعه تجنب الأنحراف قبل وقوعه، و**الثاني**-يترك النشاط الفردي يعمل ولا يتدخل إلا لتوقيع الجزاء على أنحرافات ذلك النشاط عن القوانين الوضعية المقررة.

ويقر بوجود نظام تربوي تعليمي نابع من المجتمع له وظائف مزدوجة قائمة على ترصين الأخلاق والضمير والعقل للفرد مع المتابعة المستمرة للضغط على السلطة في التقيد بحقوق الأفراد والصالح العام والضغط المستمر لأحداث التجديد المستمر بموجب التطورات الأجتماعية والأقتصادية والسياسية بما ينسجم والمحافظة على جوهر الحقوق الفردية والحقوق العامة.

القانون الوضعي :أن كافة الضمانات التي ينظمها القانون الوضعي ((الدساتير)) للحريات الفردية وللحقوق المترتبة على هذه الحريات إن هي إلا علاج للغريزة البدائية للفرد والمجتمع في مقاومة الطغيان بشتى الخيارات يضمنها خيار العنف وأستخدام السلاح، وبذلك نستطيع أن نقول بأنه كلما كانت التشريعات شاملة وعميقة ولازمة ومتطورة وخاضعة للرقابة والتمحيص كلما سكنت المقاومة خلفها ورقدت، فالضمانات هي توفير الوسائل الوضعية لتمكين المواطن الذي مست حريتهِ وحقوقهِ من الأعتراض على السلطة العامة للحصول على حقهِ يعد البديل السلمي ((لمبدأ مقاومة الطغيان)).

في طبيعة الضمانات الوضعية:

١. ضمانات في مواجهة الحاكمين. هي ليست ضمانات لشل سلطة الدولة وتعطيلها، بل للمشاركة معها ومساعدتها في أحداث التوازن الدقيق بين أعضاء الحقوق الفردية والحقوق العامة والألتصاق الدائم مع الصالح المشترك وإعانتها في توفر وبقاء التفاهم وللأنسجام مع السلطة القضائية والتشريعية وصدق ورقة طروحات الرأي العام.
٢. الضمانات القضائية. ويقصد بها ضمان مبدأ المشروعية، وهي عبارة عن الوسائل التي يمكن للأفراد بمقتضاها أن يطرحوا أعتراضاتهم على أجراءات الحكومة أو الأفراد أو الجماعات المتعايشين معهم أمام السلطة القضائية، وهذا يجعل ضرورة تقيد المشرع أصلاً بالألتزام بتدوين كافة الحريات الفردية

وحقوقها، مع وجود رقابة دستورية على القوانين الأدارية التي تتعارض بخصوص الدستور المقرر لحرية الأفراد.

٣. ضمانة الرأي العام. وهو الأجدى والأقوى فاعلية للحريات والحقوق الفردية بيد أن الرأي العام يحتاج الى شعب يحمل فهماً مشتركاً للصالح المشترك لجميع شرائحه وهو مبدأ مهم في الحياة السياسية، والمشاركة في الفهم أو التفاهم المستمر المتجدد للصالح المشترك لا تعني الأستفادة منه في الأنتخابات وحصد الأصوات والدعاية بل تعني تطبيق مفرداته وحمايتها والذود عنها. وهي وظيفة سوسيولجية وأخلاقية قبل أن تكون سياسية.

فالرأي العام إرادة شعبية تحافظ على ماهو مرغوب فيه في الحدود الممكنة، أرادة مدركة لمسئوولياتها، فاهمه لوظيفتها الأجتماعية التي جوهرها حماية النظام الأجتماعي من الخطر والزعزعة، فهو رأي تكون من أنضمام مواطنين أحرار في نيتهم ممارسة حريتهم الفكرية على خير وجه لتوجيه النشاط الحكومي نحو الخطوات الصائبة[11].

ولكن قد يسأل سائل عن مكانة الرأي العام إذا ما تدخل بعض الأفراد ممن يملكون القوة والنفوذ والمال ولهم تابعين ماكرين وتحت سيطرتهم أجهزة أعلامية مؤثرة ويمارسون نشاطهم المخادع وسط جمهور جاهل أمي، هل سيكون الرأي العام في مثل هذه الظروف معبراً عن ((الأرادة الشعبية)) وداعماً للحقوق والحريات الفردية...؟

الجواب هنا أن نيل الحريات والحقوق الفردية ليست بالقضية الهيمنة وأن أصبحت الآن تمثل القاسم المشترك للمطالب الأولى للمجتمعات البشرية في عموم المعمورة مع وجود رؤية خاصة لكل شعب أطر بها هذه الحريات والحقوق بموجب موروثه الحضاري والقيمي والأخلاقي والديني بيد أن هذه الأطر لن تحدث فوارق جوهرية فيها، لذلك سعت المجتمعات وتسعى في البيئة الديمقراطية التي توفر العوامل التنويرية:

- العامل الأول: حرية نقل وتناقل المعلومات.
- العامل الثاني: التربية عن طريق المنظمات الأجتماعية على الحرية.
- العامل الثالث : الأستشارة الأوفى للشعب في استصدار القرارات ووضع آليات التنفيذ دون الأكتفاء بحق تمثيل الشعب بالأنتخابات الحرة للسلطة التشريعية والتنفيذية.

---

[11] د. نعيم عطيه – م. س. ذ. ص ٢٦٠ .

- أعلان الحقوق الفردية: أحتواء وثيقة الأعلان للحقوق في الدستور على كامل هذه الحقوق مع التركيز على قدسيتها وعدم المساس بها[١٢].
- العقلانية والمنطقية: الأيمان بالعقلانية والواقعية والمنطقية يلازم أمكانية التطور والتقدم نحو عدالة شاملة بعيدة عن المثالية والغوغائية التي سرعان ما تخذل المجتمع نحو بلوغ أهدافه.
- الهندسة الأجتماعية القائمة على التهذيب المستمر في أحترام القانون والألتزام بالتعاون الجماعي والقيم الأخلاقية للديانات في الصدق والأمانة والأخلاص والتسامح والعدل والمساواة والدفاع عن الحق والوطن...؟

٤. ضمانات الديمقراطية.

البيئة الحقيقية لتعبير عن حقيقة الأنسان هي الحضارة أو التراث الأجتماعي المنحدر تأريخياً عبر أجيال، وعلماء الأنسان لايريدون هذه العلاقة الخاصة بين نوع محدد من أفراد المجتمع والحضارة، بل يقصدون علاقات أوسع وأكثر تفرغاً بين جميع سكان المجتمع وبين جميع عناصر التراث الفكري والروحي والعاطفي والعلمي والأقتصادي للمجتمع، وبذلك تكون الديمقراطية الحقيقية هي المدخل الأسلم للنمو الأجتماعي نحو الأبداع الحضاري، فليس من الصواب عزل الجوانب المادية في المنجزات العظيمه التي تحققت في مجالات التكنولوجية والعلوم والرخاء الأقتصادي والتقدم العمراني عن الجوانب المعنوية في توفر الحريات الفردية[١٣] والحقوق الفردية التي تمنح للفرد المجال والفرصة والأعداد لمساهمة في أنجازات الجوانب المادية والمعنوية للحضارة وثقافتها، وبذلك يكون تقييم الحرية الفردية وواجب المجتمع على حمايتها وتوفير حقوقها من خلال من خلال أثرها وتأثرها بالمستوى الحضاري التي وصل اليه المجتمع أو يروم الوصول اليه، فواجب ضمان حرية الفرد وحقه في الأبداع الموسيقي والفني هو حرص على الأبداع الحضاري وهذا لايتم إلا في البيئة الديمقراطية، وكذلك حرية وحق الأديب والمعلم والطبيب والمفكر والأقتصادي ورجل الدين ، فالديمقراطية خلال مفرداتها الاتية توفر هذه البيئة الضامنة لتألف المجتمع نحو المطالبة المستديمة لهذه الحقوق:

١. تحقيق حريات الأفراد ومصالحهم وحقوقهم.
٢. حماية هذه الحريات من تعسف السلطة.
٣. أحترام الأصول التشريعية التي تحقق هذه الحماية.
٤. التنظيم الديمقراطي للوظيفة الحكومية وحصر أتساع السلطة نحو القوة.

---

[12] المصدر نفسه ص ٢٨٨ .

[13] لمزيد من المعلومات أنظر : د.قيس النوري – المدخل الى علم الأنسان – جامعة بغداد- المكتبة الوطنية – ١٩٨٢ ص ص ٣١٦ – ٣١٧ .

٥. الفصل بين السلطات.
٦. حق الأقتراع والتصويت لأنتخاب ممثلي الشعب وسحب الثقة عنهم وأبدالهم[14].
٧. حرية العمل السياسي والتعبير عن الرأي والمعتقد .

أما البيئة الأستبدادية سواء أكانت في أشكال الحكم الدكتاتوري أم الشمولي أم النخبوي أم العائلي أو الفئوي، فأننا نجد أن هذه الأشكال تجتهد في وضع المجتمع في بودقة واحدة وتسعى الى تكييفه قسراً في تنظيمات أجتماعية كما تبغي وبذلك تضيع حقوق الأفراد مع ضياع حقوق المجتمع وتتراجع الأبداعات الفردية نحو الرقي الحضاري، وعلى الرغم من هذا يجب أن لانسلم بكفاية البيئة الديمقراطية في ضمان حقوق الأفراد وحرياتهم، بل نجد المجتمعات ومن خلال دراسة تجارب الأنظمة الديمقراطية الليبرالية الأخذة بالحريات والحقوق الفردية هنالك حاجة دائمة ومتطورة لضمانات أخرى.

٥- ضمانات حماية "الأمن":

أن الحفاظ على الأمن الداخلي والنظام والدفاع عنه يتم بتطبيق القوانين الملزمة التي تهيئ للأفراد جواً ملائماً قائم على تمسك الفرد بالقانون والدفاع عنه لأنه يعبر عن مصلحته وعن منافعه وضمان مستقبله ومستقبل أطفاله، وبذلك يحدث التفاعل والترابط بين الأفراد والقانون والدولة في الدفاع عن النظام الأجتماعي القائم لينتج الأستقرار مفتاح التطور. فالنظام القانوني والدستوري والأقتصادي والمالي الذي يعبر عن مصلحة شريحة واحدة من المجتمع، لايدافع عنه سوى هذه الشريحة فقط ، ويكون مستهدفاً دائماً من الشرائح الأخرى، وقد يصل الأمر الى تصدع مفهوم المواطنه عندما يتعرض هذا النظام الى أعتداء خارجي ، فنجد الشرائح الأجتماعية الأخرى غير الممثله فيه والعاجزة عن نيل حقوقها إما تقف ساكنة محايدة ، أو قد تساهم في أضعاف النظام القائم لمصلحة العدوان أو التدخل الخارجي فنجد من يدافع عن الحريات والحقوق والنظام الأجتماعي السياسي المعبر عنهما هم الأفراد المستفيدون من هذه الحقوق والذين جاهدوا من أجل الوصول إليها، والحروب حقيقة سابقة وجاهزة وسوف تستمر وكل الشعوب معرضة لها منذ وجدت الدولة المستقلة بيد أن الفرق بينها، أنه يوجد دولاً حاربت وأنتصرت وخسرت لكنها لم تساهم في تطوير مجتمعاتها وفي صناعة التاريخ للحضارة لأنها بعيدة عن مُثل وقيم الأنسانية والحريات، ويوجد أيضاً دول حاربت وأنتصرت وخسرت لكنها ساهمت في حماية أنظمتها الأجتماعية القائمة على تمتع الأفراد بحقوقهم وحرياتهم فساهمت في صناعة التاريخ والحضارة

---

[14] لمزيد من المعلومات انظر د. معن خليل عمر ومليحه عوني القصير – المدخل الى علم الأجتماع مطبعة جامعة بغداد – ١٩٨١ ص ص ٣٥٨ – ٣٥٩ .

الأنسانية[15]، فالحرية كانت المطالب الأولى للمجتمعات الساعية للتحرر من قيود العبودية والأستبداد في ثورة محمد (صلى الله عليه وسلم) ومن قبله المسيح (عليه السلام)، ونجدها كذلك في العصر الحديث الى نجد أن فينحته يصورها بنبع الحياة الأصلية وتطورها الناتج عن التشبع بروح الألتزام بالحريات[16] الفردية وحقوقها فهي التي أنقذت الشعب الألماني من أثار حربين عالميين مدمرتين في فترة زمنية تعتبر قياسية "١٩١٥ – ١٩٤٥ " لتعود ألمانيا بنظام أجتماعي يعتبر أكثر سلامه وأستقرار من شعوب كانت بعيدة عن الأثار المدمرة للحربين .

ضمانة الحماية الفكرية. الحريات الفردية وحقوقها:

يتمتع بها الفرد في مجتمع متناسق الأنظمة ومستقر، فالنظام السياسي الذي يمثل القواعد والأساليب المحددة للسلوك السياسي المتعلق بممارسة السلطة ويعمل على أشباع حاجات النظم المترتبطة بها الأدارية والدبلوماسية والعسكرية والأمنية والثقافية... الخ، والنظام الأقتصادي للمعايير المركبة المحددة للسلوك الأقتصادي للمجتمع في تحديد الملكية وتقديم الخدمات والسلع والتبادل والأنتاج والأستهلاك والأستيراد والتصدير والأنظمة المالية المرتبطة له، وهناك النظام العائلي الذي يعد الحلقة الأولى التي يمارس فيها الفرد وظيفته ككائن أجتماعي ويتعلم منها السلوك القيمي والجنسي والأنجاب والزواج والتنشئة العائلية، وهناك النظام الديني الذي يشبع الحاجات الروحية للأفراد وعلاقاتهم بالخالق عز وجل وتتصل بالمعتقدات والشعائر والعبادات التي تتضمن دائماً أنماطاً أخلاقية دينية مؤكدة على الخطأ والصواب والثواب والعقاب أي التي تطرح أوامر لعلاقة الفرد بالجماعة والمتضمنة أوامر شخصية تخص ذات الفرد كنظام الصلاة والعبادة والقرابين والدعاء، كل هذه الأنظمة تمثل وعاء حركه المجتمع فهي متناسقة ومتناغمة لأنها ليست بعيدة عن وقائع حياة الفرد[17] وتاريخه وموروثه المكتسب، فكل طارئ غريب عن هذه النظم يشكل عامل أرباك وعدم أستقرار وأيقاف لحركة المجتمع نحو النمو والتطور، فمثلاً تغلغل الحركات الفكرية المناهضة للمعتقدات الدينية لأي مجتمع تعد عامل أرباك أو تغلغل عادات غريبة عن الذوق العام للمجتمع وخاصة التي تحدث لغطاً كبيراً وضرراً واضحاً في

---

15 غاستون بوتول – سوسيولوجيا السياسة – ترجمة نسيم نصر – منشورات عويدات – بيروت ١٩٧٤ .

16 لمزيد من المعلومات أنظر ي. غ. فينحته – خطابات الى الأمه الألمانية ترجمة سامي الجندي – دار الطليعة بيروت – ١٩٧٩ ص ٢٤٩ .

17 توفيق السيف – تفكيك الأستبداد – بحث في مشروع دراسات الديمقراطية في البلدان العربية – مركز دراسات الوحدة العربية – ط١ بيروت ٢٠٠٥ ص ص ٢١٩ – ٢٣٢ .

أنظمة مكونات المجتمع في طرق التفكير والتصرف، لذلك نجد أن بيئة الأستبداد التي تشل حركة الأفراد والمجتمع في الدفاع عن نفسه أزاء ظواهر الأستعمار والهيمنة تخلف أزمات ثقافية وأقتصادية وسياسية وأيضاً أجتماعية بسبب دخول العوامل الخارجية الحاملة معها صور لأفكار غريبة لتحل محل الأفكار المحلية والموضوعية وتساهم في عملية النهب التاريخي لثروات الشعوب التي تحدث الأزمات الأقتصادية الكارثية، وبذلك تكون العوامل الخارجية بمثابة تشويه للخريطة الذهنية التي رسمها الفرد في مجتمعه، ومن هنا جاءت ضمانة حرية الفرد وحقه هي واجب المجتمع المحلي والدولة الوطنية لأن المجتمعات الأنسانية تتبادل التعاون فيما بينها ضمن الأطار الأنساني، ولكن لايوجد حالياً ذلك المجتمع الذي منح حريات وحقوقاً لمجتمع أخر غريب عنه وجوداً، ولذلك نجد مجتمعات عريقة في الحضارة والتراث الأخلاقي تستطيع أن تعمل أفكارها في بناء مقوم أخلاقي في حماية هذه الحقوق والحريات ، بناءً يسد الفراغ الذي عجزت القوانين والمؤسسات الرسمية والأجتماعية من بنائه في أكبر وأعرق الدول الليبرالية، فهذه الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا[١٨] واللتان تعد ان من أعرق الأنظمة الراعية لحريات الفرد وحقوقه تعاني من التصدع الأجتماعي جراء الأخطار المتصاعدة التي تهدد هذا النظام العريق بعد أن عجزت كافة نشاطاتها المتطورة في حماية هذا التأكل المتأتي من سعي بعض أفراد المجتمع على أستلاب حريات وحقوق الجزء الآخر، ولعل السبب يكمن في مصادر القواعد السلوكية، فلا يكفي أن تكون القوانين الوضعية المصدر الأول لها الابد أن نعود أدراجنا الى مصادر قيمنا الروحية الأخلاقية في الرسالات السماوية والموروث الحضاري للأمم الحية الرائدة في التأريخ في أعطاء الأهمية القصوى للتهذيب الأخلاقي في عملية الهندسة الأجتماعية عند بناء المجتمع على دعائم الحريات والحقوق الفردية لمنع أنتشار ظاهرة التفكك الأسري، وجنوح الأحداث نحو الجريمة، وزيادة معدلات الفقر والأمية، وظواهر العنف والجريمة المنظمة، وتجارة الأعضاء البشرية والأطفال، وزيادة ظاهرة تعاطي الشباب للكحول والمخدرات، والأضطهاد الفكري والديني، والصراعات المذهبية والعنصرية... الخ، كلها ظواهر تشير الى غياب الآلية السليمة في منح وحماية حرية الفرد وحقوقهِ، ناهيك عن زيادة تعرض الذات الفردية الى ظواهر أنحرافية كالحسد والغل والكراهية العدوانية وكأن النظرية المؤامراتية التي تحدث أحياناً بين الدول دخلت في عدسة مصغرة لتنتقل الى داخل عقل وضمير الفرد ليمارس أبشع الحيل المحبوكه تجاه أخيه الفرد الآخر من أجل أستلاب حريتهِ وحقوقهِ.

المبحث الثالث

---

18 لمزيد من المعلومات أنظر – فرانس فوكوياما – التصدع العظيم – ترجمة عزة حسين كبة – بيت الحكمة – بغداد – ٢٠٠٤ ص ص ٢٢٥ – ٢٥٤ .

أثر التهذيب في عملية الهندسة الاجتماعية

أن النظام الديمقراطي القائم على بناء النظم والتشكيلات الاجتماعية والسياسية والأقتصادية المترابطة التي ما لم تؤسس على قيم يجلها الأفراد طوعاً لا تؤدي إلى نتائج تحقق قدراً متزايداً من المساواة والعدل والأنصاف، وستبقى الديمقراطية فيها شكلاً أجوف ولعبة في يد القوي ضد الضعيف، المسلح ضد الأعزل، الفاسد ضد النزيهة، المزور ضد العادل، الأمر الذي يجعل الأرتداد عنها بسبب الأرباك والفوضى إلى نظم حكم شمولية سواء أكانت عسكرية أم ثيوقراطية أم أستبدادية مطلب الجماهير التائه عن الأستدلال إلى مواقعها في البناء الأجتماعي يستجيب لها المقامرون بعد الأتفاق على تقسيم المنافع مع القوى الخارجية الداعمه لهم[19] وتحدي البناء الأجتماعي هذا يدفعنا لتبني سياسة التهذيب للجهاز العصبي للفرد ليكون حجره سليمة وقوية ومتساوية الأبعاد في عملية هندسة البناء المجتمعي المستقر المتطور.

في معنى التهذيب:

أنتبه علماء الأجتماع وخاصة في علم الإنسان إلى تباين الظواهر الفكرية والسلوكية والفجوة الموجودة بين ما يقوله الفرد ككائن أجتماعي وما يفعله، أو بين الشعور واللاشعور[20]، والأثر السلبي لهذا التباين في حركة الفرد داخل حقوقهِ الشخصية وحركتهِ داخل حلقة حقوق الأخرين في النظام الأجتماعي الحضاري، وكان هنالك قصور في تكثيف الدراسة والبحث لأحتواء هذه الظاهرة بسبب أن دراسات علم الإنسان لم تتم نموها الموازي في الدراسات والبحوث التطبيقية لعلم الأجتماع السياسي وخاصة في المجتمعات النامية، ولهذا نجد أغفال المعنيين فيها لأهمية الدور السايكولوجي المتباين في مجمل القوانين الاجتماعية المعنية بتنظيم الهندسة الاجتماعية الديمقراطية والمسؤولية الأولى تقع على المجتمع الذي يقرر هذه السلوكيات والتصرفات المكتسبة منه ومن العائلة.

وبالذات تلك المتعلقة بالنظام السياسي، الناخب والمنتخب-دور الفرد في أمن الجماعة. أحترام القوانين- التعاون-حقوق وواجبات المواطنة... الخ.

وعلى هذا النظام أن يتسم بالصفات :

١. نظام هدفي له أهداف وغايات هي أشباع الفرد بالحاجات الاخلاقية العملية والعقلانية .

---

19 علي خليفة الكواري – مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية – بحث مقدم إلى جامعة أكسفورد في ٢٢ / ٨ / ٢٠٠٠ .

20 د. قيس النوري – المدخل إلى علم الإنسان – م. س. ذ. ص ٨٧ .

٢. نظام ثابت نسبياً، ليأخذ التقليد المستمر حتى يشكل قانوناً أو عرفاً من جيل لجيل .
٣. نظام مركب ومتواصل للعلاقات الفردية والعلاقات الاجتماعية للنموذج السلوكي[21] فالفرد الملتزم بعدم التدخين في الأماكن العامة ويحترم أوامر شرطي المرور والأشارات المرورية هو الأقرب إلى الألتزام بقواعد وقوانين العملية الأنتخابية أو القوانين الأمنية من ذلك الفرد الذي لايعير أدنى أحترام لنفس القواعد، فالتهذيب السلوكي عملية تقوم بها الجماعة في داخل ذات الفرد لتغليب الطبيعة الخيرة فيه على الطبيعة الشريرة، تلك الطبيعة قابلة للأتساع والتجذر أذا ما أقترنت بمثيلاتها في الجماعة لتشكل دوافع الأنحراف السلوكي في مظاهر تزوير الأراء في الانتخابات والفساد الأداري والعنف والجريمة وفرض الأراء والعادات على الأخرين... الخ.

فعملية التهذيب هي تغذية للجهاز العصبي النفسي للفرد يأخذها مع اكتساب التعليم والثقافة والعادات والمشاركة في الأنظمة وتشريع وتنفيذ القوانين، فبدون التهذيب السلوكي لقيم الديمقراطية لانحقق المصالحة والتناغم بين الفرد مهما كانت صفته والجماعة، بل سنحصل على فرد في حالة صراع مستمر مع ذاتِه ومع الآخرين يتصاعد وينخفض حسب درجات المنافع والخسائر، وستكون محاولات الأرشاد والتقويم عاجزة عن عودته إلى الطريق السليم لأنها تعالجه وهو كائن أجتماعي مع الجماعة وليس الدخول في أعماقهِ الذاتية المكونه للأنا.

التهذيب النفسي:

هو هندسة السلوك الأخلاقي العملي ليتفق مع القيم المقررة للمجتمع، هي توازن بين وظائف الطب الجسماني لمعالجة العليل والطب النفسي لمعالجة الأنحراف في التفكير والسلوك خارج نفس القيم، والتهذيب هو قمع أو دفع أو صرف أو تخفيف جنوح هوى نفس الفرد أو شهوته أو ميوله نحو النفس العاقلة[22] المحترمة والملتزمة للعقد الذي أتفق عليه جميع الأفراد، والتهذيب عملية أجرائية حركية تهدف إلى الأستخدام العملي والعيني للعقل وليس الأكتفاء النظري، لأن العقل البشري فيه الحل ومنه المشكلة بعد أن أوضح العلم النفسي وجود أربعة أنماط للجهاز العصبي تحمل قابلية للتباين الأوسع وهي:

---

[21] د. غسان حسين سالم – الأنا – والآخر – مجلة النفس والحياة – بغداد – العدد ١٨ لسنة ٢٠٠٤ ص١٥ .
[22] د. الحارث عبد الحميد – طب الأخلاق وهندسة التهذيب- النفص والحياة – بغداد الجادرية – العدد ١٨ ك١ ٢٠٠٤ ص٢٨ .

١. النمط الغضبي المثير.
٢. النمط الدمــوي الحيوي.
٣. النمط الكاتم المكافح.
٤. النمط السوداوي الضعيف المعتدي.

وعــملية التهذيب تتم من خلال السيطرة على النشاط العصبي وأســتقباله للمنبهات الحــسية[٢٣] بتــوازن الحركيــة عنــدما يكــون كــائن أجتمــاعي وســط الجماعة. Mobility.

التكيف السليم مع البيئة السليمة:

السلوك العام للكائن الحي يحقق تكيفه مع البيئة، والكائن الأجتماعي غيــر المهذب لايستطيع تحقيق تكيفه المستمر والمتطور مع البيئة السليمة، فنحن نواجه فــي حياتنا منبهات لأجهزة الأستقبال الحسية عديدة، ولنا أستجابات محددة تجاهها، بعضها منها فورية سريعة والأخرى مؤجلة ومنها ما تأخذ الكبت داخل النفس، وتتــسم هــذه المنبهات بالقوة وأخرى بالضعف، ولكوننا نريد من الجهاز العصبي والنفسي للفرد أن يؤدي عملهِ على خير وجه بحيث يحقق ذلك التكيف السليم مع البيئــة، ولكــن كيــف سيكون حال هذا التكيف مع وجود منبهات متناقضة متنافرة في بيئة الكائن الأجتماعي قائمة على ثوابت عقائدية في العنصر والمذهب والسلوك والتفكير لايستطيع ضمها أي عقد أو عهد أجتماعيين، في الحالة هذه لايستطيع الجهاز العصبي للفرد أن يستدل إلى السلوك السليم للتكيف السليم بغياب المشترك العام المحدد للقيم الواجب الألتــزام بهــا لتنظيم عملية البناء الأجتماعي، فالأرادة الجماعية ضرورة لعملية التهــذيب صــوب التكيف السليم، يتعلمها الفرد خلال نموه الجسدي والعقلي وســط الجماعــة، وتــؤدي الأرادة الجماعية ومجموعة القيم المشتركة عملية مهمة في تهــذيب تــصرفات وأراء الناخب والمنتخب، والعامل في الأجهزة القضائيةـوالتــشريعيةـوالتنفيذيــة، وبــذلك سنحصل على صورة حضارية لسوسيولوجيا الــسلطة والــسياسة بفــضل الــصورة الحضارية للمجتمع السياسي وهي غاية التكيف السليم.

---

23 أنظمة بافلوف – نظرية الأنماط – الفكر المعاصر – العدد ((٤٥)) لسنة ١٩٦٨ ص ص ٢٤ – ٢٥

التهذيب والأخلاق:

بقيت الأخلاق أسيرة البحث الفلسفي النظري تحت عناوين أهمها ((الخير-والفضلية، التي ترى أن عمل الإنسان يكون أخلاقياً أن أمتثل فيه لقاعدة سابقة الوجود أو لمثل أعلى النموذج السابق[٢٤] حتى طرح فلاسفة البحث مجموعة من ((الأخلاق الجاهزة)) ولكن معظم مفرداتها بعيدة عن أمكانية التطبيق، وظهر من يقول أن الأخلاق قد تختلف عن التقدم المادي والتطور التكنولوجي كمثل الذي يقف أمام نماذج من الأطلال ويتحسر عن تأخر "أخلاق" زمننا الحالي دون التأمل والبحث في أسباب قصور تفعيل الأخلاق وتهذيبها من الشوائب الفكرية والسلوكية الميتافيزيقية، وعصرنتها مع التغير التكنولوجي الذي أزاح قسماً كبيراً من جهد العمل البدني المضني ويتجه بأطراء نحو الأستخدام المباشر للقوة في تحديد المصادر المادية ، فلن تلتفت أغلب المجتمعات النامية لهذا التغيير الكبير لأسباب موضوعية لتواكب عملياً قيام منظومة أخلاقية جديدة ليست بالضرورة أن تكون ناسخة لجميع مفردات المنظومة السابقة بل لتزيل أو تصحح تلك التي تتعارض مع الحريات والحقوق الفردية المنضبطة مع الحقوق والغايات العامة، فالرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) أنشأ نباءً أجتماعياً قائماً على مبادئ الشريعة الأسلامية السمحاء بعد أن هذب منظومة القيم الأخلاقية السابقة للمسلمين قبل أسلامهم، فأزاح جزءاً منها وصحح جزءاً أخر وأقر جزءاً ثالثاً.

منظمة الأخلاق الأسلامية :

أذا أختلف الفقهاء في تفاسير أحكام القرآن الكريم وقسم من أحاديث الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) وظهرت بموجب ذلك المذاهب التي لاتحمل كامل الأنطباق ولكنها تحمل مشترك عام وهو منظومة من الطبائع والسلوكيات الأخلاقية المنسجمة مع جوهر المفاهيم الأخلاقية للحضارة الأنسانية وللمجتمعات الأنسانية في عموم المعمورة، وبالذات في الرسالات السماوية المعروفة، وجميعها تتفق على جملة من المبادئ نجدها صالحة جداً في عملية التهذيب في البناء الأجتماعي للديمقراطية وهندسة مكوناته، وهي:

١. البشر كلهم على أختلاف شعوبهم وألوانهم متساوون.
٢. للأنسان كرامه خصه الله بها وليس لأحد الحط منها أو أنتهاك حرمتها.
٣. كل فرد من البشر مسؤول لأنه مخلوق ((كائن أجتماعي)) ولا يعفى من المسؤولية أحد سواء أكان حاكماً أم محكوماً.

---

[24] سمير كرم – نحو أخلاق جديدة – الفكر المعاصر – القاهرة العدد ٤٥ لسنه ١٩٦٨ ص ٣٧ .

٤. المسؤولية نوعان، أحدهما مسؤولية في الحياة الدنيا، للفرد مع ذاته وللفرد مع الجماعة، المسؤولية الثانية فتقييمها في الحياة الآخرة[٢٥].

وهذه المبادئ عظيمة لأنها توفر الرادع الروحي داخل عقل وضمير الفرد بالجزاء والثواب لتصرفاتهِ وأفعاله وأفكاره، تعطي الرغبة الطوعية لتلقي عملية التهذيب التي نسعى اليها لهندسة المجتمع بصورة سليمة من خلال نظام الحريات الفردية وحقوقها وقد حدثنا التاريخ الأسلامي عن مدارس تهذيبية تعنى بالتنظيم الأخلاقي السلوكي بعد أن أنحرف عن التغير الطوعي الكامل للقرون الأولى الهجرية، فهذه مدرسة ((أخوان الصفا)) في العصر العباسي التي روجت إلى نبذ الخلافات المذهبية والأتجاه صوب المشترك الأخلاقي وأستندت اليه في التربية الاجتماعية وربطه بالعقل والتهذيب بعد أن عدوا المعرفة نوراً باطنياً يفيض من داخل الذات، وأن التربية نمو يتحقق داخل المضمون الأجتماعي[٢٦] فكانت منهجية متلاقية مع أبن خلدون ومن تبعه من الباحثين في مسائل تنظيم المجتمعات نحو التطور.

وبذلك وجدت الأحكام الربانية حين ذكرت العقل "٥١" احدى وخمسين مرة في القرآن الكريم وأحاديث الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيتهِ)) ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُ بعضه بعضاً)) ((لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه)) وغيرها الكثير في السياق نفسه ثم وجدت مدارس تتبنى نظم أجتماعية قائمة على فلسفة حركية أجرائية تخاطب عقل وضمير الفرد من أجل الحفاظ على السلوك السليم الذي لايغبن حقوق الآخرين ويحقق بيئة نفسية قوامها العدل والمساواة والتضامن فهيئت الرادع الروحي قبل الأعتماد على الرادع الجزائي للسلطة، بفضل التهذيب المتواصل.

الحرية والتهذيب:

أخذ مصطلح الحرية البعد الأستقلالي الذي يعني أن يكون الإنسان حراً وأن يكون منقاداً وفق ما يملي عليه العقل، وهكذا وجدت الحرية تعرف نفسها بأنها الأستقلالية، والفرد لكي يتمتع بحريته عليه أن يعترف بحرية الأخرين كما ينص عليه القانون والفرد الحر يطيع القانون الذي ساهم في تشريعه، فأكتسبت الحرية البعد القانوني، ولكون الحرية يدلل عن وجودها الدائم من خلال ممارسة الأرادة أصبحت

---

[25] لمزيد من المعلومات أنظر د. محمد عبدالله العربي – نظام الحكم في الأسلام – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الخرطوم – ١٩٦٨ ص ص ٨-٩ .

[26] لمزيد من المعلومات عن مدرسة أخوان الصفا – أنظر د. محمد جواد رضا – أئمة الفكر التربوي الأسلامي منشورات ذات السلاسل – الكويت – ١٩٨٩ ص ص ٩٣ – ٩٤ .

صفة الأختيار الحر هي التعبير الفلسفي الذي يطلق على الحرية، وأرتقت هذه الممارسة إلى مرتبة المسؤولية فأصبح الفرد كائن أجتماعي محكوم بالحرية[٢٧].

واليوم أصبحت الحرية ركيزة جميع النظم الديمقراطية بعد أن ناضل الأفراد من أجلها قرون عديدة، ليكونوا عقداً منظماً بينهم ينالون من مضامينه حرياتهم مقابل تنازلهم عن المطلق من هذه الحريات من أجل تمتع الآخرين بعين الحريات.

ولذلك لاتوجد حريات فردية مطلقة لأنها محدودة بألارادة العامة، والمطلق الذي تنازل عنه الأفراد هو الذي يحمل الأنحراف والشواذ لأنه متناقض في جوهره ولنفرض أشتهى شخصان شيئاً واحداً بعينه، فأن الصراع والقتال حاصل بينهما أذا ماتم أطلاق الحريات إلى خارج مدى الأرادة العامة والحريات العامة، أذاً التهذيب في الحرية ينصب بالتركيز على الفاصل لهذا المطلق الذي لايتحمله أي قانون مهما كان شاملاً أو واسعاً، لأن الحرية المسيطر عليها وفق القانون والأجراءات الاجتماعية الأخرى الطاعة لها طوعياً لاعبودية لأن الفرد يساهم في تشريع القوانين والسلطة التنفيذية لهذه القوانين سلطة منتخبة من قبل الأفراد، وأذا ما أستمر التهذيب ضمن المبادئ في ترشيد الرغبة الذاتية لأحترام قوانين وقيم الحرية الواقعة ضمن الحد الفاصل للحرية الفردية، ومحاصرة كافة السلوكيات والأفكار الفردية الهادفة لتقويض المشترك العام والأرادة الجماعية والحريات العامة، أي وجود تهذيب ذات شقين، شق يدفع الفرد للألتزام بنمط معين من الحرية الأيجابية، وشق يصرفه بعيداً عن نمط الحرية المطلقة المخلة بالبناء الأجتماعي الديمقراطي وبذلك يسير المجتمع نحو الأستقرار والتطور بعيداً عن التعصب والتفكك وتصدعات الأنحرافات السلوكية وفي الجانب السوسيولوجي للسلطة التنفذية والقضائية والتشريعية أوفي الجانب البنيوي للمجتمع[٢٨].

وظيفة التهذيب في النظام الديمقراطي:

الديمقراطية ظاهرة أجتماعية سياسية لاتسمح للفرد السوي بالأنعزال، بل مصالحه تدفعه للتفاعل مع الجماعة، والديمقراطية تقر الحريات والحقوق الفردية بل هي قائمة عليها، وهذا يعني أن المجتمع في الدولة الديمقراطية أخذ الكثير من مسؤوليات الدولة الشمولية وبذلك أصبحت وظيفة التهذيب الديمقراطي القيمي تقع على المجتمع وبالقدر القليل الذي يتعلق بالمؤسسات التربوية والتعليمية والصحية والأجتماعية والقانونية المرتبطة بمفاصل الدولة، فماذا يفعل المجتمع "المشروط بالتماسك والتمسك بخيار الديمقراطية".

---

27 أنظر هارفي بولاوت – الحرية بين العقل والقانون – ترجمة خضير عباس – الثقافة الأجنبية – بغداد – العدد الثاني لسنة ٢٠٠٦ ص ص ١٤٧ – ١٥٣ .

28 د. محمد جواد رضا – م. س. ذ. ص١٥٥ .

١. أمتلاك نظم وجمعيات ومراكز أجتماعية متغلغلة في الهرم الأجتماعي مختصة حسب حاجات الأفراد والجماعات .
٢. أمتلاك المعرفة الشمولية السياسية والأقتصادية والأجتماعية والمحلية والدولية، وبالذات تلك المتعلقة بالمعرفة العلمية التطبيقية المطلوبة مع التخصص الواسع في الجانب السوسيولوجي النفسي[٢٩].

واجبات هذه النظم:

١. جعل الشعور والأرادة الذاتية الطوعية هي محرك بالأنتماء الأجتماعي للفرد.
٢. متابعة مشاكل الأفراد ومحاصرة المحتاجين منهم للمساعدات النفسية أوالمادية بموجات من الرعاية والعطف منذ الولادة فترة رعاية الأمم الحاصل، وحتى مراحل تطور نمو حتى الكهولة والموت، وهذا يساعد في زرع نيات الفكر السليم في جهازه العصبي، وللعرب المسلمين سابقة حضارية في منهجهم التربوي في تطور الأنسان حتى قبل الولادة عند رعاية الأم الحامل ((من النطفة والعلقة والمضغة وما حصل له بعد ذلك)) الى كائن أجتماعي متميز عن الحيوان بوجود فكره النظري المتطور وفكره التجريبي ليميز الصالح من الأفعال فينال عليه الثواب وأن مارس المنحرف من الأفعال نال عليها العقاب، وأخطر هذه المفاسد تلك التي تلحق الضرر بحرية وكرامة الآخرين.
٣. نشر الفكر المعياري والمستوى المعياري داخل المجتمع ليتمكن الفرد من أتخاذ القرار الصائب لممارسة حرياته وحقوقه عند الحد الذي يعرفه جيداً وهو الحد الذي يتعلق بحريات وحقوق الآخرين[٣٠].
٤. ترسيخ مبدأ التبادلية في المنافع، فالفرد الذي لايساهم في تعزيز الأمن لايحصل عليه، والفرد الذي لايساهم في المضامين التعاونية لايحظى بالمساعدة والفرد الذي يشارك في عملية هدم البناء الأجتماعي يعزل عنه... الخ.
٥. أمتلاك الأحصاء القيمي والسلوكي المهذب للأفراد، لرفع الأفراد ذوي السلوك الحسن المقبول الى الأمام في مسائل الترشيح لمركز المسؤولية داخل المجتمع وسحب الأفراد من ذوي السلوك غير مقبول والمنحرف الى الأسفل بعيداً عن المكانة الأجتماعية المحترمة لتكوين عبرة وراادع للآخرين.

وهذا ما يفسر المجتمع الساعي لهندسة أجتماعية سليمة الى مراكز بحثية وأحصائية ونفسية وديمقراطية لدراسة الفرد والجماعة ونشاطهم وتفاعلهم.

---

29 عادل ظاهر – الأسس الفلسفية للعثمانية – دار الساقي بيروت ١٩٩٨ ص ٣٧٤ .

30 أنظر د. أحمد زايد – سيكولوجية العلاقات بين الجماعات – عالم المعرفة العدد ٣٢٦ لسنه ٢٠٠٦ ص ص ١٠٦ – ١٠٧ .

في تحديات ستراتيجية التهذيب:

هناك صعوبات وتحديات تواجه عمليات التهذيب القيمي الديمقراطي للفرد، أبرزها:

١. مجموعة القيم الرأسمالية

في الأقتصاد والسياسة ومسائل الأمن القومي التي ألقت بظلالها وأربكت المجتمعات الأنسانية العريقة في تبني وتطبيق الديمقراطية ورعاية حريات وحقوق الأفراد من بلورة علاقات دولية متينة قائمه على مبادئ تضامنية في رعاية هذه الستراتيجية، ولم تؤشر تحليلات السياسات الخارجية لهذه المجتمعات في التعامل الدولي وجود سياسة خارجية ذات سمات ليبرالية عالمية، بل أشرت بأن النشاط السياسي الخارجي كان دائماً أسيراً لمتطلبات الأمن القومي والأقتصاد الوطني وسياسة المحاور المستندة على دوافع الهيمنة والنفوذ، لذلك يلاحظ الباحثون وجود تهذيب داخلي للأفراد على أحترام حريات وحقوق الأفراد بشكل طوعي، لكنهم يجدون أهمالاً واسعاً عند تعامل النظم السياسية لهذه المجتمعات مع المجتمعات الأخرى أنعكس هذا على بروز مسببات أدت الى ظواهر الكره والبغض حتى الأستخدام المفرط للعنف بين مجتمع يشعر بالغبن والأضطهاد تجاه مجتمع أخر متهم بممارسة الأذى والأضطهاد، وعلى الرغم من أننا نجد منظمات عالمية مستقلة قليلة صادقة في تضامنها مع كل الشعوب، غير أن ذلك لايكفي ليجعل الرهان على عمل ستراتيجية التهذيب في الطار المحلي وضمن الكفاءة والأداء الداخلين نأخذ الأهمية الأولى في بناء تماسك أجتماعي دولي حول قيم مشتركة هو الخيار الأول.

٢. ثقافة التعصب:

لثقافة التعصب التي تخاطب الجهاز العصبي للفرد جذور متأصلة تنتشر في الجماعات المتعصبة، والحقيقة أن التعصب ينمو في ظل ظروف أجتماعية ونفسية معينة ، يعيشها أفراده تعمل على أنتشار ثقافة التعصب وتشكل تحدياً لأستراتيجية التهذيب التي تسعى لتشكيل هوية أجتماعية جامعة لجميع الكتل البشرية المتميزة بعادات وتقاليد وأفكار معينة.

أسباب توسع ظاهرة التعصب:

١. وجود أختلاف وتباين عرقي ومذهبي وثقافي بين الجماعات التي تكون المجتمع.
٢. خوف الجماعات النافذة من تسلل أفراد ذات ميول ورغبات مختلفة عن ميولهم ورغباتهم مما يؤثر في أمتيازاتهم.
٣. التغيير السريع داخل المجتمع الذي يظهر أختلافاً ملموساً في مجموعة النظم والمؤسسات الأجتماعية والقيم التي يؤمن بها الفرد، يصاحب ذلك قلق

وعدم أتزان والخوف من المجهول مما يدفع الأفراد الى التعصب ضمن عصبة معينة.

٤. غياب لغه الحوار الحضاري والعقلي بين الجماعات.
٥. الجهل وعدم توفر كامل المعلومات المتعلقة بالجماعات الآخرى.
٦. توظيف القليات العرقية والمذهبية لأمور سياسية وأقتصادية من قبل قوى خارجية بعيدة عن المجتمع.
٧. الدفاع عن بقاء العصبة خوفاً من التذويب والأحتواء والتهميش.
٨. غياب طروحات القيم المشتركة التي تشكل قبولاً عاماً مشتركاً.
٩. غياب سياسة تهذيب الأعلام نحو نبذ ثقافات التعصب، فقد وجد الباحثون أن الأفراد الذين يتصفون Stereotypes
١٠.وجود الأفكار النمطية بالتفكير النمطي الجامد يميلون الى التعصب التسلطي وعدم التسامح مع السلالات أو الجماعات الآخرى[٣١].

وكل هذه الأسباب وغيرها ممن تربك حركة المجتمع التعاونية وتقوض تماسكه تدفعنا الى حقيقة وهي ضرورة الأمعان في الأستمرار لتبني ستراتيجية التهذيب في ترسيخ القيم الديمقراطية الأنسانية المشتركة لضمانه لتمتع الأفراد بحرياتهم وحقوقهم وماعلى الدراسات الأجتماعية المتعلقة بالتصنيفات ومسائل الهوية والعلاقات المنتظمة أو غير المنتظمة الأجتماعية إلا الأقرار بذلك.

الخاتمة:

الشعب الذي يحدد خياره الحياتي بالديمقراطية، عليه أن يعلم أن لهذا الخيار مدلول بنيوي أجتماعي قائم على بناء ديمقراطي دعامته الحريات والحقوق الفردية، والكتل التي تؤلف المجتمع الكامل، لايكفيها أدعاء الديمقراطية فقط، بل عليها الألتزام بأحترام القاسم المشترك لجميع الكتل في تفاعلهم وعلاقاتهم وهو مجموعة القيم الديمقراطية، وعكس ذلك سيتحول المجتمع الى عصبيات وثقافات متنافرة لاعلاقة لها بالمجتمع الديمقراطي الموحد وليعلم الفرد الذي ينتمي إلى أية كتلة أجتماعية بأن الله سبحانه وتعالى منحهم حقوقاً طبيعية وكرم أنسانيتهم بها جميعاً، وأجتهدت المجتمعات الأنسانية لتطوير هذه الحقوق التي تخص الأنسان بموجب المتغيرات الحياتية، فمنحته حريات وحقوق شخصية كونه كائن أجتماعي يتفاعل ويتعاون مع أخيه الأنسان الأخر، فعليه وعلى الفرد الأخر الأجتهاد في أحترام القوانين الوضعية التي ساهموا في تشريعها التي تمنح هذه الحريات والحقوق المترتبة عليها للأفراد، فأذا كان يجهل ذلك ويدعي الرغبة في الديمقراطية فعليه الخضوع لعملية تهذيب ينظمها المجتمع له ولمن

---

31 أنظر د. أحمد زايد – سيكولوجية العلاقات بين الجماعات م. س. ذ. ص ص ٨٢ – ٨٣ .

مازال يدور ضمن ثقافة التعصب لكتلهِ وأذا رفض عليه التوجه برغبته في نظام شمولي أو أستبدادي أو ملكي أو أي نظام بعيداً عن مسميات الديمقراطية الحقيقية، لأن الديمقراطية الساعية لبناء مجتمع العدل والمساواة والحريات الفردية والعامة لها قيماً خاصة بها تسعى دائماً لتحقيق هدفين أساسيين أولهما: سلامة هندسة البناء المجتمعي الديمقراطي والمحافظة عليه وتطويره، وثانيهما: ضمان تمتع الأفراد بحرياتهم وحقوقهم.

ولصعوبة الحصول على كامل الضمان من خلال تطبيقات القوانين والأنظمة الوضعية لسرعة المتغيرات والتعقيدات الحياتية التي لاتستطيع النفاذ الى الأجهزة العصبية للأفراد والحصول على الألتزام الطوعي والروحي جاءت الحاجة الى تبني ستراتيجية تهذيبية طويلة الأمد للحصول على عين الهدف.

المجتمع الاسرائيلي "دراسة في النشأة والتكوين"

المدرس المساعد
سعد حميد ابراهيم(*)

نحاول في هذا البحث تقديم تحليل لطبيعة عناصر تكوين المجتمع الاسرائيلي والتفاعلات فيما بينهما. وانطلاقا من حقيقة كون هذا المجتمع ذا تركيب خاص قائم على استقدام المهاجرين اليهود ومحاولة صهرهم في بوتقة واحدة اذا لابد من الاطلاع على تركيبة هذا المجتمع ودراسة بنيته الاجتماعية

ويجري تناول ذلك من خلال مبحثين

المبحث الاول: من المجتمع التقليدي الى المجتمع الحديث .

المبحث الثاني: البنية الاجتماعية و(الدولة).

المبحث الاول

من المجتمع التقليدي الى المجتمع الحديث

ان تكوين المجتمع الاسرائيلي في فلسطين جاء نتيجة لجهود الحركة الصهيونية التي ظهرت في اوربا الشرقية والوسطى وذلك في اوخر القرن التاسع عشر. والتي زعمت ان الحياة في ظل المجتمعات الاوربية الحديثة من شانها ان تجعل اليهود يتمزقون بين السحق الروحي والحضاري الذي سيترتب على نسف حياتهم التقليدية والمجتمعية تحت وطات التنظيمات الاقتصادية والسياسية الحديثة عن طريق الاندماج التام في المجتمع. ومن هنا زعمت الصهيونية انه في فلسطين فقط يمكن ان ينشأ مجتمع يهودي حديث.

هذه هي الفرضية التي يحاول هذا المبحث تناولها لتحليل عمليه انتقال الجماعات اليهودية من اطار الحياة التقليدية الذي عاشته في كنف مجتمعاتها الاصلية الى مرحلة التحديث التي شهدتها اوربا بدأ من القرن السادس عشر. ويجري البحث فيها على ضوء الخطوات الآتية:

اولا: السمات الاجتماعية للجماعات اليهودية في اوربا.

ثانيا: السمات الاجتماعية العامة لليهود في الاقطار العربية.

ثالثا: الانتقال من المجتمع التقليدي الى الحديث.

(*) كلية العلوم السياسية – الجامعة المستنصرية

أولا: السمات الاجتماعية العامة للجماعات اليهودية في أوربا:

نشأت الصهيونية ونمت بين يهود روسيا وبولونيا وباقي دول أوربا الشرقية. خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر. حيث كانت تعيش آنذاك أكثرية اليهود في العالم. فما هي أوضاع اليهود في هناك تلك الفترة؟ ان روسيا القيصرية. التي وجدت نفسها. بعد تقسيم بولونيا–عام ١٧٩٥ للمرة الثالثة بين جاراتها الثلاث روسيا وألمانيا والنمسا–تحكم مئات الآلاف من اليهود. وهي التي كانت تمنعهم. رسميا على الاقل. من السكن في مناطق معينة فيها. اختطت لنفسها طرقا لتعامل معهم. تختلف عن تلك التي اتبعتها اوربا الغربية. وكان اول واهم اجراء اتخذته في هذا المجال منع اليهود الذين كانوا يعيشون على الراضي البولونية التي ضمت لها. من ترك مناطقهم الاصلية. والانتقال للعيش في مناطق اخرى من رسيا. واجبرتهم على البقاء في تلك المناطق. فخلقت بذالك ما عرف فيما بعد باسم "منطقة الاستيطان "التي رسمت حدودها نهائيا عام ١٧٩٥. وبقيت قائمه لمدة ١٢٢ سنة. حتى نشوب الثورة الروسية عام ١٩١٧. وسرعان ما تحولت" منطقة الاستيطان" هذه الى غيتو[1] حي مغلق تحيط به الجدران العالية والاسوار– الدخول والخروج منها محدوداً ان لم يكن معدوماً. تسكن فيه الاقلية الدينية اليهودية. وفي معظم الاحيان كان مفروض من قبل الحكام او من قبل الاغلبية على اليهود وخاصة في حالة يهود شرق أوربا).

فالدين ورجاله وجدو في هذا الوضع ضمانا لعدم الانصهار والذوبان–ومن ثم–ضياع اليهودية ديناً وثقافة. كما كان العداء خارج الاسوار (سواء حقيقة او تصوراً) من اهم عوامل التضامن والجماعية داخل الاسوار. ومن اهم العوامل التي ربطت الفرد بالمجموع فالاول كان اعتماده كلياً على الثاني لتحقيق حاجاته المادية والاجتماعية والنفسية. وبلا المجموع لم يكن للفرد أي بديل غير عالم عدواني خارج الاسوار.

هذه الحقيقة كانت من اهم اسس الضبط الاجتماعي داخل "الغيتو"[2]. ومما لا شك فيه ان هذه الظروف قد ساهمت في جعل اليهودي في ((الغيتو)) يعيش تحت وطأة بناء فوقي تراكم جيلاً بعد جيل. يؤكد له ان المتفوقين المتفردين المختارين وقد أدى وجود اليهودية داخل "الغيتو"الى تقوية النزعة الانعزالية[3]. ومما لا شك فيه أن هذه النزعة الانعزالية وفشل عملية اندماج اليهود بمجتمعاتهم قد اعطت دفعاً تبريرياً كبيراً

---

[1] صبري جرجيس. تاريخ الصهيونية ـ١٨٦٢ ـ١٩١٧. الجزء الاول. مركز الابحاث-منظمة التحرير الفلسطينية. بيروت. ١٩٧٧ .ص٣١.

[2] د. سعد الدين ابراهيم. في سيوسيولوجية الصراع العربي-الاسرائيلي. دار الطليعة. بيروت ١٩٧٣. ص ١٠٤.

[3] د. جورجي كنعان.سقوط الامبراطورية الاسرائيلية. دار الطليعة. بيـــروت.١٩٨٠. ص ٩٣.

للصهيونية . فقد صعدت الحركات الدينية من حب اليهود "لارض اسرائيل". وصعدت من الكرُه للآخرين وزادت من حدة " النزعة القومية".

ومما يجب الاشارة اليه فان محاولات عديدة جرت لكسر هذه العزلة.. غير ان هذه المحاولات التي رمت الى "الاصلاح الديني" بين اليهود لم تتمكن من التأثير في جماهير اليهود. ولا في العناصر التقدمية منهم. كما ان فكرة اتخاذ "المعبد اليهودي"- الكنيس-اداة للترويس لم تنجح بسبب اخفاق "الحاخاميين الحكوميين في ان يكونوا لانفسهم جذوراً بين يهود روسيا . وقد فشلت ايضاً المحاولات الرامية لاصلاح ((اليهودية)) وتكييفها لحاجات العصر.لان اغلبية اليهود -شيوخاً وشباناً-لم يكترثوا لها كثيراً[4].

وما دعم هذه الانعزالية. وضع اليهود كاقلية اقتصادية تقوم باعمال. تجارية ومالية معينة. حيث كان المجتمع الاوربي. مولفاً من طبقتين: النبلاء والاقطاعيون. الذين يملكون كل شيء. والحرفيون والفلاحون. الذين لا قدرة لهم على الاشتغال بالتجارة. ولا قدرة على الاطلاع بالوظائف المالية. التي احتكرها اليهود. والطبقتان كانتا بحاجة الى خدمات المرابي. والى البائع المتجول. والى المقرض والممول اليهودي. والى وكيل في المزارع الاقطاعية يجمع الايرادات والضرائب من الفلاحين. ولهذا ظل اليهود مسيطرين على الحياة الاقتصادية والشؤون التجارية والمالية في اوربا.

وكان هذا سببا اساسيا من اسباب العداء والكراهيه بين الجاليات اليهودية وبين طبقتي النظام الاقطاعي[5] ومن الطبيعي انه كلما ازداد التوتر والعداء في علاقات اليهود بالشعوب التي يعيشون معها. كلما ازدادوا محافظة على خصائصهم المميزة. وانعزالهم. ومن ثم اعطى ذلك دفعا كبيراً للحركة الصهيونية.

لقد ظل اليهود يسيطرون على قطاعات واسعة من الاقتصاد. في اوربا الشرقية. حتى اواسط القرن التاسع عشر. حين بدأت التطورات الاقتصادية والاجتماعية في اوربا الغربية. تتسرب الى اوربا الشرقية. وتترك اصداءها في جميع مجالات الحياة فيها .وفي وقت بدأت فيه طبقة تجارية وصناعية ومحلية. تنمو باضطراب وسرعة وتعمل بنموها واتساعها على تقويض دعائم النظام القطاعي السائد. أي تقويض دعائم النسيج الاجتماعي الذي كان اليهود يعيشون فيه. مما ادى

4 نجدة فتحي صفوت. ((اليهود في روسيا القيصريه من الاندماج الى القومية)). مجلة مركز الدراسات الفلسطينية. بغداد. العدد ٤. ايلول -١٩٧٣ ص ص ١١٢ -١١٣. ولتفاصيل هذه المحاولات انظر: المصدر نفسه. ص ص ١٠٩-١٢٠ .

5 صبري جرجيس. المصدر السابق. ص ٩٥.

الى اقتلاعهم التدريجي من مواقعهم الاقتصادية والتقليدية. والى ضرب الوظيفة الاجتماعية التي كانوا يقومون بها . على مدى قرون[٦].

وقد ادت هذه التحولات الى حركة هجرة يهودية واسعة من اوربا الشرقية الى مناطق مختلفة من العالم. ويعزو بعضهم سبب ذلك الى العامل الاقتصادي والرغبة في تحسين الاوضاع الاقتصادية بانه كان الدافع الرئيسي والمباشر في هذه الهجرة وان اعمال العنف لم تؤدي الا دوراً ثانوياً جدا في دفع اليهود الى الهجرة وحجة اصحاب هذا الرأي هي. ان الهجرة اليهودية انطلقت منذ الثمانينات من القرن التاسع عشر من المناطق الشمالية الغربية في روسيا القيصرية. ليتوانيا ولاتيفيا واستونيا والمناطق البولونية. وهي المناطق الجنوبية .لابل يشار الى انه حدث تيار هجرة يهودية داخلي من المناطق الشمالية الى المناطق الجنوبية .فقد انطلق التجار نحو الجنوب فيما انطلق الحرفيون المهرة نحو اوربا وامريكا[٧].

والمادة المعروفة عن هذا الموضوع تبرز. انه في الفترة مابين ١٨٨١ و١٩١٤ هاجر من روسيا وبولونيا نحو ٢,٦٥ مليون يهودي وتوجه نحو مليونين منهم الى الولايات المتحدة و٣٥٠ الفاً الى اوربا الغربية و٢٧٠ الفاً الى باقي بلدان العالم. و٥٠ الفاً فقط الى فلسطين. نزح مايقرب من نصفهم خلال الحرب العالمية الاولى[٨].

ويتضح من ذلك. ان دوافع الهجرة كانت اساساً بسبب اوضاع اقتصادية ومعيشية سيئة صاحبتها ضغوط اجتماعية (اعمال عنف) ولم تكن الدوافع الصهيونية السياسية الا عاملاً ثانويا في عملية الهجرة تلك .ذلك لأن نسبة المهاجرين الى فلسطين وفق الارقام السابقة لاتتعدى ٢% من مجمل المهاجرين حينذاك. وعلى الرغم من ذلك فان الصهيونية قد استغلتها لتحقيق اهدافها فقد ارسى اولئك المهاجرين اسس المشروع الصهيوني في فلسطين.

اما فيما يتعلق باوضاع اليهود في اوربا الغربية فأن السمة العامة الاساسية لحياتهم الجتماعية ان اوضاعهم كانت مريحة وكان ذلك من اسباب التي ادت الى عدم انتشار الصهيونية بينهم في مرحلة لاحقة على نطاق واسع وبقيت محصورة في قسم صغير منهم على الرغم من عدد من الزعماء والمفكرين الصهيونيين خرجوا من بينهم[٩].

---

[6] د. جورجي كنعان. المصدر السابق . ص ٩٧.

[7] سلافه حجاوي. اليهود السوفيت-دراسة في الواقع الاجتماعي. مركز الدراسات الفلسطينية-جامعة بغداد. ١٩٨٠. ص ص ٥٠-٥١.

[8] د. جورجي كنعان . المصدر السابق . ص ٩٧.

حول تفاصيل اعمال العنف انظر : سلافة حجاوي . المصدر السابق . ص ص ٤٦- ٥٠ .

[9] صبري جريس. المصدر السابق . ص ص ٢٥-٣٠ .

وكان من العوامل التي ساعدت على ذلك قيام الثورة الفرنسية ١٧٨٩. باعلانها لحقوق الانسان السياسية وحق المواطن في اعتناق المذهب الديني الذي يشاء شريطة الا يقف ذلك حجر عثرة في ولائه للدولة والمجتمع الذي يعيش فيه وقد سرى مفعول تلك المبادئ التحريرية ونطاقها الانساني الشامل على اعضاء المجتمعات الاوربية من معتنقي الديانة اليهودية ووضعهم على قدم المساواة مع غيرهم من المواطنين[10].

ان حركة الانعتاق اتاحت لليهود فرصة التصالح مع العالم والمضي في ممارسة الحقوق والواجبات المدنية التي لا تتعارض مع التراث الديني الذي شذبة العقل وعده مذهبا اخلاقيا ساميا في تعاليمة الجوهرية. ومع قبول اليهود بالمساواة الانسانية الشاملة وتخليهم عن اسطورة "الاختيار الالهي" والشعور الاستعلائي الضيق بانهم يختلفون عن سائر البشربانهم يقفون في واد وباقي الانسانية في واد ويحتكرون الالام والمعاناة والتشرد لانفسهم. مع ذلك القبول. اخذت حركة الانصهار والذوبان تقوى وتنتشر وتفعل فعلها حتى انحسر سلطان التقليد الديني وبقيت معظم التصورات التقليدية حول طبيعة التاريخ اليهودية وهدفه ومغزاه[11].

واطلق على هذه الحركة (باليهودية الاصلاحية) والتي تجعل في مظاهر عديدة . اشتراك في صياغتها .الحاخامات وكبار المفكرين اليهود. ويورد الاستاذ محمد محمود ربيع في مؤلفه (ازمة الفكر الصهيوني المعاصر) امثلة عديدة على ذلك: في عام ١٨١٨ اوصى الحاخام اسرائيل ياكوبسن في هامبورج باستعمال الارغن في المعبد واداء الاناشيد الدينية باللغة الالمانية . وسبق ذلك اجراء اخر نص على ان يحذف من جميع الصلوات كل ما يذكر اليهود بصهيون.. ثم قرر مؤتمر فرانكفورت عام ١٨٤٥ ازالة صلوات ((العودة الى ارض الاباء والاجداد واعادة تاسيس الدولة اليهودية)). ولعل من اصرح ما اتخذ من قرارات في هذا الشان ما اقره المؤتمر ألحاخامي الخامس بمدينة بتسبورج عام ١٨٨٥ الذي يقول ((نحن لا نعتبر أنفسنا امة بعد اليوم . بل جماعة دينية ولذا لا نتوقع عودة الى فلسطين او عبادة قربانية في ظل ابناء هارون. ولا استرجاع لأي من القوانين المتعلقة بالدولة اليهودية .. ان امريكا هي صهيوننا))[12].

---

[10] د. اسعد رزوق . نظرة في احزاب اسرائيل. مركز الابحاث. منطقة التحرير الفلسطينية، بيروت . ١٩٦٦ . ص ٤٥ ـ٤٦ .

[11] د. اسعد رزوق . نظرة في احزاب اسرائيل. مركز الابحاث . منظمةالتحرير الفلسطينية .بيروت ١٩٦٦. ص٤٥-٤٦ .

[12] د. محمد محمود ربيع .ازمة الفكر الصهيوني المعاصر. دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧١ ،ص١٤ - ١٦.

ويبدو من دراسة البيئة الاجتماعية لليهود في اوربا الشرقية والغربيــة. ان الوعي بوجود الصلة بفلسطين ضعف كثيرا في بلدان اوربا الغربية. بينما كانت حالة الضعف والصعوبات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي عانى منها يهود اوربــا الشرقية وراء استجابتهم للفكرة الصهيونية بالدرجة الأساس.

إذا كانت الظروف الموضوعية المحيطة باليهود وأوضاعهم الذاتية. خــلال القرن التاسع عشر في اوربا. من العوامل التي استفادة منها الصهيونية. فــان هنــاك عوامل اخرى لا تقل اهمية عنها ساهمت في تكوين الحركة الصهيونية من ابرزها:

- **تبلور الفكر القومي في اوربا مرتبطة مع اتساع نفوذ الاستعمار الاوربي.**

فقد امتازت اوربا. خلال القرن التاسع عشر. بانتشار الفكرة القوميــة فيهــا وبنشوب العديد من الانتفاضات والثورات. ثم حصول عدد من شعوبها على استقلالها أو توحيدها وإقامة دولة على أساس قومي. ان تلك التطورات قد اثرت في الكثيرين من مفكري في غرب اوربا وشرقها. ان تاثرهم بتلك التطــورات كــان كبيــراً. وان معظمهم ان لم يكن كلهم. اقترحوا حلول للمسألة اليهودية وفي ذهنهم تلك التي اتبعتهم الشعوب الوربية[١٣].

وما دامت الدول الاوربية القائمة على اساس قومي. اقامت دول عديدة منها المستعمرات في اسيا وافريقا وفرضت سيطرتها على شعوب تلك البلدان. فقد اثار ذلك احلام اليهود ودعاهم لطرح تسأول عن امكانية اقامة كيان خاص بهم في تلك المناطق. لحل مشاكلهم الذاتية من جهة. وتجنب الازمات في علاقتهم مع الشعوب الاوربية من جهة اخرى.

فعلى سبيل المثال. ليون بنسكر (١٨٣١- ١٨٩١) الذي اعتنق اثر مــذابح ١٨٨١. النزعة القومية اليهودية قال: ((لايمكن ان نحلم باعأدة اســرائيل القديمــة ولا يمكن ان نظل هناك ما انقطع وتهدم بقسوة من حياتنا السياسية. يجب الا يكون هــدف جهودنا "الارض المقدسة "بل ارضنا" ولا يلزمنا سوى ارض واسعة تــضم اخواننــا العاثرين. ارض تبقى لنا ولا يستطيع أي سيد غريب ان يطردنا منها. وقد يمكــن ان تصبح "الارض المقدسة" وطننا. وهذا خير. ولكن المهم قبل كل شيء ان نقرر أي بلد يمكن ولوجه))[١٤].

ان تشكيلة اسرائيل هو نتيجة لتطور يمكن ادراجه تماما في حركة التوســع الاوربية الامريكية في القرنين التاسع عشر والعشرين للسيطرة اقتصاديا وسياسيا على الشعوب الاخرى. وضمن اطار المصالح المتبادلة اقتصاديا واستراتيجيا اذ قامت العديد

---

[13] صبري جريس . المصدر السابق . ص٤٥ .

[14] مكسيم رودنسن. اسرائيل واقع استعماري.ترجمة احسان الحصني.وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي. دمشق. د. ت.ص ٢٣.

من الدول الاوربية الاستعمارية بتشجيع الحركة الصهيونية على انشاء ما يدعى (بالوطن القومي اليهودي) من امثلة هذه الدول. فرنسا والمانيا وبريطانيا. انطلاقا من مصالحها الاستعمارية .علاوة على ذلك حاول الصهاينة انفسهم اثارة انتباه هذه القوى الاستعمارية على المكاسب التي من الممكن ان ينالوها في حالة مساندتهم لاقامة مثل هذا ((الوطن)).

ومن العلامات البارزة على الاصول الاستعمارية للحركة الصهيونية هي كون الصهيونية جاءت كتعبير عن المصالح المالية لكل من: الرأسماليين اليهود الكبار والبرجوازية اليهود العليا والمتوسطة. المصالح الاقتصادية للبرجوازية العليا الاوربية وقد كان ارتباط الاستعمار الصهيوني بالاستعمار العالمي وثيقا جد[١٥].

ثانياً: السمات الاجتماعية العامة لليهود في الاقطار العربية:

لقد كانت حياة اليهود في البلاد العربية تختلف في كثير من النواحي عن تلك التي عاشها اليهود في اوربا داخل اطار (الغيتو) ذلك لان: هؤلاء اليهود الساميين الذين عاشوا في اطار الخلافة العربيه ودويلاتها. والتي امتدت من المحيط الاطلسي حتى الخليج العربي. وفي الاندلس (اسبانيا) لم يعد لهم ما يميزهم جوهريا وقوميا. عن العرب. وفي اطار العروبة هذا كان يعيش ويتعايش وينتج ماديا وثقافيا المسلمون والمسيحيون واليهود والصابئة وغيرهم من اصحاب المذاهب والمعتقدات. والحضارة التي تجسدت في تراثنا العربي. والتي اسهمت في بناء عصر النهضة والبعث والاحياء في اوربا. انما هي حضارة عريقة اسلامية ساهم فيها كل هؤلاء[١٦].

ان اية دراسة واعية لتأريخ اليهود في ظل الحضارة العربية. توضح حقيقة اساسية مفادها. ان اليهود على الرغم من قلتهم العددية كانوا دوماً جزءاً متمما لسكان البلاد. امتزجو في حياة البلاد العامة. باللغة والتقاليد والعادات واسلوب التفكير وظروف الحياة القتصادية والاجتماعية والسياسية. وهذا امر لم يتوفر لليهود مع أي من الحضارات الاخرى او مع أي من الشعوب الاخرى على مدى التأريخ اليهودي الطويل[١٧].

ان هذه الخاصية يكاد يتفق عليها الباحثون في دراسة اوضاع اليهود في البلاد العربية. ومع ذلك. فقد حاول بعض الباحثين الغربيين ابراز الجوانب السلبية في

---

15 حول العلاقة بين الحركة الاستعمارية والاوربية والحركة الصهيونية انظر : ستيفن هالبورك .الاصول الطبقية للعقيدة الصهيونية . مجلة الدراسات الفلسطينية . بغداد .العدد الاول .المجلد ٣ .كانون الثاني ١٩٧٤ .ص ص ١٠٢ـ ١٤١ .

16 محمد عمارة . اسرائيل هل هي سامية . دار الكاتب العربي . القاهرة . د . ت ص٥٧ .

17 د. علي ابراهيم عبدة . وخيرية قاسمية . يهود البلاد العربية . مركز الابحاث منظمة التحرير الفلسطينية . بيروت . ١٩٧١ .ص ٧ .

معاملة غير المسلمين خلال فترات قصيرة شاذة من التاريخ الاسلامي للبرهنة على اضطهاد الحكام المسلمين لاهل الذمة(*). غير ان هذه المحاولة تبدو محاولة ظالمة لانها تتجاوز قرونا من التسامح. وتركيز البحث على فترات قصيرة شاذة لايمكن للباحث المصنف منها انموذجا عاما مطلقا[١٨].

السمة الاخرى هي ان هجرة اليهود من الاقطار العربية الى فلسطين قدكانت نتيجة لنشاط الحركة الصهيونية ولجوءها الى اعمال العنف لحث اليهود على الهجرة.

فعلى سبيل المثال ان الوثائق التي عثرت عليها اثبتت وجود منظمة صهيونية للتجسس والارهاب في العراق هي التي كانت مسؤولة عن حوادث القاء القنابل على المؤسسات ومراكز التجمع اليهودية. هذا الحال ادى الى المبادرة بالهجرة الجماعية[١٩].

وفي هذا الجانب يمكن ايراد كلام لبن غوريون في هذا المعنى. فقد صرح عام ١٩٥٢ لصحيفة يهودية في نيويورك بالقول: ((انني لا اخجل من الاعتراف بأنني لو كنت املك. ليس فقط الارادة بل القوة. لانتقيت مجموعة من الشباب الاقوياء والاذكياء والمتواضعين والمخلصين لافكارنا. ولارسلتهم الى البلدان التي بالغ فيها اليهود بالقناعة الآثمة (يعني رفض الهجرة الى اسرائيل). وستكون مهمة هؤلاء الشبان ان يتنكروا بصفة اناس غير يهود . ويرفعوا شعارات معاداة السامية.

انني استطيع ان اضمن انه من ناحية تدفق المهاجرين الى اسرائيل من هذه البلدان سوف تكون النتائج اكبر بعشرات الالاف من المرات التي يحققها المبعوثون الذين يبشرون بمواعظ عديمة الجدوى))[٢٠].

ومن ذلك يبدو ان معاداة السامية ليست حركة ضد اليهود. بل هي سلاح في ايدي التنظيمات الصهيونية تشهره بوجه من يريدون ان ينالوا منها . والمتتبع لاستعمال الصهيونية لهذا المفهوم-معاداة السامية واللاسامية-يخرج بنتيجة ((ان اللا

(*)اهل الذمة : اصحاب الكتب السماوية من اليهود ونصارى وغيرهم في داخل الدولة الاسلامية . كانوا يتمتعون بحق الاحتفاظ بتنظيماتهم الدينية ودور عباداتهم وحق اقامة المراسيم والشعائر الدينية الخاصة بهم . على ان يدفع رجالهم القادرون على حمل السلاح فقط ضريبة طفيفة تسمى (الجزية) مقابل حماية اموالهم واعراضهم وممتلكاتهم من جهه وبعدم مساعدتهم لاعداء المسلمين من جهة اخرى

18 د . خلدون ناجي معروف " يهود العراق " في " يهود الاقطار العربية . سلسلة دراسات فلسطينية(٢٣، مركز الدراسات الفلسطينية ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ٢٥).

19 خلدون ناجي معروف الاقلية اليهودية في العراق بين سنة ١٩٢١ . ١٩٥٢ الدار العربية للطباعة والنشر بغداد ١٩٧٦ الجزء الثاني ص ١٦٩ . وايضا انظر : صادق حسن السوداني . النشاط الصهيوني في العراق ١٩١٤ / ١٩٥٢ .منشورات وزارة الثقافة والاعلام بغداد ١٩٨٠ . ص ص ٢٢٢ ـ ٢٣٨

20 نصر شمالي، افلاس النظرية اليهودية . منشورات فلسطين المحتلة . بيروت ١٩٨١ ص ١٥٤

سامية اصبحت تعني اللاصهيونية ولا شيء غير ذلك))[٢١] بمعنى اشارة بوجه أي اتجاه رافض او معادي او غير مؤيد للصهيونية كفكرة وكحركة . حيثما كان حتى ولو كان من داخل (اسرائيل).

ثالثاً: الانتقال من المجتمع التقليدي الى التحديث:

يتضح مما سبق فيما يتعلق بدراسة سمات الجماعات اليهودية في البلاد الاوربية (بيئة الحركة الصهيونية) ان هذه الجماعات اتسمت حياتها الاجتماعية بأهم السمات العامة التي تميز المجتمعات التقليدية التي يذكرها الباحثون في علم الاجتماع السياسي وهي:

١- المجتمع البدائي او التقليدي قلة في الادوار التي يقوم بها الافراد في مجتمعهم وينعدم فيها التخصص.

٢- انعزال عن العالم الخارجي .

٣- الاعتقاد في قيم وعادات موروثة ومن ثم عدم الرغبة في التجديد[٢٢].

ولكن مع التغيرات التي حدثت في اوربا باتجاه مسار التحديث. الذي هو من الناحية التأريخية: عملية التحول في اتجاه الانساق الاقتصادية والاجتماعية . والسياسة في اوربا الغربية.. وامريكا الشمالية . ونمط تغيرها من الفترة من القرن السابع عشر حتى التاسع عشر[٢٣]. هذه التغيرات كان من شأنها. خلق شروط تشكيل الدولة- الامة الحديثة. والتي تبدو كما وصفها بارسونز. بمنزلة الشكل الاكثر اكتمالا للنسق السياسي. والذي يمتاز باكثر الشروط الملائمة لنشاطة السياسي الفعال. والذي يفترض. لتحقيق تحقيقا كاملا، الانطلاق الكامل للنمو الاقتصادي وعلمنة المجتمع. وفي مثل هذه الظروف تكون الدولة حاملة عدد من المواصفات التي يعدها بارسونز. ملائمة لها. انها اولى الوظائف.. ولم تفرض تاريخيا الا كحل لغياب اندماج المجتمع بكامله: علاوة على ذلك هي دولة الحق الناجم عن تكوين نسق من القوانين والذي يسند مشروعيته الى مبدأ الشرعية . ولايمكنها الا تكون اخيراً دولة ديمقراطية لا يمكنها التطور الا انطلاقاً من المؤسسة البرلمانية ومن مبدأ المواطنة وهما يظهران كليهما كشرطين مسبقين ضروريين لتمييز النسق السياسي عن باقي الانساق الاجتماعية[٢٤].

---

[21] عبد الوهاب الجبوري .اللاسامية في الفكر الصهيوني - الجذور التاريخية والاهداف . دار الجاحظ للنشر .بغداد ١٩٨٢ .ص٦٨ .

[22] د. حسان محمد شفيق العاني . الملامح العامة لعلم الاجتماع السياسي . مطبعة جامعة بغداد .بغداد ١٩٨٢ .ص ٢٦ .

[23] اندرو ويبستر ، مدخل الى علم اجتماع التنمية ، ترجمة د . عبد الهادي محمد والي و د. السيد عبد الحليم الزيات ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٨٩ ، ص ١٢٠ .

[24] برتران بادي بيار بير نبوم. سوسيولوجيا الدولة. ترجمة: جوزف عبد الله وجورج ابي صالح. مركز الانماء القومي. بيروت. د. ت.ص٣٠.

ومع هذه التطورات لم يعد في وسع الجماعات اليهودية في اوربا في هذه الفترة الاستمرار في الانماط التقليدية لحياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . فأتخذت هذه الجماعات مسارات عدة للتحول في اطار حركة التحديث والعصرنة:

١- فئة الاندماجيين: وهي فئة ترى ان اليهودية ديانة كغيرها من الديانات ومن ثم لاعلاقة لها بقومية معينة أو حركة عنصرية. وان ولاء اليهودي من الناحية السياسية يجب ان يكون للدولة التي ينتمي اليها وللمجتمع الذي يعيش فيه .
٢- فئة المطالبين بالقومية اليهودية في المنفى: وهي الفئة التي تتأدى بضرورة تكتل اليهود حينما وجدوا على اساس انهم اقلية قومية في المجتمع الذي يعيشون فيه.
٣- الفئة التي تقول بان العودة الى فلسطين هي عودة دينية ولاتتم الا بمشيئة ربانية بموجب القوانين والتعاليم الدينية[٢٥].

ان جميع الاتجاهات السابقة اتجهات معارضة للصهيونية كانت ترى في الاندماج بمجتمعاتها حلا للمسألة اليهودية ودخولا في اطار المجتمع الحديث وعلى العكس من ذلك فان الحركة الصهيونية تبنت فكرة القومية اليهودية فقد اعلن المؤتمر الصهيوني الاول ١٨٩٧ ان اليهود يشكلون وحدة دينية عنصرية وانهم شعب بكل ما في هذه الكلمة من معنى. وبالتالي ان لهم الحق في الحياة كامة على رقعة من الارض الخاصة بهم. وان الارض هي ارض الميعاد والاجداد فلسطين[٢٦].

وبهذا فان الصهيونية ارادت بلوغ الحداثة ليس من خلال الاندماج التلقائي للجماعات اليهودية في مجتمعاتها وانما بالعمل المنظم المرتبط بحركة التوسع الاستعمارية في القرنين التاسع عشر والعشرين.

ولتحقيق هذه الغايات حدد المؤتمر الاول الوسائل الأتية: التنظيم (خلق الوعي القومي اليهودي وتعبئة الجهود اليهودية العالمية) والاستعمار (الهجرة وبناء المستعمرات) والدبلوماسية (المفاوضات). وماهي الا فترة وجيزة حتى اصبح للصهيونية منظماتها ومؤسساتها الفعالة الناشطة مثل. المؤتمر الصهيوني. واللجان التنفيذية والاستشارية " والمصرف اليهودي للمستعمرات" ١٨٩٨ "ولجنة الاستعمار" ١٨٩٨ "والصندوق القومي اليهودي" وكان الهدف من انشاء تلك المؤسسات هو تمويل عملية استعمار فلسطين وتنظيمها وربطها بالجهود الصهيونية لتنفيذ اهداف مؤتمر بال[٢٧].

ومن كل ذلك يبدو واضحاً ان المجتمع الاسرائيلي حصيلة تكوين استيطاني استعماري. أي انه مجتمع جديد والذي يعني انتقالا جماهيريا بقصد تأسيس نظام جديد

---

25 د. عبد الوهاب الكيالي . المطامع الصهيونية التوسعية . مركز الابحاث – منظمة التحرير الفلسطينية . بيروت .١٩٦٦. ص٢٠-٢١.
26 نفس المصدر . ص ٢٣.
27 نفس المصدر . ص ٢٣-٢٤ .

في ارض لا ترتبط بذلك المجتمع الجماهيري برابطة الاستمرارية التأريخية(*).. ويختلف مفهوم المجتمع الجديد عن مفهوم الدولة الجديدة والتي تعني ان مجتمعا سياسيا معينا لم يقدر له من قبل التكامل القومي والادارة الحكومية فيسعى من خلال البناء المخطط المصطنع الى وضع اصول ذلك الهيكل السياسي والاداري. بهذا المعنى نستطيع ان نتحدث عن الدول الجديدة العديدة التي عرفتها افريقيا مثلا عقب الحرب العالمية الثانية. المجتمع الاسرائيلي في منطقة الشرق الاوسط أنموذج للمجتمع الجديد وليس أنموذج للدولة الجديدة او على الاقل ان جمع بينهما فان الصفة الاولى تغلب على الصفة الثانية. وتتحكم في خصائص وابعاد التطور السياسي العام لذلك المجتمع[28]. ومماتجدر الاشارة اليه ان مرحلة التحول من المجتمع التقليدي الى المجتمع الحديث القائم على اساس التكتيك الحديث هي في الواقع مرحلة مخاض وقلق اجتماعي ممتد لشعوب العالم الثالث وقد تقصر هذه المرحلة او تطول تبعاً لقدرة السلطة السياسية في البلاد على تحقيق التحول بصورة طبيعية . هذه المرحلة في جميع الاحوال مشحونة بالتوترات الاجتماعية العنيفة[29]. هذا بالنسبة لشعوب العالم الثالث وهي بالتأكيد تمتلك المقومات اللازمة لتكوين الامة والاركان اللازمة لتكوين الدولة ومع ذلك تشهد توترات عنيفة فكيف الحال بالمجتمع الاسرائيلي الذي يفتقد لهذه المقومات والاركان؟

وهذا التساؤل بدوره يقودنا الى تساؤل اخر مرتبط به. كيف يصل المجتمع الاسرائيلي الى حالة المجتمع الاجمالي والذي يحدد الاستاذ د.وفرجيه مفهومه بالعناصر الثلاثة الآتية فهو يقضي اولاً بان ترتبط الفئات المتعددة المختلفة–الاسر. الجماعات المحلية. النقابات. الجمعيات. الاحزاب. الكنائس. الشلل والعصابات.. الخ– بعضها ببعض ضمن مجموعات اكثر اتساعاً. ويقضي ثانياً ان تكون هذه المجموعات مندمجة تماماً. بحيث يشعر افرادها فيما بينهم بتضامن عميق. يتجلى في تفاعلات تضاف الى تلك التي تجري ضمن نطاق الفئات الخاصة . ويقضي ثالثاً بان يكون التضامن والعلاقات بين اعضاء المجتمع الاجمالي اقوى من علاقاته مع الخارج وتضامنه معه وكل هذه العناصر تنتج عن سمة الاساس وهي ان المجتمع الاجمالي يشكل المجموعة الثقافية الاساسية[30].

(*) الاستمرارية التاريخية بمعنى استمرارية التفاعل في الارادة الحكومية المعبرة عن ذلك الاقليم .

28 د. حامد عبد الله ربيع . من يحكم في تل ابيب . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت . ١٩٧٥. ص ٨٢-٨٣ .

29 د.صادق الاسود . علم الاجتماع السياسي – اسسه وابعاده . دار الحكمة للطباعة والنشر . بغداد . ١٩٩٠ . ص ٢١٣ .

30 موريس دوفرجيه . سوسيولوجيا السياسة . ترجمة هشام دياب . منشورات وزارة الثقافة والارشاد . دمشق . ١٩٨٠ . ص٣٥-٣٦.

ان حقيقة التطورات السياسية في المجتمع الاسرائيلي تكشف لنا عن سعي حثيث لخلق الادوات ذات الفاعلية في تحقيق التلاحم والتكامل بين العناصر المتنافرة الداخلية في تكوينه.

المبحث الثاني
البنية الاجتماعية والدولة

البنى الاجتماعية تعبر عن كيفية توزيع السكان الى طبقات اجتماعية والى جماعات اثنية والعلاقات فيما بينها فضلاً على علاقتها بالمجتمع الشامل[٣١].

ان دراسة البنية الاجتماعية للمجتمع الاسرائيلي تنطلق من حقيقة جوهرية هي ان الصفة الاساسية التي يمكن عدها مفتاحاً لفهم العديد من اوضاعه الاجتماعية الاقتصادية فضلاً على تفاعلاته السياسية تتمثل في انه تكوين استيطاني بمعنى انه تكون عن طريق هجرة جماعات بشرية يهودية متعددة عبر مدة من الزمان من مناطق جغرافية مختلفة الى ارض فلسطين ثم السيطرة السياسية عليها وعلى سكانها الاصليين بالقوة. خلافاً للتطور الطبيعي او النشأة التاريخية التي تميز الغالبية العظمى من مجتمعات العالم المعاصر بمؤازرة وتأييد من القوى الاوربية الاستعمارية.

هذه الهجرات درج الكتاب الى تقسيمها الى خمس موجات اساسية حتى عام ١٩٤٨ :

موجات الهجرة	السنوات	عدد المهاجرين
الهجرة الاولى	١٨٨٢-١٩٠٣	٢٠٠٠٠-٣٠٠٠٠
الهجرة الثانية	١٩٠٤-١٩١٤	٣٥٠٠٠-٤٠٠٠٠
الهجرة الثالثة	١٩١٩-١٩٢٣	٣٥٠٠٠-
الهجرة الرابعة	١٩٢٤-١٩٣١	٨١٠٠٠
الهجرة الخامسة	١٩٣٢-١٩٤٨	٢٦٥٠٠٠الى نهاية عام ١٩١٤

Eisenstadt S.N. Israeli Society.Weidenfeld and Nicelson .London 1967.p.II.

ان هذه الهجرات جميعاً كانت ذات طابع اوربي . وقد ساهمت في تأسيس (الدولة) وخلق مؤسساتها السياسية والاقتصادية والثقافية. غير انه حدث تحول كبير في اعقاب تأسيس الدولة. اثر تدفق اليهود المهاجرين من اقطار اسيا وافريقيا. بخلفياتهم الاجتماعية والثقافية المختلفة كلياً عن سابقيهم الاوربيين فبعد ان كانت نسبتهم لاتتجاوز ١٠% من اليهود في فلسطين ازدادت نسبتهم زيادة كبيرة جداً والجدول الآتي يوضح ذلك:

---

31 د. صادق الاسود . المصدر السابق .ص ١٠٧ .

جدول رقم (٢)

الاعوام	١٩٥٠	١٩٦٠	١٩٧٠	١٩٨١
عدد اليهود في اسرائيل	١,٢٠٣,٠	١,٩١١,٢	٢,٥٨٢,٠	٣,٣٢٠,٣
مواليد اسرائيل نسبة مئوية	٢٦,٣	٣٧,٤	٤٥,٨	٤٩,١
مواليد اسيا وافريقيا نسبة مئوية	٢٢,٢	٢٧,٦	٢٧,٩	٢٧,٠
مواليد اوربا وامريكا نسبة مئوية	٥١,٥	٣٥,٠	٢٦,٣	٢٣,٩

المصدر : غازي السعدون واخرون . الكتاب السنوي ١٩٨٢ .دار الجليل للنشر .عمان .ص ٤٨٠ .

ويتضح من هذه الاحصائيات ان الفترة بعد تأسيس (الدولة) بدأت تسجل نقصاً في المهاجرين الذين ينتمون الى اوربا وهو نقص يزداد تاكيداً في الاعوام اللاحقة فعقب ان كان المهاجرون الاوربيون قبل عام ١٩٤٨ يمثلون ٩٠% فاذا بهم عام ١٩٥٠ يتناقصون الى ٥١,٥ % لينقصوا في عام ١٩٨١ الى ٢٣,٩%. ازاء ذلك نجد الهجرة اليهودية الشرقية ترتفع من ١٠% قبل قيام الدولة حتى تصل الى ٢٧% في عام ١٩٨١ وهذا يعني وزناً سكانياً يزيد على المهاجرين الاوربيين مع ملاحظة. ان ابناء اليهود الشرقيين يشكلون النسبة الاكبر من مواليد اسرائيل (الصابرا). ذلك لان العائلة اليهودية الشرقية تتميز بزيادة معدلات الانجاب عن العائلة اليهودية الغربية.

وبهذا فأن التكوين الديمغرافي للمجتمع الاسرائيلي يكشف عن وجود جماعتين اساسيتين تتم بينها وفيها عملية الفاعل:

١- السكان الاصليون (الفلسطينيون العرب).

٢- المستوطنون اليهود . والذين بدورهم ينقسمون الى العناصر الآتية:

أ- اليهود من الاصل الغربي (اوربا وامريكا).

ب-اليهود من الاصل الشرقي (مواليد بلدان اسيا وافريقيا).

ج- الصابرا (مواليد اسرائيل).

وفي ضوء هذا التقسيم فأن المجتمع الاسرائيلي يشهد انواعا من الصراعات بين هذه الجماعات-لا تشهدها المجتمعات العادية على الاغلب-وسيتم تناول هذه الصراعات على النحو الآتي:

اولاً: الصراع بين المستوطنين اليهود والفلسطينيين العرب.

ثانياً: المشكلة الاثنية-الصراع بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين.

ثالثاً-صراع الاجيال.

اولاً – الصراع بين المستوطنين اليهود والفلسطينيين العرب

يعود هذا الصراع الى حقيقة وجود تناقض جذري بين الطرفين. فيما يلاحظ بان الهدف المسيطر من جانب المستوطنين اليهود على نوعية العلاقة مع الفلسطينيين هو ((تمكين قومية وثقافة وحضارة المستوطنين في صراعها مع قومية وثقافة وحضارة السكان الاصليين من استيعاب هذه الاخيرة. بمعنى تذويبها وتحطيم مميزاتها

وتحقيق سيطرة الاولى عليها))[٣٢] في اطار هذا الهدف تتحدد جميع السمات الاخرى للعلاقة بين الطرفين. وتعد العنصرية الصهيونية ابرزها حيث ان سياسة المستوطنين اليهود ازاء الفلسطينيين العرب يحكمها الطابع العنصري لان ((الصهيونية منذ بدايتها الاولى. انطلقت من مسلمات النظر الى "اليهود" باعتبارهم جنساً اسمى وارقى من العرب. الذين فشلوا في استثمار بلادهم. وجاء اليهود بكل ما يملكون من مواهب فريدة لكي يقودوهم في مدارج الرقي والتقدم))[٣٣].

من الناحية العملية ان السياسات العنصرية قد ادت بالنتيجة الى ان يصبح الفلسطينيون–السكان الاصليون– ليسوا مواطنين بالمعنى المالوف للكلمة بل انهم تحولوا الى مواطنين من الدرجة الثانية وحتى اقل من ذلك. وتبرز هذه الحقيقة في اغلب مجالات الحياة فعلى سبيل المثال فان النظام القانوني الاسرائيلي بما يتضمنه من تشريعات قانونية يدعم التمييز العنصري.

فقانون الجنسية الاسرائيلي الصادر عام ١٩٥٢ لا يضمن المساواة بين العرب واليهود فبينما يمكن لأي يهودي الحصول على الجنسية الإسرائيلية بمجرد وصوله الى (اسرائيل) كان على العربي (الفلسطيني) لكي يحصل على الجنسية ان تتوافر لديه عدد من الشروط الصعبة لكي يستطيع ان يقوم بمعاملات التجنس وان توفير تلك الشروط لم يكن عملا سهلا بل في احيان كثيرة مستحيلاً. ومن هذا يتبين المضمون العنصري للقانون حيث ان الهدف الصهيوني واضح تماماً وهو "خلق دولة يهودية" لـ"الشعب اليهودي" في مثل هذه الدولة ستكون هناك طائفة من الحقوق والواجبات متعلقة "بالشعب اليهودي " مختلفة عن حقوق وواجبات اولئك الذين يقعون خارج دائرة "الشعب اليهودي" ولو تساوى غير اليهود مع اليهود في "الدولة اليهودية" لفقدت مثل هذه (الدولة) مبرراً اساسياً[٣٤].

ومما لاشك فيه ان التعقيد القانوني للعنصرية يساهم في مجال التنشئة الاجتماعية في زرع الاتجاهات العنصرية والعصبية في وجدان واذهان اليهود وبالنتيجة يؤدي الى ديمومة الصراع الاجتماعي بين الطرفين.

ومما تجدر الاشارة اليه ان الفلسطينيين العرب في الاراضي المحتلة قبل عام ١٩٦٧ والذين يطلق الاسرائيليون عليهم (عرب اسرائيل) يتمتعون رسمياً بحقوق

---

32 د. مجدي حماد . النظام السياسي الاستيطاني – دراسة مقارنة اسرائيل وجنوب افريقيا . دار الوحدة . بيروت . ١٩٨١. ص ١٠٥ .

33 السيد يسين " الصهيونية ايديولوجية عنصرية . مجلة قضايا عربية . العدد ٧-٨ . السنة الثالثة ١٩٧٧.,ص ٣٤ .

34 انيس فوزي قاسم . قانون العودة وقانون الجنسية الاسرائيليان – دراسة في القانونين المحلي والدولي . مركز الابحاث – منظمة التحرير الفلسطينية .بيروت .١٩٧٢.ص ٦١-٦٣.

((المواطنة)). وعن هشاشة المواطنة يتحدث اوري افنيري وهو يهودي اسرئيلي بالقول: ((هم يتمتعون بعدد من الحقوق المدنية . ومنها حق الترشيح الى المجلس النيابي. ولكن لا ينكر انهم يحرمون فعلاً ان لم يكن نظرياً . من العديد من حقوقهم الاساسية. فهم مرتبطون بالحكم العرفي(*). ويستعمل ضدهم تشريع استثنائي يعود الى السيطرة البريطانية. وحريتهم. في الواقع مقيدة بالاضافة الى انهم لا يشاركون فعلا في حياة البلد)) ويعلل افنيري ذلك بالقول: ((في رأيي ان الصعوبة الاساسية تكمن في موقف النظام واقناعه بان على اسرائيل ان تشكل دولة يهودية متجانسة . احادية القومية لا يمكن والحالة هذه اعتبار العرب مواطنين وانما شرُ لابد منه))[٣٥].

ويزيد من تأكيد هذه الحقيقة. ان نظرة السلطات الاسرائيلية الى العرب (عرب اسرائيل) تقوم على اساس الافتراض بانهم غير مخلصين. وبناء على ذلك انهم لا يجندون في الجيش–عدا عن الدروز المفروضة عليهم الخدمة الاجبارية والبدو المسموح لهم التطوع في الجيش الدائم(**)–وهم يخضعون لرقابة خفية متواصلة[٣٦].

وبدون شك فان مثل هذه السياسات تجعل سمة العلاقة بين الجماعتين المستوطنين اليهود والعرب الفلسطينيين تتسم بالتنافر والصراع. خاصة اذا اضفنا الى ذلك المواقف العنصرية والعدوانية للجماعات اليهودية ضدهم وتوضح ذلك استطلاعات للرأي التي قام بها يهود اسرائيليون و ذلك ان عينة من اليهود البالغين من سكان المدن عبر ٨٥% منهم بعدم الرغبة بالعيش بجوار دول عربية. وعينة اخرى من مستوطني تل ابيب عبر ٦٧% منهم بانهم لا يريدون العرب كجيران و٨٥% لايريدون تأجير غرفة لاي عربي والى حد كبير فان العرب ايضاً عبروا عن عدم رغبتهم بالعيش الوثيق مع اليهود اذ ان ٧٠ % كانت قد عبرت عن عدم رغبتها في العيش في مبنى شقق للسكن مع اليهود و٥٨ % عبرت عن عدم رغبتها في العيش في حي يهودي[٣٧] اذ الاغلبية الواسعة من الطرفين رفضت العيش جنباً الى جنب.

وقد اقترن هذا الرفض المتبادل بوجود انعزالية بين الجماعتين على الصعيد الجغرافي السكاني . حيث ان ٨٥–٩٠%من العرب يعيشون في حوالي ١٥٠ قرية و١٥ مدينة مسكونة من العرب فقط . وان ١٠% فقط من العرب يعيشون في مدن

(*) الغي رسمياً عام ١٩٦٦

35 اوري افنيري . "حرب بين اخوة ساميين " . في : من الفكر الصهيوني المعاصر.مركز الابحاث – منظمة التحرير الفلسطينية . بيروت .١٩٦٨ . ص٣٦٠ .

(**) تجسيد للسياسة الاستعمارية المعروفة (فرق تسد).

36 سامي سموحة ." نظام الحكم في اسرائيل بعد جيل " . في الكيان الصهيوني عام ٢٠٠٠. وكالة المنار للصحافة والنشر المحدودة . قبرص .١٩٨٦. ص٥٩ .

37 Smooha.S ammy.Israel :Pluralism and conflict. Routledge &Kegan Paul .London .1978.p-200.

عربية – يهودية (مختلطة). هذه الانعزالية مصاحبة لمعدل واطىء جداً من الزواج بين الجماعتين– مئة عربي فقط يتزوجون من نساء يهوديات كل سنة كمعدل. وعدد اقل بكثير من الرجال اليهود يتزوجون من نساء عربيات[٣٨].

فضلاً على ذلك فهناك الاختلافات الثقافية الكبيرة بين العرب واليهود في (اسرائيل) والتي تجعل من العلاقة بين الطرفين علاقة تصارع. فالعرب في (اسرائيل) مختلفين عن اليهود بشكل واضح في صميم الثقافة تماماً. انهم اصلاً يتكلمون اللغة العربية. قومياً عرب على اختلاف دياناتهم مسلمون ومسيحيون ودروز. الى حد كبير متجهين نحو العائلة الواسعة. ومبتعدين عن الايديولوجية الاساسية وضعت في اطار مؤسساتي ومن غير المتوقع ان تضعف كنتيجة لتحديث العرب او الحراك الاجتماعي او اية تطورات اخرى[٣٩].

المؤشرات السابقة تشير الى وجود تناقص اساسي بين المستوطنين اليهود والفلسطينيين العرب. يتمثل هدفه من جانب المستوطنين بالغاء قومية وثقافة وحضارة الفلسطينيين العرب وافناء جميع خصائصها. وليس بتقديم اية صيغة جديدة تجمع بين مميزات الطرفين من خلال التفاعل السلمي.

وفي مثل هذا الوضع لايمكن للفلسطينيين في (اسرائيل) ان يشاركوا بايجابية في بيئة يهودية صهيونية معادية. يشعرون انهم منفصلون عنها عاطفياً وايديولوجيا ودينياً وعرقياً ولاحساسهم بانهم ينتمون الى الوطن العربي.

على الرغم من ان عدداً من التغييرات قد حدثت في البنية الاجتماعية والثقافية للاقلية العربية من مثل الزيادة في نسبة ثنائية الثقافة وثنائية اللغة للعرب في (اسرائيل). والاندماج الكبير للعرب في الاقتصاد اليهودي والهستدروت. وتحضر اغلب القرى العربية. والدخول التدريجي للعرب في الهيئات العامة المختلفة وعلى اية حال فان هذه التطورات لا تملك وسائل لاضعاف الاختلاف الثقافي الواسع والدائم والانفصال الاجتماعي بين العرب واليهود[٤٠].

ولقد ادركت سلطات المستوطنين هذه الحقيقة فانتهجت سياسات من شأنها الحيلولة دون تبلور موقف ثوري(*). تبناه السكان الاصليون. ذات شقين: اولهما:

---

[38] Ben-Rafael.Eliezer.The Emergennce of Ethnicity-Cultraral Groups and social conflict in Israel .Greenwood Press .London .P-207.

[39] Smooha .sammy .OP.Cit.Pl 20.

[40] د . مجدي حامد ، المصدر السابق ، ص ١٩٤ – ١٩٦ .

(*)قام الفلسطينيون العرب بالعديد من المظاهرات المقاومة ضد الكيان الصهيوني سواء اكانت مقاومة سياسية او مسلحة . وحول تفاصيل ذلك انظر: حبيب قهوجي، عرب فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨- انتماء وصمود، مؤسسة الارض للدراسات الفلسطينية ، دمشق ، ١٩٧٠ .

التقليل بقدر الامكان من الضغوط الواقعية على السكان الاصليين لتقليل التناقض الى ادنى الدرجات، وثانيهما: العمل على تدعيم سيطرتها بحيث تتأكد باستمرار قدرتها على احتواء واحباط أي بوادر للمقاومة، وبهذا المعنى، فان سياسة هذه السلطات على ذلك المستوى، هي سياسة وقائية او مانعة، اكثر منها علاجية...... وبصفة عامة يمكن الاشارة الى عدد من المناهج التي اتبعتها السلطات الاستيطانية بهدف استتباب سيطرتها على الفلسطينيين العرب:

١- منهج التهدئة: ويقصد به تحقيق نوع من السلم والاستقرار والهدوء عبر مختلف الانشطة الاقتصادية والسياسية بما يضمن امن السيطرة الاستعمارية ويمنع حدوث اعمال مقاومة.

٢- منهج الاحتواء: ويقصد بذلك السيطرة على مشاعر الاحباط لدى السكان وتفريغ دوافع الرفض باستمرار، وتبرز هنا عمليات التنشئة بمختلف الوسائل بناء جيل جديد من أبناء السكان الاصليين يتميز برابط الولاء اتجاه الدولة الاستيطانية ويندرج في هذه الاطار ايضا عمليات احتواء القيادات الوطنية (المأمونة الجانب).

٣- منهج الاستيعاب، وينطلق هذا المنهج اساساً من مفهوم "العدمية القومية والثقافية" للسكان الأصليين كابتداء، ومن ثم إمكانية استيعابهم في فروع النشاط الاقتصادي أساسا كطبقة عمالية.

٤- منهج العنف: وينبني على العنف المباشر أي القمع والردع بهدف الإرهاب[41]. ويتضح من كل ذلك ان العلاقات بين الفلسطينيين العرب والمستوطنين اليهود لاتسير باتجاه الاندماج او التكامل، وانما تتأكد حقيقتها الصراعية بشكل مستمر، لوجود تناقض جذري بين الطرفين.

ثانيا: المشكلة الاثنية، الصراع بين اليهود الغربيين وبين اليهود الشرقيين:

تبرز هذه المشكلة باعتبارها احدى المشكلات الهامة التي تواجه الدول الاستيطانية نظرا لطبيعة نشأتها، حيث يتشكل تكوينها الاجتماعي بصورة تضع العناصر المكونة لكل من هذه الدول في وضع التناقض مع بعضها البعض. وتعرف الجماعة الاثنية بانها: (كيان جماعي، اعضاؤه يشتركون: (١) خصائص اساسية، كالدين، الاصل او التاريخ، اللغة أو العنصر، (٢) سمات ثقافية-اجتماعية خاصة، (٣) والوعي بأنهم يشكلون جماعة تختلف عن الاخرين المنتمين لنفس المكانة).

---

[41] Ben – Rafael – Eliezer – op .cit . P . 2l .

وفقا لهذا التعريف وهذه السمات فأن المجتمع الاسرائيلي باعتباره مجتمعا استيطانيا يضم جماعات أثنية كثيرة تكاد تصل بعددها الى عدد الدول التى قدم منها المهاجرون غيرانه درج المهتمون بدراسة المجتمع الاسرائيلي الى تقسيمها الى جماعتين اساسيتين..

احدهما: اليهود الغربيون (الاشكناز) والأخرى، اليهود الشرقيون (السفارديم) إن اليهود الغربيون، هو اصطلاح يستخدم الإشارة الى اليهود الذين هاجروا من العالم الغربي الى (اسرائيل) وبما إن أغلبيتهم من الاشكناز فان اصطلاح اليهود الغربيين اصبح مرادفا لاصطلاح الاشكناز، ولكن يظل اصطلاح اليهود الغربيين هو الادق والاشمل لانه يشير الى انتماء هؤلاء اليهود العرقي والحضاري، بينما نجد ان اصطلاح الاشكناز تدخله ابعاد دينية تطمس معالمه وتجعل منه اداة غير دقيقة..... واما اصطلاح اليهود الشرقيون (السفارديم)، فهو يشير لكل اليهود الذين ليسوا من اصل غربي، وقد أصبحت لفظة سفارد "مرادفة للفظة" شرقيين "لأن معظم اليهود الشرقيين يتبعون التقاليد السفاردية في العبادة ولا بد من استخدام اصطلاح (الشرقيون) باعتبار انه الكل الذي يضم السفارد كجزء، وباعتبار ان الاصطلاح شرقيين له مضمون طبقي-عرقي متين، على عكس اصطلاح سفارد الذي له مضمون ديني[٤٢] لتحليل ابعاد الشكل الاثنية في المجتمع الاسرائيلي سيجري التطرق اولا، الى الاختلافات الاثنية، ومن ثم الى العوامل المؤدية الى تعاظم هذه المشكلة:

أ. الاختلافات الاثنية:

تتحدد الاختلافات الاثنية الاساسية بين الجماعات اليهودية المهاجرة في (اسرائيل) والتي من شأنها ان توجد المشكلة الاثنية ويمكن ايرادها على النحو الآتي:

١. فروق حضارية وثقافية:

الجماعتان اليهوديتان الاساسيتان، من ناحية الاصول الحضاري والثقافي فأنهما ينتميان الى نمطين رئيسيين من انماط الحضارة والثقافة، هما كلا من الحضارة والثقافة الغربية والحضارة ان الجماعة اليهودية في فلسطين قبل عام ١٩٤٨ كانت اصلا جماعة اوربية بكل ما تعنيه هذه الكلمة من خصائص حضارية وثقافية وتكنيكية. اقتصاد سوق حديث تخصص وتقسيم عمل. النظرة العلمية للامور. مستوى معيشي مرتفع نسبيا. عائلة صغيرة. مجتمع يحترم قيمة العمل وينظر دائما الى المستقبل. في حين ان موجة الهجرة اليهودية الضخمة. التي اعقبت عام ١٩٤٨ والتي ضاعفت عدد السكان في اربعة اعوام كانت اساسا من بلاد شرقية مختلفة (اليمن. العراق. ايران. تركيا. شمال افريقيا) وكان للمهاجرين اليهود كل صفات وطباع هذه البلاد من نظرة اجتماعية تقليدية. واوضاع اقتصادية وثقافية مختلفة. ونقص مستوى المعيشة والرعاية الصحية وقلة الخبرة التقنية اللازمة لمجتمع معاصر. واخيرا عائلة كبيرة[٤٣].

---

42 عادل حامد الجادر ، (واقع المجتمع الاسرائيلي) مجلة مركز الدراسات الفلسطينية ، بغداد العدد ٤٢-٤٣ ، تموز – ايلول – كانون الاول ، ١٩٨١ ص ٤٥ -٤٦ .

43 د . علي الدين هلال ، تكوين اسرائيل ، دراسة في اصول المجتمع الصهيوني دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٧١ .

ان شعور اليهود الغربيين بالتفوق الحضاري ولد لديهم نظرة استعلاء اتجاه ابناء اليهود الشرقيين، ولكي يعززوا من هيمنتهم فقد اتبعو سياسة التغريب أي بجعل (اسرائيل) بلدا اوربيا عن طريق تحويل اليهود الشرقيين الى الثقافة الغربية وطمس كل ما يمت بصلة لهويتهم التاريخية او الثقافية ونزع كل صفة شرقية عنهم[٤٤].

هذه السياسة عززت من هيمنة الثقافة الغربية على باقي الثقافات، واصبحت ومن ثم الثقافة الاساسية للمجتمع، في حين تحول ثقافة اليهود الشرقيين الى ثقافة معاكسة بمعنى انها (تقوم على كون فئة من الناس تقع ضمن منضومة ثقافية ما، تنبذ القيم الاساسية وتعارضها بقيم اخرى)[٤٥].

ويبدو من ذلك واضحا ان الاختلافات الحضارية والثقافية ، شكلت عائقا امام تماسك المجتمع الاسرائيلي ، ولذلك فالسلطات الاسرائيلية تسعى جاهدة لحل هذه المشكلة عن عن طريق السياسة والاستيعاب والتكامل.

٢. الاختلافات في التقاليد الدينية

على الرغم من ان المستوطنيين ينتمون جميعا الى الديانة اليهودية. الاانهم فعليا يتمايزون دينيامن نواحي عدة. فمن حيث بواعث الهجرة تحتل البواعث الدينية اهمية كبيرة لدى اليهود الشرقيين. اما بالنسبة للهجرات الاوربية. فان الصهيونية هي جوهريا ايديولوجية علمانية. والاتجاهات والميول الدينية التقليدية ظهرت الهجرات غير الاوربية[٤٦].

فضلاً على ذلك فان الاحكام والعادات الدينية تختلف من طائفة لاخرى ويختلف في ذلك سبل كثيرة. بما في ذلك اسلوب الصلاة. الالحان. الكشيروت (الاطعمة المعدة وفق الشرائح الدينية). ومراعاة السبت والعياد. وكذلك الكثير من المسموحات والممنوعات[٤٧].

وتزداد خطورة هذا التنافر خصوصا وانه يتخذ شكلا مؤسسيا. ويتضح ذلك في وجود حاخام اليهود الشرقيين وحاخام اليهود الغربيين ومجلس مستقل لكل طائفة[٤٨]. ويكاد يجمع مؤرخو اليهود على ان الناحية الدينية هي اعمق واشدعند اليهود الشرقيين منها عند الغربيين من اليهود اصحاب النظرة العلمانية الذين لا يهتمون بالنواحي الدينية ولا يشددون على الطقوس والتقاليد ولا يخضعون الا للاساسية منها وهي الختان والزواج والدفن[٤٩].

ولم يكن ضروريا ان يكون جميع الشرقيين متمسكين بالدين ليقفوا ضد الغربيين غير المتدينين وانما كانت بعض هذه الخلافات تقوم كمظهر من مظاهر اثبات الذات. فعندما

---

44 هلدا شعبان صايغ، التمييز ضد اليهود الشرقيين في اسرائيل، مركز الابحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٧١، ص ١٣٦.

45 موريس دوفرجيه ن المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

46 weller .lenodrd .soclolgy in israel .green wood press london .1974 .p .29 .

47 سامي سموحا "الطائفية والجيش في اسرائيل " الملفات . ع ٩ – مجلد الاول . كانون الاول ١٩٨٤ . ص ٧٨١ .

48 د. مجدي حماد . المصدر السابق . ص١١٦ .

49 هلدا شعبان صايغ. المصدر السابق . ص٥٩.

كان الشرقي يجابه ان يختار بين ان يكون متدينا وبين ان يكون غير متدين. اختار الامر الاول ليس فقط لرواسب دينية في نفسه. وانما لانه- بذلك كان يستطيع ان يبقى على الكثير من تراثه وتقاليده. واهم ما فيها الدين. ومن ثم يثبت نفسه في تيار المجتمع اليهودي الغربي الذي لا يحسب له حساباً[٥٠].

٣- الاختلاف العرقي:

ان احد المفاهيم الاساسية التي قام عليها الفكر الصهيوني هي دعوى النقاء العنصري اليهودي . فقد كان موسى هيس اول من نادى بتحديد الهوية اليهودية على اساس بيولوجي او عنصري[٥١]. واكد هيس معتقده العرقي بقوله: ((ان العرق اليهودي من العروق الرئيسية في الجنس البشري. وقد حافظ هذا العرق على وحدته رغم التغيرات المناخية عليه كما حافظت السمة اليهودية على نقاوتها عبر العصور))[٥٢].

اما ثيودور هرتزل (١٨٦٠ -١٩٠٤) فلم تغب عن ذهنه الفكرة العنصرية اليهودية. ومحاولة تبني هوية عنصرية جماعية... لقد اكد هرتزل ((ان اليهود بقوا شعباً واحداً وعرقاً متميزاً)) ويبدو ايضاً انه ربط بين العرقية اليهودية والتمييز القومي حينما اضاف ((ان قوميتهم المتميزة لايمكن ولن ويجب الا تتقوض)) ولاجل ان يتوصل الى مقصده في الدعوة الى اقامة الدولة اليهودية اضاف بانه: ((لا يوجد غير حل واحد فقط للمسألة اليهودية هو. الدولة اليهودية))[٥٣].

ولكن مفهوم النقاء العنصري اليهودي يواجه انتقادات علمية عديدة اثبتت عدم صحة اعتبار اليهود عرقا نقيا او امة واحدة واكدت وجود اختلاف وتباين واضح في الخصائص الجنسية للجماعة اليهودية المختلفة المنتشرة في انحاء العالم، ومن هذه الانتقادات:

أ. ايدت الابحاث والدراسات الانثروبولوجية وجود تباين واضح في المميزات الجنسية للجماعات اليهودية المنتشرة في جميع انحاء العالم، ومن اشهر هذه البحوث بحث الاستاذ جون كوماس استاذ التاريخ الطبيعي للاجناس البشرية في الجامعة الوطنية في مكسيكو المعنون ((اسطورة الجنس اليهودي)) والذي اكد فيه بان: ((ليس هناك أي أساس للادعاء

---

50 Selzer . Michael. The Aryanization of the Jewish state Black star Book .New York . 1967.PP. 99-100

51 د. عبد الوهاب السيري . " اليهودي الخالص " . مجلة مركز الدراسات الفلسطينية . بغداد العدد . ١٩ كانون اول ١٩٧٦ . ص ٣٠ .

52 الفكرة الصهيونية : النصوص الاساسية . تحرير . انيس الصايغ وآخرون . مركز الابحاث منظمة التحرير الفلسطينية . بيروت -١٩٧٠ . ص٢٣ .

53 د. جهاد تقي صادق . ((مفهوم النقاء العرقي اليهودي في الفكر الصهيوني)) . مجلة مركز الدراسات الفلسطينية . العدد ٤٠-٤١ . كانون الثاني . آذار -حزيران . ١٩٨١ . ص١٠١.

القائل بوجود الجنس اليهودي، فهجرة اليهود المستمرة خلال التاريخ وعلاقتهم بمختلف الأمم والشعوب قد اوجدت شيئا من التهجين))[٥٤].

ب.تأريخيا: هنالك ما يؤكد اعتناق اقوام مختلفة للديانة اليهودية في فترات التاريخية معينة . فقد حدث ان عرضت الديانة اليهودية على ملك الخزر، الملك بولان فوافقت له، واعتنقها، واجبر شعبه على اعتناق هذا الدين واصبحت اليهودية دين هذا الشعب الخزري[٥٥] من الناحية التاريخية ايضا، اذا اخذنا التوراة ذاتها: فوجدنا الدليل الكافي على عدم نقاء دم الاباء وهم انبياء اليهود الاولون. ان شمشون اليهودي تزوج من دليلة الفلسطينية كما يقول العهد القديم وفي سفر حسقيال تقرأ (امك، كانت حثية وعمورية كان ابوك). وتزوج يوسف من اسنات المصرية، اما موسى فقد تزوج من صفورة من مدائن صالح، اما الملك داود فقد كانت امه مؤابية وتزوج داوود من اميرة جيشر، والملك سليمان كانت امة حثية. هذا الاختلاط مع الشعوب الاخرى تذكره التوراة وليس سواها[٥٦].

ج. علاوة على ذلك هناك الكثير من الوقائع التي تدحض دعاوى النقاء اليهودي، لعل من الامثلة الواضحة عليها ، قضية يهود الفلاشا، اذ كيف يمكن التوفيق بين لون بشرتهم وبين الفكرة المتعارف عليها من ان جميع اليهود هم من اصل واحد، علاوة على ذلك فان حاخامات (اسرائيل) وبعض الدوائر اليهودية العلمية كانو قد اعلنوا بان الفلاشا هم طائفة يهودية اخذت بالكثير من التعاليم غير اليهودية.. ولكنهم ليسو قبيلة يهودية[٥٧].

ان هذا الموقف لم يتغير وحظى بالتاييد من الحكومة الاسرائيلية حتى منتصف السبعينات، حيث ادى الالحاح المتكرر لغرض تنظيم هجرة الفلاشة الى (اسرائيل) الى قيام الحاخام الاكبر لليهود السفارديم باصدار بيان يعترف فيه بان الفلاشة هم يهود من قبيلة دان.. ومضت سنتان كاملتان قبل ان يعبر الحاخام الاكبر لليهود الاشكناز عن رأي منافر لرأي غريمة. وعندئذ فقط وافقت وزارة الداخلية الاسرائيلية على تطبيق قانون العودة على الفلاشة[٥٨].

ان الاختلاف العرقي[*] بين اليهود بين اليهود المستو طنين يعد احد اوجه المشكلة الاثنية خصوصا اذا اقترن هذا الاختلاف بوجود تمييز واضح في المجتمع وفقا للاصول الحضارية والثقافية والعرقية.

---

54 مصطفى عبد العزيز ، اسرائيل ويهود العالم – دراسة سياسية قانونية ، مركز الابحاث – منظمة التحرر الفلسطينية بيروت ، ١٩٦٩، ص٤٤. وحول الكثير من التفاصيل عن بحث الاستاذ جوان كوماس انظر : المصدر نفسه ، ص ص ٤٣ – ٤٨ .

55 د . محمد عمارة ، المصدر السابق ، ص، ٧٠ .

56 محمد الموعد ، ((حول المقولات الاساسية للايديولوجية الصهيونية نشرة الارض ، مؤسسة الارض للدراسات الفلسطينية ، دمشق ، العدد الثالث ، اذار ١٩٨٨ ، ص ٢٧ .

57 ديفد كلسر ، الفلاشا يهود اثيوبيا ، منشورات دار الكرمل ، عمان ، ١٩٨٥ ص ١١٢ .

58 نفس المصدر ، ص ١١٧ .

(*) من الاختلافات الاساسية ايضا هي الاختلافات في اللغة حيث لكل جماعة يهودية لغة هي لغة البلد التى هاجرت منه .

ب-العوامل المساعدة في تفاقم المشكلة الاثنية:

١-ان اليهود الغربيين كانوا اصحاب الفكرة الصهيونية التي اقامت الدولة، ويخالطهم شعور بانها لهم وحدهم لانها من صنعهم، وان سائر اليهود يأكلون ثمار اتعابهم بدون ان يكون لهم دور في انشاء الدولة. خاصة وان اعداد اليهود الشرقيين تزداد وتكاد تتفوق عليهم[٥٩].

٢-الفروق الاقتصادية، فالتعويضات الالمانية في بداية الخمسينات، والمساعدات الامريكية المستمرة منذ قيام الكيان الصهيوني لدعم هذا الكيان، من نصيب خزينة وجيوب فئات واسعة من ابناء الاشكناز بحجة، تضررهم من ويلات الحرب العالمية الثانية، الامر الذي كان له الاثر في توسيع الهوة الاقتصادية بين ابناء الطوائف[٦٠] ولأن اليهود الغربيين كانوا قد اقاموا مؤسسات (الدولة) لذا كانت الغلبة لهم في كافة المواقع السياسية والاقتصادية .وقد عزز من مراكزهم هذه جملة الخصائص التي اتصف بها اليهود الشرقيون مثل المستوى الثقافي المنخفض، وغلبة المهن اليدوية او شبه اليدوية، تردي اوضاعهم الاقتصادية.... الخ

٣-تخوف المسؤولين في (اسرائيل) من ان تصبح بلداً شرقيا فقد جاء على لسان دافيد بن غوريون قوله: ((ان اليهود الشرقيين هم جزء من الشرق ومن الحضارة الشرقية . وان على اسرائيل-حسب رأيهم-ان تستشرق وتصبح كيانا شرق أوسطي حتى عام ٢٠٠٠ ولكننا لم نسمح بذلك لان اسرائيل جزء من الغرب وحضارته وثقافته واصله وجنسه))[٦١]. إن هذا الشعور بالخوف من جانب اليهود الغربيين اقترن بالشعور بالتفوق الحضاري والثقافي على اليهود الشرقيين. من الجانب الاخر ان اليهود الشرقيين رفضوا مصادرة ثقافتهم وتراثهم الماضي وهذا الاسرائيلي اريبه ايلياف يقول ((كان الشرقيون-لدى وصولهم الى اسرائيل محرومين تماماً من المهارات التكنولوجية الحديثة لكنهم لم يكونوا محرومين من الثقافة. بل على العكس كانوا يحملون تقاليد وميراثا ثقافيا ومعايير كثيرة في مجال العلاقة الاسرية واحترام الاهل والعادات[٦٢] وان هدف الاشكناز من الربط بين التخلف الحضاري والتخلف الثقافي هو لغرض ((مصادرة ثقافة اليهود الشرقيين والجهل الشامل تقريبا بماضيهم))[٦٣].

ويظهر مما سبق ذكره ان العلاقات الاجتماعية بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين اساسها التنافر اكثر منها الترابط. وان علاقة التنافر هذه ما زالت متأثرة بمواريث

---

59 هلدا شعبان صايغ ، المصدر السابق ، ص ٦٧.

60 عادل حامد جادر ، المصدر السابق ص ٤٧.

61 حلمي عبد لكريم الزغبي ، المجتمع الصهيوني ،تركيبة وتناقضاته واحتمالات تفجير الصراع مستقبلا ، ندوة المجتمع الاسرائيلي ، ١٩٨٥ ، مركز الدراسات الفلسطينية ، ص ١٨ .

62 اريبه ايريـاف:سقط الحساب، في:اسرائيلي الثانية-المشكلة السفاردية، ترجمة فؤاد جديد، منشورات فلسطين المحتلة، بيروت، ص١٨.

63 نفيس المصدر ، ص ٢٠ .

الهجرة وتقاليد مجتمعات الاصل من حيث اثارها على المستوى الحضاري لكل جماعة من الجماعات ، فضلاً على ذلك انعكاساتها على وجود ثقافات متعددة تنطوي على قيم ومعتقدات متباينة ومتناقصة. ولذلك فان المشكلة الاثنية ساهمت في خلق وظيفة هامة (للدولة) هي وظيفة الاستيعاب، مما تجدر الاشارة اليه ان هذا الوظيفة مرتبطة اساسا بالدولة ذات التكوين الاستيطاني علاوة على ذلك، فان التفاعل بين العوامل والاسباب التي كانت وراء المشكلة ادت الى بروز عدت من الازمات التي تعد من خصائص المجتمع الاستيطاني الاسرائيلي ومن ابرزها ازمتا الهوية والاندماج.

ثالثا : الصابرا(*) (صراع الاجيال) :

الصابرا : هم اليهود مواليد فلسطين قبل وبعد قيام (اسرائيل) وهم من اصل مختلط شرقيين او غربيين[٦٤] ان جيل الصابرا بهذا المعنى يضم بين صفوفه فئات عمرية شتى ليست من الشباب في شيء ويخرج من بين تلك الصفوف فئات شبابية شتى كذلك[٦٥] ان جيل الصابرا يضم بين صفوفه شيوخا وكهولا، كما ان اطفال وشباب (اسرائيل) يضمون بين صفوفهم من لاينتمون لذلك الجيل ومن ثم فانه يمكن الحديث تحت عنوان الصابرا عن شباب اسرائيل، ولكن لايجوز باي حال ان يكون الحديث تحت ذلك العنوان عن الشباب الاسرائيلي[٦٦].

وعن ظاهرة صراع الاجيال، فانها مشكلة تعرفها كل المجتمعات الانسانية حيث تثور مشكلة انماط العلاقات بين الاجيال المختلفة وبالذات في فترات التغير السياسي والاجتماعي والعلمي السريع فتزداد الهوة بين الاباء والابناء.

ولكن هذه المشكلة تأخذ شكلا مميزا في الكيانات الاستيطانية. والتي تبدو في العلاقة بين اولئك الذين هاجروا من اوطانهم التي ولدوا فيها الى وطن جديد. واولئك الذين ولدوا على ارض الكيان الاستيطاني بعد ذلك (في اسرائيل هم الذين يطلق عليهم الصابرا). اذ يثور بين هاتين الفئتين العديد من الاختلافات المتعلقة بالنظرة الى الذات (قضية الهوية والاجابة على السؤال من نحن؟) والنظرة الى الاخرين (السكان الاصليين والبيئة المحيطة بالكيان الاستيطاني والعالم الخارجي) وحول هذه الاختلافات تبرز العديد من انماط الصراع والتعاون بين الجماعتين[٦٧].

وتجد ظاهرة صراع الاجيال في (اسرائيل) اساسها في كون "الصابرا": قد ولد على (ارض فلسطين) ولا يعرف له أي وطن اخر وارتباطه بهذه الارض ليس نتيجة اعتقاد

(*)ان المعنى الحرفي لكلمة الصابرا في اللغة العبرية هو نبات التين الشوكي (الصُبار)

64 د. نظام محمود بركات ، النخبة الحاضرة في اسرائيل ، منشورات فلسطين المحتلة ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص٥٤ .

65 د. قدري حفني ، دراسة في الشخصية الاسرائيلية الاشكنازم ، مطبعة جامعة عين شمس ، مصر ، ١٩٧٥ ، ص ١٠٢ .

66 نفس المصدر ، ص ١٠٣ .

67 د. علي الدين هلال."في مفهوم الكيانات الاستيطانية" مجلة المستقبل العربي. العدد ١. السنة الاولى. مايس حزيران ١٩٧٨. ص٩٣.

ايديولوجي او ايمان بالصهيونية ولكن ببساطة لانه ولد على سطح الارض. وهو لايعرف عن معاداة اليهودية واللاسامية الا ما يقال له عنها فهو ولد في مجتمع اغلبيته يهودية ولم يواجه هذه المعاداة ولذلك فليس لديه عقدة اضطهاد كالتي عند ابويه وهو لم يحس ابداً باحساس "الاقلية" الغيتو الذي عرفه ابواه من قبل... وامتداداً لذلك يقال ايضاً ان ارتباطات الصابرا العاطفية باليهود خارج (اسرائيل) اقل من ارتباطات المهاجر وانه لا تشغله كثيراً قضايا اليهود غير الاسرائيليين بنفس الدرجة التي تشغل ذهن اليهودي المهاجر. وكنتيجة لذلك اتهم الجيل الاول من الرواد الصهيونيين الصابرا بالانهيار الروحي والاخلاقي وانهم اقلية مثالية من جيل الرواد وانهم منغمسون في اللذات المادية وانهم ليسوا ملتزمين باهداف الصهيونية[٦٨].

ولكن على الرغم من هذه الاختلافات بين جيل المهاجرين وجيل الصابرا. فان حركة الشباب الاسرائيلية لم تتجه ضد القيم التقليدية اوان تنال من المؤسسات السياسية التي تسيطر على ممارسة السلطة. ولعل تفسير ذلك ما قاله احد ابناء جيل الصابرا ((ان دولة اسرائيل محاطة بالاعداء الذين ينادون بتصفية الوجد الاسرائيلي لذلك فان الوحدة بالنسبة لبلد مثل بلدنا لا يدانيها شيء من الاهمية القصوى))[٦٩].

لهذا الصراع بين الاجيال في (إسرائيل) يختفي عندما تثار مسالة الخطر الخارجي. وعندئذ يصبح التماسك السياسي هو الحالة الطبيعية.

وعلى الصعيد السياسي. فان الصابرا. هذه الشخصية الجديدة. كان لابد ان تصل الى القيادة وان تعبر عن تصوراتها الذاتية لمستقبل المجتمع الجديد . هذا التغير القيادي الذي كان قد بدات تشعر بضرورته الطبقات الحاكمة قبل حرب الايام الستة لم يتم في موعده المناسب وكان على المجتمع الاسرائيلي ان تصيبه ازمة عام ١٩٧٣ ليسرع بتحقيق عملية انتقال السلطة من جيل الى جيل[٧٠]. ومثلت حكومة رابين ١٩٧٤. الاعلان الواضح لتدفق عناصر الصابرا على القيادة اذ ضمت مجموعة من جيل الصابرا لمركز القوة الرئيسية اولهم اسحاق رابين رئيس الوزراء وكل من الون وبارليف وبيرس ومن ناحية ثانية كان في المعارضة كل من شارون وعازروايزمن[٧١].

ولكن على الرغم من تزايد نسبة الصابرا. فان دور ابناء الصابرا السياسي يعد ضئيلا على الرغم من انهم يشكلون حوالي نصف السكان. فمجموع الذين يتولو المناصب الوزارية منهم ضئيلة ونسبتهم ١٢% من مجموعة اعضاء الوزارات ونسبتهم في الكنيست حوالي ١٥% من مجموع اعضاء الكنيست[٧٢].

---

68 د. علي الدين هلال .تكوين اسرائيل .مصدر سابق . ص ٨٤- ٨٥ .

69 د. حامد عبد الله ربيع . من يحكم في تل ابيب . المصدر السابق . ٢٢٧ .

70 د. حامد عبد الله ربيع . النموذج الاسرائيلي للممارسة السياسية . معهد البحوث والدراسات العربية . القاهرة . ١٩٧٥ . ص ٧٩ .

71 د. نظام محمود بركات . مراكز القوى ونموذج صنع القرار السياسي في اسرائيل .دار الجليل للنشر .عمان .١٩٨٣. ص ٦٣ .

72 د. نظام محمود بركات . النخبة الحاكمة في اسرائيل . مصدر سابق . ص ٥٤.

ومن الجدير بالاشارة. فان هناك اتجاهاً في الفكر الاسرائيلي. يرى في "الـصابرا" كتلة موحدة من المواطنين الاسرائيليين تحل محل الفرق المتنافرة من المـستوطنين . كتلـة يمكن من خلال تأكيد تجانسها تدعيم مفهوم جديد عن الهوية الاسرائيلية الموحدة.

ان مثل هذا الاتجاه لايمكن ان يسلم من الانتقادات ويمكن ان توجه له على النحو الآتي:-

١. هناك حقيقة هامة هي ان الميلاد على الارض الفلسطينية لم يستطع بعد ان يقضي علـى التمييز بين اليهودي الشرقي واليهودي الغربي. اذ لاتـزال تعـيش ازاء جيـل تتأكـد بخصوص التفرقة بين ابناء اليهود الشرقيين والغربيين وهذا يعني ان رباط الاقليم الـذي يجمع بينهم لم يستطع ان يلغي الفروقات والتمييز وفقاً للاصول الاثنية.

٢. ليس ثمة مايميز "الصابرا" تمييزاً جامعا مانعاً سوى العامل الجغرافي او محل المـيلاد. وبما ان علاقة الجغرافية بالطابع القومي تتمثل فيما يتركه البشر من بصمات على بيئتهم الجغرافية. بعبارة اخرى فان تأثير البشر في البيئة الجغرافية هو في مدى تمكـنهم مـن تغيير معالم تلك البيئة . قد يعكس طابعهم القومي او خصائصهم الاساسية وليس العكس. أي ان العوامل الجغرافية ليست بحال العوامل المحددة للطابع القومي للبشر. ومن هنـا فانه يمكن التاكيد على ان وحدة العامل الجغرافي الذي قد يميـز الـصابرا ديموغرافيـاً لايمكن ان يؤدي في حد ذاته الى أي تشابه في تكوينهم السيكولوجي[٧٣].

٣. بما ان الاشكنازيين يستحوذون على النصيب الاعظم من السلطة فـي اسـرائيل فـانهم حريصون على ان يستمر لهم ذلك في المستقبل من خلال امتدادهم الحضاري والسياسي والسايكولوجي-أي ابناءهم-وهذا يعنـي ان الشخـصية القياديـة سـتكون الشخـصية الاشكنازية فعلاً. أي ان الصابرا ((ليسوا سوى ابناء الصفوة الاسرائيلية الاشكنازم))[٧٤].

---

[73] د. قدري حنفي . المصدر السابق . ص ١٠٧ .

[74] المصدر نفسه . ص ١١٣ .

الخاتمة

ان عملية تكوين المجتمع الاسرائيلي هي حصيلة تكوين استيطاني استعماري. وهذا التكوين قد خلق تناقضاً اساسياً بين المستوطنين اليهود وبين اصحاب الارض الاصليين الفلسطينيين العرب. حيث الهدف الاساس للمستوطنين اليهود لحل هذا التناقض يتمثل في الغاء حضارة وثقافة الفلسطينين العرب وتصفية وجودهم بشتى الاساليب والسبل. في مقابل ذلك يقف الطرف العربي الفلسطيني الذي يشكل جماعة متماسكة قوميا وحضاريا والذي يجد عمقه على امتداد الوطن العربي الذي يرفض (اسرائيل) تحدي السيطرة الاستيطانية الاستعمارية الصهيونية ويعبر عن ذلك بكل وسائل الكفاح والنضال التي بمقدوره عملها. وعلى هذا فالوجود العربي الفلسطيني يشكل خطراً من شأن فاعليته ان تهدد بتقويض اركان المجتمع الاسرائيلي.

انعكست السمة الاستيطانية على البنية الاجتماعية فعلى الرغم من نجاح الحركة الصهيونية في استقدام المهاجرين اليهود الى ارض فلسطين غير انها فشلت في صهر جماعات المهاجرين اليهود في بوتقة واحدة.حيث ان استقدام المهاجرين رافقة في ذات الوقت عمليات استيعاب وتنشئة اجتماعية قامت بها المؤسسات الصهيونية والحكومة الاسرائيلية لتحقيق الاندماج الاجتماعي للمهاجرين المتنوعي الاصول الحضارية والثقافية. ولكن معطيات الواقع الاسرائيلي تكشف عن الفشل في تحقيق هذه المهمة حتى الان . حيث تبرز وبوضوح المشكلة الاثنية وحالة الصراع الاجتماعي بين اليهود الاوربيين واليهود الشرقيين هذه المشكلة تأخذ بعداً طبقيا -ثقافياً في التمييز ضد اليهود الشرقيين وتجعلهم في محيط المجتمع في حين يستمر الغربيون في احتلال موقع مركز المجتمع. ومن الطبيعي ان تفرز المشكلة الاثنية علاقات تنافر بين الجماعتين اليهوديتين الشرقية والاوربية تنطوي على وجود قيم ومعتقدات متباينة ومتناقضة. كم ان العنصر اليهودي الشرقي يمثل المكانة السفلى في سلم العمل والدخل بين اليهود وانعكس هذا الواقع على مركزه الاجتماعي المتدني. ومن الطبيعي فان ارتباط المكانة المتدنية اجتماعيا واقتصاديا بالتمييز ضد اليهود الشرقيين يجعل المشكلة اكثر خطورة بل قد تؤدي الى تمزق جسد المجتمع الاسرائيلي وتقوض اركانه.

فضلاً على ذلك فان البنية الاجتماعية تكشف عن وجود ظاهرة صراع الاجيال وبروز ما يطلق عليه بجيل ((الصابرا)) الذي يراهن عليه الاسرائيليون باعتباره يمكن ان يكون كتلة واحدة من المواطنين الاسرائيليين تحل محل الجماعات المتنافرة غير ان نتيجة البحث تنفي ان يشكل هذا الجيل تكويناً سايكولوجياً موحدا للهوية الاسرائيلية.

اثر اللوبي اليهودي في المجتمع الامريكي

المدرس المساعد
علاء جبار احمد(*)

المقدمة

نظراً للدور المهم الذي يطلع به اليهود في الولايات المتحدة الامريكية من نفوذ وتأثير كبيرين سواء أكان اقتصادياً ام سياسياً ام على مستوى صنع القرار السياسي في الولايات المتحدة اذ إننا نرى ان هذا الدور لا يتناسب وتعدادهم في الولايات المتحدة اذ أنهم يشكلون ما يقارب ٦ ملايين يهودي من مجموع سكان الولايات المتحدة البالغ تعدادهم ٢٨٦مليون حسب تعداد عام ٢٠٠٤.

الا ان سر قوة هذه اللوبي لا تتأتى من تعداده وانما من خلال تنظيمه الدقيق في منظمات اذ تعمل جميعها بشكل متناسق لاجل قضية واحدة وهو دعم اسرائيل، فالمتابع لهذه المنظمات والتجمعات اليهودية تعمل وتتحرك وفق الدول الذي يرسم له ولعل منظمة ايباك* هي المثال الابرز على ذلك اذ تحظى هذه المنظمة بدعم كبير داخل الولايات المتحدة.

لذا ارتئينا ان نأخذ اللوبي اليهودي كأحدى جماعات الضغط في الولايات المتحدة اذ اننا سنبين في بحثنا هذا طبيعة المجتمع الامريكي وبداية التغلغل اليهودي في المجتمع الامريكي والسبل التي من خلالها يؤثر اللوبي في صناع القرار سواء اكان في السلطة التنفيذية ام التشريعية هذه ما سوف تنظمه المبحث الاول اما المبحث الثاني فأنه سوف يتناول اهم المنظمات والمعاهد التي تعمل داخل الولايات المتحدة الامريكية اما المبحث الثالث فسيتناول للانجازات و المكاسب التي حققها اللوبي خلال الفترة السابقة.

المبحث الأول

تأثير اللوبي اليهودي في صنع القرار السياسي الأمريكي.

من المعروف ان المجتمع الأمريكي مجتمع هجين لقوميات مختلفة جاءت على شكل هجرات الى الولايات المتحدة الأمريكية خلال فترات زمنية مختلفة وهذا التكوين

(*) كلية العلوم السياسية – الجامعة المستنصرية

* وهو الاسم المختصر الذي يطلق على اللجنة الاسرائيلية الامريكية للشؤون العامة والتي تم تسجيلها بشكل رسمي عام ١٩٥٤ مستفدين من القانون الامريكي الصادر عام ١٩٤٦ والذي اعطى الحق للجماعات المختلفة في تشكيل جماعات ضغط ((لوبي)) بهدف ضمان مصالحها من خلال الاتصال المباشر او غير مباشر.

الفسيفسائي للمجتمع الأمريكي كان له دور ساعد في قيام جماعات المصالح والضغط بشكل الذي يكفله القانون (قانون اللوبي الفدرالي الصادر عام ١٩٤٦).

تعد اليهود هي إحدى الجماعات التي جاءت إلى الولايات المتحدة الأمريكية منذ فترة طويلة الا ان شعور اليهود بأنهم أقلية في أي مكان يوجدون فيه يحفز هذه المجموعة الى التقارب والتجاذب بين أبناء هذه الأقلية.

فكان التغلغل اليهودي في المجتمع منذ فترة طويلة الا ان تأثيرهم السياسي لم يبرز الا بعد ان خرجت الولايات المتحدة من عزلتها الدولية، منذ لاحظ اليهود انه من الممكن ان يكون الولايات المتحدة الأمريكية الدور البارز في دعم دولة إسرائيل الفتية آنذاك.

فعلى الرغم من الصعوبات التي واجهتها اللوبي اليهودي في البداية في تحسب ثقة صناع القرار الا انه نجح في كسب المجتمع المدني وكذلك السياسي وصناع الرأي واجهزة الاعلام ومراكز البحث.

فقد بذل هذا اللوبي مجهوداً محيراً بأستثمار الكثير من الموارد الفكرية والمالية والسياسية في محاولة لاقناع قطاعات مهمة من الشعب الامريكي بأحقية المسألة الاسرائيلية وتصوير اسرائيل على انها دولة مستضعفة يراد مسحها من الخارطة الجغرافية لغرض كسب تعاطف الرأي العام ومن ثم كسب ثقة اعضاء الكونغرس والسلطة التنفيذية لغرض التأثير في عملية صنع القرار السياسي على المستويين التشريعي والتنفيذي.

١. تأثير اللوبي اليهودي في الكونغرس

ان قوة التأثير اللوبي اليهودي في الكونغرس يتضح من خلال الانتخابات التشريعية اولاً وصنع القرار داخل الكونغرس ثانياً فاليهود بأعدادهم القليلة لا يمثلون قوة انتخابية قادرة على تغير المعدلات الانتخابية في الولايات المتحدة[1]. لكن لا يمكن ان نلغي تأثير قوة (الصدى اليهودي) في الانتخابات فاليهود لا يعتمدون على الاصوات اليهودية فقط على الرغم من مشاكتهم الواسعة في الانتخابات في الولايات المتحدة مقارنة مع باقي الفئات والشرائح الاجتماعية الاخرى اذ يقدر مشاركة اليهود بالانتخابات بـ٩٠% منهم فهم حريصون كل الحرص بالمشاركة في الانتخابات. فاللوبي يلجأ الى دعم مرشحين غير يهود ولكنهم مشهورون بتأيدهم للصهيونية وحق (اسرائيل) في الوجود ومستعدون للدفاع عنها ومن الملاحظ ان اللجنة الاسرائيلية الامريكية تكرس اكبر وقتها في الكابتول[*]، محاولة التأثير في اعضاء الكونغرس فيما يتعلق بالامور ذات الاهمية

---

[1] لي اوبراين: المنظمات اليهودية الامريكية ونشاطها في دعم اسرائيل ترجمة جماعة من الاساتذة، مراجعة د. محمود زايد. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. بيروت. ط١. ١٩٨٦. ص١٧٩.

[*] مبنى الكونغرس

بالنسبة للجنة بالاخص فيما يخص القضايا المتعلقة بأسرائيل وهذه اللجنة تضم كل مؤيد لاسرائيل بغض النظر عن الجهة التي ينتمي اليها المرشح للانتخابات ليركز بالدرجة الاساس على مدى تأييده لاسرائيل[٢]. فقد استطاع اللوبي في تحقيق نصر كبير في الانتخابات التشريعية عام ١٩٨٢ حيث اعيد انتخاب مؤيدي اسرائيل الرئيسيين الاربعة عشر الذين كانت مقاعدهم في مجلس الشيوخ عرضه للتحدي وفي مجلس النواب اعيد انتخاب كل مؤيد لاسرائيل ولم يهزم واصدر النواب اليهود الاربعة والعشرين بسبب كونه حديث العهد[٣]. وعلى الرغم من ان اليهود يحاولون السيطرة التامة على الكونجرس في سبيل عدم وصول اعضاء غير مرغوب فيهم الى الكونجرس الا ان هناك اعضاء يصلون اليه على الرغم من عدائهم للصهيونية ويناحرون العرب ويساندونهم في كثير من القضايا ومثال ذلك عجز اللوبي في الضغط على الكونجرس بعدم الموافقة على بيع طائرات الاواكس للسعودية عام[٤] ١٩٨١، ويحرص موظفو اللجنة الاسرائيلية الامريكية والمعاونون والنواب الداعمون لها، على العمل بأستمرار على رصد التطورات داخل الكونغرس واعمال اعضاء الكونجرس جميعاً، الا ان هناك تركيزاً من قبل هذا اللوبي على التطورات الخاصة بالعلاقات الخارجية او المساعدات الخارجية ويحفز مثل عن اللجنة الاسرائيلية الامريكية كل اجتماع مفتوح ليوزع البطاقات ويتصل بجرأة بكل موظف عن اعلاهم مرتبة حتى ادناهم، اما الاجتماعات المغلقة فيحضرها دائما عضو في التجمع المؤيد لاسرائيل بعناية خطاب كل عضو في الكونجرس وملاحظاته غير الرسمية، ورسائله الى ناجية ويطالع (سجل الكونجرس)[٥] بأهتمام ويؤشر على مرشحي الكونجرس فقد اظهرت دراسة قام بها (مركز السياسة الاستجابية) ان لجان العمل السياسي لاسرائيل تبرعت بعشرة ملايين دولار للمرشحين في انتخابات عام ١٩٩٨ والافراد الذين تبرعوا للجان قاموا ايضاً بالتبرع بـ ٩٠٦ ملايين دولار لاولئك المرشحين انفسهم وكلهم من المؤيدين الاقوياء لاسرائيل وفي مجلس الشيوخ ١٩٩٨ كان هناك ستة عشر عضواً تلقى منهم اكثر من ١٠٠٠٠٠ دولار من الصدرين اليهود[٦]. ومن خلال هذه التبرعات تبرز قوة اللوبي اليهودي بصورة عامة وايباك بصورة خاصة حيث اصبح لهذه

---

[٢] احمد الوعد: اخر التطورات في علاقات اسرائيل ويهود العالم ومنظماتهم، مجلة الارض. مؤسسة الارض للدراسات الفلسطينية. دمشق. العدد الخامس. ١٩٨٧. ص٥٠.

[٣] لي اوبراين: مصدر سبق ذكره. ص١٩٦.

[٤] بول فندلي: الخداع. ترجمة محمود يوسف. بيروت. شركة المطبوعات للتوزيع والنشر. ط١. ١٩٩٣. ص١١٥.

[٥] لي اوبراين: مصدر سبق ذكره. ص١٩٧.

[٦] بول فندلي:. ترجمة محمود يوسف. بيروت. شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ١٩٩٣. ص٨٨.

المنظمة تأثير بالغ في الكونجرس ليس فقط على الاعضاء اليهودي وانما ايضاً على المسيحيين منهم دون ان ينافسها احد، وهي لذلك تعد قوة فريدة من نوعها في الولايات المتحدة الامريكية[٧]، وبعد ان بينا كيفية تقديم المساعدات والخدمات لمرشحين الانتخابات التشريعية والتي تساهم في وصول اعضاء الكونجرس اليه من خلال الحملات الاعلامية والسياسية والتبرعات المادية الكبيرة التي يقدمها الى المرشحين المتعهدين بدعم اسرائيل. فبذلك يعد الكونجرس افضل صديق (لاسرائيل) في الولايات المتحدة الامريكية لقوة تأثيرها في الحملات الانتخابية وتؤثر فيه في تبني سياسة منحازة تجاه (اسرائيل) خصوصاً على القضايا ذات العلاقة بالصراع العربي الصهيوني[٨]، ولم ينحصر تأثير اللوبي اليهودي في المشرعين بل تعدى ذلك حتى وصل الى معاوني المشرعين وموظفي الكونجرس والذين يقومون من وراء الستار بدورهم في نصره سياسات معينة عن طريق القيام بالاعمال الموكله اليهم كأعداد التقارير وتقديم المشورات، ويركز اللوبي اليهودي على مفاصل صناعة القرار داخل الكونجرس وبصورة خاصة اللجان الرئيسية والفرعية في كلا المجلسين حيث ينتشر اللوبي بصورة قوية في هذه اللجان وفي أي طريق لصناعة القرار داخل الكونجرس. واللوبي اليهودي غالباً ما يركز على اللجان ذات العلاقة بالشؤون الخارجية حيث يحرص اعضاء الكونجرس من اليهود على رئاسة او عضوية اللجان ذات العلاقة بعملية صناعة السياسة الخارجية، فعلى سبيل المثال تصل نسبة اليهود في اللجنة البرلمانية للشؤون الخارجية في الكونجرس لعام (١٩٩٩) الى ٢٥% منهم [٩]، وان حرية الحركة التي يتمتع بها اللوبي اليهودي متأتية من كون أي من الحربين الجمهوري او الديمقراطي بوصفها جوهر الانتخابات الامريكية سواء التشريعية او الرئاسية بتركيبتهما التنظيمية وممارستهما السياسية فكم يكون كلا الحزبين او اعضاؤهما من الذين يبدون العداء (لاسرائيل) بغض النظر من أي منهما يكون على رأس السلطة، لذلك فمن الطبيعي ان تكون سياسة الادارة الامريكية في ظل حكم أي حزب منها منحازة (لاسرائيل) ومن هنا فان تدخل اللوبي عادة مما يأتي لزيادة مساعدة ما، او تشريعها او اقرار مساعدة طارئة او عاجلة او لاتخاذ موقف مؤيد وهي بذلك لا تتعارض في الاصل مع سياسة الولايات المتحدة الداعمة لاسرائيل اصلاً، وان (ايباك) تعد نفسها صمام الامان لاسرائيل في امريكا التي تسبق الاحداث وتعمل بالضغط

---

[٧] ياسر زغيب: ايباك. قصة الاخطبوط الصهيوني في الولايات المتحدة الامريكية. مصر دار الندى. ١٩٩٨.ص٨٣.

[٨] ياسر زغيب: مصدر سبق ذكره. ص٩٠.

[٩] تميم هاني: اللوبي اليهودي واللوبي العربي في الولايات المتحدة. مجلة السياسة الدولية، العدد ١٣٢-١٩٩٩. ص١٣٦.

لمصلحة اسرائيل حتى لو كان الضغط مكملاً وليس صانعاً دعم (اسرائيل) اما الامثلة لقرارات دعم (اسرائيل) فكثيرة حتى تصل في بعض الاحيان الى حد المزايدة في الدفاع عن اسرائيل داخل الكونجرس نفسه من جهة وبين الرئيس والكونجرس من جهة اخرى وعلى سبيل المثال بعد نقل السفارة الامريكية من تل ابيب الى القدس من أهم وأوضح الأمثلة على ذلك حيث لقب رئيس الاغلبية الجمهورية، ورئيس مجلس النواب (نيوت جنغريتش) السابق دوراً مهماً في صدور قرار من الكونجرس يقضي بنقل السفارة الى القدس بعد ان حصلت موافقة اغلبية اعضاء مجلس الشيوخ ومر هذا الموضوع دون معارضة الرئيس الامريكي السابق بيل كلنتون. اذ كان قرار نقل السفارة جزءاً من حملته الانتخابية لعام ١٩٩٢ [١٠].

٢. تأثير اللوبي اليهودي في السلطة التنفيذية

عند الحديث عن تأثير اللوبي اليهودي في السلطة التنفيذية في الولايات المتحدة ينبغي ان توضح من ان السلطة التنفيذية تتكون من قنوات عدة لصنع القرار السياسي ويرأس هذه القنوات الرئيس (الذي يعد وفقاً للدستور الأمريكي رأس السلطة التنفيذية) وتتمثل بـ (مجلس الامن القومي ووزارة الخارجية ووزارة الدفاع) إضافة إلى شبكة كبيرة من المستشارين الخاصين للرئيس.

فاللوبي اليهودي في الولايات المتحدة على العكس من جماعات اللوبي الاثنية الاخرى وبخاصة الموظفون الامريكيون فهم يتمتعون بقنوات مباشرة مع البيت الابيض تحت طريق موظفين، وهؤلاء الموظفين الذين تربطهم صلات وثيقة مع اللوبي اليهودي يرتبون الاجتماعات مع الرئيس وكبار موظفي البيت الابيض وكذلك مع المسؤولين من مع السياسة الخارجية وبالاخص تجاه الشرق الاوسط.

وكذلك يقوم هؤلاء الموظفون بنقل المعلومات الى المنظمات اليهودية الامريكية حتى تتمكن من تفعيل جهودها السياسية وحملاتها بهدف حشد الرأي العام تجاه احدى القضايا المراد تبنيها من قبل الحكومة، ومن الجدير بالذكر هنا ان توجيهات الرأي العام الامريكي يمكن التأثير فيها من خلال استخدام وسائل الاعلام الامريكية التي ترى ان اغلب من يسيطر عليها هم من اليهود الامريكان[١١]. اضافة الى وسائل الاعلام هناك مراكز البحوث والدراسات التي تغذي مراكز صنع القرار بالمعلومات والتي تدرا من قبل اليهود (هذا ما سوف نوضحه لاحقاً) اذ انه يؤثر بدوره على عملية تبني وجهة نظر اليهود فيما يخص الصراع العربي الصهيوني ومن الملاحظ ان هذه المعلومات تكون بشكل تقارير الهدف العام هو لغرض توفير واحدة معلومات لدى صانع القرار

[١٠] مجلة قضايا دولية: العدد ٢٦٥. السنة السادسة ١٩٩٥. ص٩.

[١١] فايز سايره: الصهيونية في الولايات المتحدة ودور اللوبي الصهيوني واهدافه. دمشق مؤسسة الأرض. العدد الرابع. ١٩٩٨.ص٦٩

الا ان الهدف الاساس منها هو خدمة قضية اسرائيل، بالاضافة الى ما تقدم وان لدى منظمة ايباك شبكة عمل وطنية تصدر (اخطارات عمل) توزع تشكيلة واسعة من المواد عن اسرائيل والعالم العربي معظمها جدلي الى حد كبير الا انها جميعاً تصب في نفس القضية[١٢]. ودعت الجماعات الصهيونية ايضاً تشكيلة واسعة من الاتصالات مع اعضاء الكونغرس والمسؤولين الحكوميين على المستويين الوطني والمحلي على مدى سنوات عديدة طويلة، وليقلل موظفو البيت الابيض من المواجهات المحتملة للسيطرة على جدول الاعمال ينسقون بعناية اجتماعات مع جماعات اللوبي والمنظمات الاثنية ليس فقط لتقرير جدول زمني ثان، بل ليقرر بالتحديد متى، واذا كان الرئيس سيظهر او اذا كانت هنالك (فرصة لاخذ صورة) لكن الاجتماعات مع المنظمات اليهودية الامريكية تكون موجه عام في منتهى الود، ويأتي الزعماء اليهود الامريكيون بأنتظام بصفتين: مساعدات مالية وعسكرية معنية لاسرائيل ويعربون بطرحه عن موافقتهم او عدم موافقتهم على سياسات الولايات المتحدة في الشرق الاوسط بشكل عام وسياسة الولايات المتحدة تجاه الصراع العربي بالاسرائيلي بشكل خاص.

ومن دلائل نفوذ (ايباك) في الاحزاب السياسة الامريكية، نرى ان رئيسها السابق ستيف غروسمات (Arn Christenson) المسؤول عن التشريع سابقاً في (ايباك) فهو مدير اعمال رئيس مجلس النواب الامريكي السابق نون غنغرتش[١٣]. من الجدير بالذكر ان اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة الامريكية لم يكتف بالتأثير في صناع القرار بل نرى ان دفع بالعديد من اليهود الى الادارة والسلطة التنفيذية ليكونوا من يصدر القرار وعدم الاكتفاء بالتأثير وهذا ما نراه ومما في ادارتي الرئيس كلنتون وبوش الابن وتثبت ادناه قائمة بالاسماء اليهود في الادارة الاولى لبوش الابن مع ملاحظة ان بعضهم يحمل الجنسية الاسرائيلية.

المبحث الثاني

المنظمات الصهيونية في الولايات المتحدة الامريكية يمكن تقسيمها من حيث الاهداف او وسائل الضغط التي تستخدمها الى ثلاثة اقسام:-

أ- المنظمات اليهودية التقليدية: التي تم تأسيسها في النصف الاول من القرن العشرين قبل تكوين الدولة الصهيونية في فلسطين وتشمل منظمات قبل المنظمة الصهيونية العالمية (wzo) واللجنة اليهودية الامريكية (A.j.c)

[١٢] ياسر زغيب: مصدر سبق ذكره. ص٩١.

[١٣] فواز جرجيس: السياسة الأمريكية تجاه العرب كيف تصنع ومن يصنعها. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. ٢٠٠٠. ص١١٥.

والكونجرس اليهودي الامريكي (A.j.c) وعصبة مكافحة التشهير (Aati-Defanntion) ومجلس الاتحادات اليهودية (couuci of jewish fedevations) وغيرها. وكان القاسم المشترك لتلك المنظمات هو اهدافها الاجتماعية والثقافية والسياسية في مجال خدمة الجالية اليهودية الامريكية. الا ان ظهور دولة اسرائيل كان قد حولها الى منظمات لمساعدة اسرائيل من خلال الضغط على صانعي القرار وتعبئة الرأي العام[١٤].

ب- المنظمات التي تكونت بعد قيام دولة اسرائيل امثل منظمة ستران دولة اسرائيل والفداء اليهودي الموحد التي تجمع الاموال لصرفها على مختلف المشاريع داخل اسرائيل ثم تلا ذلك تأسيس (لجنة الشؤون العامة الاسرائيلية الامريكية) والمعروفة بأسمها المختصر بـ ايباك (AIPAC) والتي اصبحت مركز الثقل في الحركة الصهيونية داخل الولايات المتحدة ومركز العمليات السياسية سواء اكانت تتعلق بالانتخابات ام المعارك في الكونغرس حول سياسة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط بما في ذلك صنفان الاسلحة لمختلف البلدان في المنطقة، تتألف ايباك في عضويتها من اكثر من ٥٥ الف شخص. في المنظمة ميزانية معلنة بقدر محدد ١٤,٢ مليون دولار ويعمل في المنظمة ١١٥ موظفاً دائما، بالاضافة الى المتطوعين ولها ثمانية مكاتب نرعيه في جهات مختلفة من الولايات المتحدة بالاضافة الى مكتبها الرئيس في واشنطن ولها وجود في اكثر من مائتي جامعة، اذ تركز على اهمية دمج التلاميذ في نشاطاتها العديدة[١٥].

جـ- المعاهد التي بدأ تأسيسها كمنهج جديد للضغط والتنظير وتعبئة الرأي العام خلال الخمس عشرة سنة الماضية وتشكل هذه (المعاهد) احدى أنماط التنظيم في الاوساط الصهيونية، اذ نتعرف بصيغة اكاديمية سياسية، فتعقد مؤتمرات وندوات وتمد وسائل الاعلام التحليل والنقد وتوظف (المعاهد) باحثين معروفين بتعصبهم لاسرائيل، وكثيراً ما يتقلد هؤلاء فيما بعد مناصب مهمة في الادارة الامريكية او في الكونغرس.

ويرتبط بهذه المنظمات الصهيونية مراكز الدراسات الاستراتيجية اليهودية التي تقدم التقارير والدراسات وتظل برجال الكونغرس والاعلام بشكل مكثف ومنظم وتحاول التأثير في صانعي القرار السياسي والاستراتيجي الامريكي، ومن هذه المراكز والمعاهد السياسية والاستراتيجية الفعالة معهد واشنطن لسياسة الشرق الادنى

[١٤] ياسر زغيب: مصدر سبق ذكره. ص٩١.
[١٥] فواز جرجيس: مصدر سبق ذكره. ص١٠١.

(WINEP) الذي اسسه مارتن انديك ويديره الان دنيس روس بعد خروجه من الادارة الامريكية. ويعد المركز اول من قدم دراسة عن الشرق الاوسط للرئيس بوش الابن تحت عنوان ((تقرير فريق الدراسة الرئاسي والابحار عبر الاضطراب، وامريكا والشرق الاوسط في قرن جديد)) واستطاع المعهد ان يسوق دراسته تحت شعار فريق يضم اعضاء من الحزبين ليلبس ثوب الموضوعية والاكاديمية في الوقت الذي يخدم اسرائيل[١٦].

ويوجد ايضاً مركز فريمان للدراسات الاستراتيجية في تكساس (FCSS) Frecnan center for streagic Affairs والمعهد اليهودي لشؤون الامن القومي Jewish Institute for Nationol Securtiy Affairs (jinsa) ومعهد الدراسات السياسية والاستراتيجية المتقدمة Advouced strategic Institute for والذي يوجد له مركز في كل من القدس وواشنطن ويرأس هذه المراكز اليهودية نخبة من الذين عملوا في الادارات الامريكية المتعاقبة ولهم ارتباط بطريق مباشر او غير مباشر مع صانعي القرار السياسي وفي هندسة الاستراتيجية. واستطاعت هذه المراكز ان تؤدي دوراً مؤثمراً ومقالاً في العقدين الاخيرين وخاصة منذ بداية الثمانينات في عهد الرئيس رونالد ريجان، وازداء تأثيرهم ونفوذهم وسيطرتهم في عهد كلنتون وجورج بوش الابن[١٧].

ونجد ان معهد الدراسات السياسية الاستراتيجية المتقدمة الذي تأسس عام ١٩٩٦ مديرة روبرت لوينبرج Robert Loewenberg ويؤدي ريتشارد بيرل Richard Perlo دوراً حيوياً واصدر فريق المعهد في عام ١٩٩٦ دراسة عن ستراتيجية اسرائيل عام ٢٠٠٠، وكان رئيس فريق الدراسة بيرل هو نفسه الان رئيس مجلس سياسة الدفاع لوزارة الامريكية وليس غريباً ان يكون ينزل هو الذي يشرف على التخطيط الاستراتيجي الاسرائيلي الذي يتبناه حزب ليكود، كذلك هو يشرف الان على الاستراتيجية الامريكية من خلال ترؤسه مجلس سياسة الدفاع (DPB) ويدير المعهد اليهودي لدراسات الامن القومي ستيفن براين Stephen Bryen وكان براين نائباً لريتشارد بيرل عندما كان الاخير يشغل منصب مساعد وزير الدفاع الامريكي لشؤون الامن الدولي في حكومة ريجان[١٨].

---

[١٦] فواز جرجيس: مصدر سبق ذكره. ص١١٥.

[١٧] The 2000 presidential study Group Navigating Through Tubulauc: American and Middle East in anew century Washington. Is state for Near East Policy 2001.

[١٨] عبد الخالق عبد الله: الاتجاهات الجديدة في علم السياسة. المستقبل العربي، عدد ٩٤٩. تموز ١٩٩١. ص٣٧.

ويضاف الى هذه المراكز الاستراتيجية عشرات اليهود المنتشرين في مراكز الابحاث السياسية والجامعات الامريكية الذين يسهمون بدور فعال في توجيه الفكر السياسي والاستراتيجي في الولايات المتحدة، وعلى وفق حصائيات اوائل عقد التسعينات من القرن الماضي ، فان هناك في الولايات المتحدة اكثر من ١٥ الاف عالم سياسة، يشكلون ٧٥% من اجمالي علماء السياسة في العالم يتزايد عدد هؤلاء العلماء في الولايات المتحدة بمعدل مائة عالم كل عام، وان ٢٢% من اجمالي هؤلاء العلماء هو من اليهود، ومنهم من استطاع في العقد الاخير ان يروج لنظريات الصراع والمواجهة مع العالم الاسلامي حتى قبل احداث ١١ ايلول، ومن هؤلاء صموئيل هنتجون اليهودي الاستاذ في جامعة هارفارد صاحب نظرية صدام الحضارات، التي ثبتتها الادارة الامريكية، وهناك ايضاً برنارد لويس في جامعة برنتسون ودانيل باريس ومارتن كرامر وهم اصحاب نظرية المواجهة مع العالم الاسلامي بعد نهاية الشيوعية والحرب الباردة[١٩].

وفي الوقت الذي يروج هؤلاء للمواجهة، فان هناك مدرسة اخرى وهم من المستشرقين الجدد والذين ينتقدون نظرية صدام الحضارات ويؤكدون امكانية التوافق والتعايش مع العالم العربي والاسلامي، وعلى رأس هؤلاء هون ابيبوستو وفريد هاليدي والملاحظ ان جماعة مدرسة المواجهة هم اليهود وان مدرسة التعاون هم من المسيحين الذين كتبوا في السياسة الدولية والعالم العربي.

ويضاف الى هذه المراكز اليهودية مراكز الابحاث ذات الاتجاه اليميني المحافظ التي تتعاون مع المراكز اليهودية او يعمل بها اليهود كباحثين ومستشارين كما هو الحال في منظمة التراث Heritge foundauler ومعهد AEnter Dvise instate for Public policy Rese American فهذا المعهد الذي لايزال بيرل يعمل ضمن ملاكاته يتبنى الاتجاه المتطرف المؤيد لسياسة اسرائيل حتى معهد بروكنجر (Brookings) الديمقراطي الليبرالي الذي اسهم في عقد السبعينات من القرن الماضي بطرح بعض التصورات لحل الصراع العربي الاسرائيلي وتبنت ادارة كارتر بعض افكاره، منذ تم اختراقه واصبح مارتن انذاك مديراً لمركز دراسات الشرق الاوسط بالمعهد وهناك ايضاً معهد الدراسات السياسية الخارجية في فيلادلفيا (Resenvch intertah foreign policy) والذي يصدر بعض الدراسات ومجلة (Orbis) الفصلية، وظل دانيل بايس يديره لمدة طويلة، ومازال الصوت اليهودي

---

[١٩] بوكسيل سيزغين: هل يشكل الإسلام تهديداً للغرب، ترجمة هشام الدجاني. الثقافة العالمية. عدد ١٠٧. ٢٠٠١. ص١٣٣-١٤٢.

مهيمناً على المعهد من امثـال ادم كارتنجـل الـذي اصبـح محـرراً لمجلـة (National Interst) الفصيلة المحافظة وغير هؤلاء كثير[٢٠].

ان هذه المراكز المعاهد الاستراتيجية المحافظة واليهودية ومن خلال العاملين فيها تطرح مخططات وتصورات استراتيجية لمنطقة الشرق الاوسط كلها تدعو الـى تهميش الدول العربية وتدعو الى هيمنة اسرائيل مثل الدعوة الى التحالفات الاقليميـة والحرب على العراق وتقسيم المنطقة الى كانتونات سياسية عرقية ودينية تهدد الامـن القومي الغربي.

المبحث الثالث

الانجازات التي حققها اللوبي اليهودي:

هنالك العديد من الانجازات التي حققها اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة والتـي استطاع من خلالها تحقيق العديد من المكاسب المادية مثل المـساعدات الماليـة والقـروض الطويلة الأجل والمساعدات العسكرية او المعنوية الدعم اللا محدود مـن جانـب الولايـات المتحدة في المنظمات الدولية حتى وصل الحال بها استخدام النقض (الفيتو) ضد أي قـرار او مشروع قرار يشير الى إدانة إسرائيل جراء تصرفاتها مع الفلسطينيين او اعتدائها المـستمر عليهم.

ولأجل ان نوضح تأثير اللوبي اليهودي في السياسة الأمريكية سوف نأخذ أهم مـا حققه هذا اللوبي في فترة الثلاثة عقود الأخيرة:

اولاً: خلال عقد السبعينات[٢١].

١. ارتفاع ميزانية الايباك إلى ٧٥٠ ألف دولار سنوياً وهذا الرقم كان انـذاك (مطلـع السبعينات) مبلغاً كبيراً مقارنة بباقي المنظمات الموجودة على الساحة الامريكية مما ادى الى تفعيل الانشطة اليهودية والانفاق على اعضاء الكـونجرس فـي حملاتهـم الانتخابية.
٢. انشاء مراكز يهودية للبحوث المتعلقة بالشرق الاوسط بحيث اصبحت تلك المراكـز المصدر الرئيسي الامريكي وسياسته في الاطلاع على مجريات الامور في الـشرق الاوسط وتوجيه الرأي العام بشأنها فعلى سبيل المثال وافق الرئيس الامريكي كارتر تحت تأثير وضغط الكونجرس واللوبي في صفقة الـسلاح الامريكيـة (لاسـرائيل)

---

[٢٠] فواز جرجيس: مصدر سبق ذكره. ص١١٥.

[٢١] محمد عبد العزيز: المعونات الامريكية لاسرائيل، بيروت. مركز دراسات الوحدة العربية. ١٩٩٧.ص١٩٠.

انظر ايضاً: تميم هاني: مصدر سبق ذكره. ص١٣٥.

انظر ايضاً: فواز جرجيس: مصدر سبق ذكره. ص١١٥.

وكذلك الحلقة النقاشية التي ادراها بهجت قرني. مركز دراسات الوحدة العربية في ١٩٩٨/٢/٢٨. ص٩٢-٩٥.

وبقيمة ٢٥٠ مليون بعد ان كانت علاقة الرئيس مع اللوبي ينتابها بعض البرود ولم يكتفي اللوبي بذلك بل ذهب ليضع العراقيل امام اتمام صفقة الطائرات f١٥ للسعودية اذ قام الكونجرس وبتأثير منه بأدخال بعض التعديلات على الصفقة، وبالمقابل حصلت (اسرائيل) على ٩٥ طائرة من طراز f١٦، f١٥ وبكامل ملحقاتها.

٣. ادى اللوبي اليهودي دوراً كبيراً في اتفاقية كامب ديفيد (بين مصر واسرائيل عام ١٩٧٨) واجبر الرئيس كارتر ان يصادق على مساهمة الولايات المتحدة بمساعدات مالية ضخمة للجانبين على الرغم من ان الولايات المتحدة كانت تعاني من ركود اقتصادي في تلك الفترة (نهاية السبعينات).

٤. رافق مجلس الشيوخ الامريكي باغلبية ٧٥ صوتاً ضد ٩ اصوات على تعديل قانون الاعتماد الخاص بشراء الاسلحة بهدف السماح ببيع الاسلحة (لاسرائيل) بقروض وذلك حتى ٣٠ سبتمبر ١٩٧٢م.

- وافق مجلس الشيوخ الامريكي على مد فترة التفويض الممنوح للرئيس نيكسون لاعطاء (اسرائيل) تسهيلات ائتمانية لشراء السلاح الى ما بعد ديسمبر ١٩٧٣م.

وفي امدا (اسرائيل) بالعتاد العسكري الثقيل. كان ذلك يوم ١٤ اكتوبر ١٩٧٣م.

- اعلنت المصادر العسكرية الامريكية ان الولايات المتحدة في سباق مع الزمن لارسال المساعدات العسكرية الى (اسرائيل) تعويضاً عن خسائرها الجسيمة في الحرب القائمة في الشرق الاوسط، أي حرب تشرين عام ١٩٧٣م.
- وافق مجلس الشيوخ الامريكي باغلبية ٦٨ صوتاً ضد ٢٢ على تجديد القانون الخاص بالسماح ببيع اسلحة امريكية الى (اسرائيل) بالقروض، كان ذلك في ٥ حزيران ١٩٧٥م.
- وافق الكونجرس الامريكي على قانون المساعدات الخارجية للعام المالي ١٩٧٧ حيث تحصل بموجبه (اسرائيل) على ٧٣٥ مليون دولار مساعدات و ١٠٠٠ مليون كقروض عسكرية لمبيعات السلاح.
- وفي اكتوبر ١٩٧٦ اعتراف الرئيس الامريكي فورد انه تجاوز وزارتي الخارجية والدفاع عندما اتخذ قرار تزويد (اسرائيل) بصفقة الاسلحة الجديدة المتطورة.
- وافقت لجنة الاعتمادات التابعة لمجلس النواب الامريكي على تقديم ٧٨٥ مليون دولار مساعدات دفاعية (لاسرائيل) وذلك في اطار برنامج المساعداتت الخارجية للسنة المالية الحديدة ١٩٧٨م.

ثانيا: خلال عقد الثمانينات

اما هذا العقد فانه شهد تطورات وانجازات اهمها:

١. استطاع اللوبي اليهودي ان يعزل شخصيات مهمة داخل الكونجرس كانت معادية لاسرائيل من خلال استغلالها اللجنة الخاصة اليهودية المتعددة فقد تم اقصاء رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ السيد (تشارلز برس) والسناتور (روجر جفرسون) عضو لجنة الخدمات العسكرية (بول فندلي) عضو مجلس الشؤون

الخارجية وبالمقابل اسهم اللوبي في انجاح السناتور (كارل لفين) و (بوسوينز) واخرين ينتمون للمعسكر الاسرائيلي ومن خلال اصدقائهما بالكونجرس استطاعت اسرائيل الضغط على ادارة ريغان بخصوص عملية السلام وكذلك الصراع العربي الإسرائيلي.

٢. نتيجة للضغط اعلاه استطاعت اسرائيل ان تنتزع تصريح من الرئيس (ريغان) بخصوص المستوطنات اليهودية حيث قال (انها مجرد امر غير مرغوب فيه بالوقت الحاضر) متجاهلاً الوضع القانوني لها ونتيجة لذلك فقد تم بناء ١٠٠ الف وحدة بالضفة الغربية و ٣٠ الف بهضبة الجولان و ١٠ الاف وحدة في غزة.

٣. على الرغم من التوترات التي شهدتها العلاقات الإسرائيلية ابان عقد الثمانينات بسبب مذابح صبراً وشاتيلا والغزو الإسرائيلي للبنان وبناء المستوطنات الإسرائيلية. ورفضهم لخطة (ريغان) للسلام، وعلى الرغم من ذلك كله استطاع اللوبي ان يحقق زيادة في المساعدات المالية (لإسرائيل) فبينما كانت إسرائيل تحصل سنوياً على مبلغ ٧٨٥ مليون دولار ارتفع هذا الرقم ليصل إلى ١٠٥٠ مليون سنوياً وذلك في عام ١٩٨٧.

٤. استطاع اللوبي اليهودي عام ١٩٨٤ ان يضغط على الكونجرس ليصدر بياناً يؤكد فيه عدم احقية أي مسؤول بالحكومة الامريكية ان يعترف او يتفاوض مع أي ممثل من منظمة التحرير الفلسطينية، طالما لم تعترف المنظمة بدولة اسرائيل.

٥. استطاع اللوبي اليهودي ان يوقف التساؤلات التي وجهت اليه حول انتهاك (اسرائيل) لحقوق الانسان عقب الانتفاضة الفلسطينية عام ١٩٨٧م.

ثالثاً: عقد التسعينات

شهد عقد التسعينات عدداً من التطورات المهمة في اطار ما يسمى بعملية السلام بالشرق الاوسط من بينها مؤتمر مدريد الدولي للسلام ١٩٩١ وتوقيع اتفاقيات او سلو بين منظمة التحرير الفلسطينية و (اسرائيل) ١٩٩٣ وانعقاد مؤتمر شرم الشيخ لصانعي السلام ثم اتفاقية واي ريفر الى جانب العديد من الاحداث المهمة التي حدثت في عقد التسعينات، وقد كان اللوبي، الصهيوني الدور المهم للضغط على الولايات المتحدة لاتخاذ قرارات معينة تجاه تلك القضايا ومنها حرب الخليج والحملة الموجهة ضد ليبيا والسودان وتطور العلاقات بين (اسرائيل) وتركيا ولكن يمكن ان نجمل اهميتها بما يأتي:

١. تخوفا من احتمالات توجيه العراق صواريخه ضد (اسرائيل) عام١٩٩١، قام الكونجرس الامريكي بناء على طلب تقدمت به اللجنة اليهودية الاستشارية وعدد من الاعضاء في الكونجرس بمنح (اسرائيل) ما قيمته ٦٥٠ مليون دولار على شكل صفقة صواريخ باتريوت واجهزة اخرى للدفاع الجوي كمساعدات فورية.

٢. وافق الكونجرس عام ١٩٩٢ على اقتراح مقدم من عناصر اللوبي الصهيوني الاسرائيلي بتقديم قرض قيمته ١٠ ملايين دولار على شكل ضمانات تهدف الى تسهيل تزوج ٦٠٠ الف مهاجر يهودي من روسيا واثيوبيا الى (اسرائيل). وقد نجح

اللوبي الاسرائيلي داخل الكونجرس من مقاومة اتجاهات الادارة الامريكية لربط هذه التسهيلات بوقف (اسرائيل) بناء مستوطنات جديدة.

٣. اصدر الكونجرس قانون يحذر بيع التكنولوجيا المتطورة لاي من العراق او ايران حتى لا تستخدم في تطوير نظم اسلحة غير تقليدية وكانت اجهزة الاعلام اليهودية في نيويورك وكاليفورنيا قد اثارت حملات كبيرة ضد الدولتين باعتبارها راعيتين للارهاب وجاهزتين لقصف (اسرائيل) وتدميرها.

٤. قام عدد من اعضاء الكونجرس الامريكي الموالي لاسرائيل بتقديم مشروع قانون عام ١٩٩٥ شاركت في صياغته منظمة ايباك يقضي بنقل السفارة الامريكية من تل ابيب الى القدس.

٥. توسع اهتمام اللوبي الاسرائيلي ليشمل العلاقات بين الدول الاخرى مثل العلاقات بين ايران التي ظهرت بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، حيث اجبرت على استصدار قانون يقضي بمعاقبة الدول التي تقدم استثمارات ذات حجم معين مع ايران او بيع ايران تكنولوجيا عسكرية متقدمة.

٦. قدم الكونجرس بناء على نصيحة الايباك عام ١٩٩٧ مساعدات (لاسرائيل) بقيمة ١٠٠ مليون دولار لمساعدتها على مقاومة ما يسمى بالارهاب.

٧. بناء على ضغوط من عناصر اللوبي (الاسرائيلي) اخطرت الادارة الامريكية على استخدام الفيتو عند طرح مشكلة المستوطنات (الاسرائيلية) الجديدة في منطقة ابو غيثم بالضفة الغربية وقد استخدم هذا الفيتو مرتين يوم ٧ و ٢١ مارس ١٩٩٧.

٨. ١٣ مارس ١٩٩٩م: ابقى وزير الدفاع الامريكي وليام كوهين على احتمال تزيد الولايات المتحدة مساهمتها في مشروع صواريخ (ارو) (الاسرائيلي) الذي يتكلف ١٥مليار دولار. ذلك عام ١٩٩٩.

٩. ١٤ مارس ١٩٩٩ قال كوهي وزير دفاع الولايات المتحدة ان مساعدات جديدة قيمتها ١,٢ مليار دولار وعدت بها بلاده (اسرائيل) لمساعدتها في تنفيذ عمليات اعادة نشر القوات في الضفة الغربية.

١٠. اعلنت واشنطن في سبتمبر ١٩٩٨ م انها عرضت بيع طائرات (F-١٥) و ٦٠ طائرة (F-١٦) (لاسرائيل) مقابل خمسة مليارات دولار.

١١. ١٦ يناير ٢٠٠٠م اعلنت السلطات الاحتلال الصهيوني ان واشنطن وافقت على تزويدها بخمسين مقاتلة حديث من طراز (F-١٦) الامريكية الصنع. واشارت اذاعة الكيان الصهيوني ان العقد قابل للمرونة اذ انه يتضمن امكانية بيع الكيان الصهيوني ٦٠ مقاتلة اخرى من الطراز نفسه.

١٢. ٢٥ يوليو ٢٠٠٠م كشف تحقيق امريكي اجري اخيراً ان سلاح الليزر الذي اعده الجيش الامريكي لحماية المستوطنات الصهيونية في شمال فلسطين المحتلة من صواريخ الكاتيوشا هو سلاح في غاية الخطورة على الانسان.

الخاتمة

من خلال متابعة ما حققه اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة الامريكية من انجازات ومكاسب عن طريق الضغط على صناع القرار هناك يتبين لنا:-

١. ان اليهود في الولايات المتحدة الامريكية ادركوا الخطأ الذي ارتكبوه في اوربا من خلال العزلة التي كانوا يعيشونها. لذلك اعتمدوا ستراتيجية جديدة في ان يندمجوا ويتفاعلوا مع المجتمع الامريكي ويكونوا جزءاً منه.
٢. على الرغم من ان عدد اليهود لا يتعدى ٢,٥% من تعداد سكان الولايات المتحدة الامريكية الا ان ٢٠% من معدلي الولايات المتحدة هم من اليهود. وهذا ما يبرز مكانتهم على المستوى الاقتصادي وهذا ناتج من الاندماج الذي ذكر آنفاً بالاضافة الى العقلية الاستقلالية لليهود والنزعة القومية عندهم مكنتهم من احتلال مراكز متقدمة جداً في الولايات المتحدة على الصعيدين الرسمي وغير الرسمي.
٣. استقلال اليهود في الولايات المتحدة المراكز السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها التي توصلوا اليها لتأسيس جمعيات ولجان ومنظمات ذات سماء ومهام مختلفة الامر الذي جعلهم الطائفة الاولى في هذا المجال.
٤. يعد اللوبي الصهيوني ابرز مؤسسة يهودية في الولايات المتحدة تحمل لواء دعم اسرائيل والعمل من اجل مصالحها في الادارة الامريكية وخارجها وهناك الكثير من المؤسسات اليهودية تدور في فلك اللوبي وتعمل وفق الخطة والدور المرسوم لها.
٥. ان التوافق الحاصل بين ما يدعوا اليه اللوبي في دعم اسرائيل وبين الاستراتيجية الامريكية تجاهها ساعد بشكل كبير اللوبي اليهودي على الحركة في الساحة الامريكية بثقة كبيرة ونجاح بارز ومقدرة واضحة على التأثير.
٦. على الرغم من اختلاف التسميات وتنوع المهام، الا ان الغالبية العظمى ان لم تكن جميعها اللجان والمنظمات والجمعيات اليهودية، عملت وتعمل من اجل (دولتهم) القومية اسرائيل، كل واحد حسب دائرة اهتمامه.
٧. لم يكتف اللوبي بالتأثير في صناع القرار بل دفع بالعديد من اليهود الى الخط الاول في الادارة وهذا ما نراه واضحاً في ادارتي كلنتون وبوش الابن ليكونوا هم من يدعم ويصدر القوانين المفيدة لدولة اسرائيل وعدم الاكتفاء بالتأثير على صناع القرار.

الطريق الثالث
خطوة في مجال التجريب السياسي ما بعد الحرب الباردة

المدرس المساعد
خضير ابراهيم سلمان (*)

المقدمة

لا تتوافر الادبيات على تعريف لمفهوم المرحلة الانتقالية فالجامعة الاكاديمية قالت عنها[1]. ولكن من دون ان تذهب الى تحديد المفهوم. وبالعودة الى تجارب المراحل الانتقالية بدلالة تلك المدة الزمنية التي تفصل بين واقع تداعى وانتحى واخر لم يكن بعد، والتي تبعاً لذلك، تنطوي على ما يمهد السبيل لبلورة الواقع الجديد ومعطياته، أي انها بعبارة اخرى، الحاضر الذي يربط الماضي بالمستقبل في دورة زمنية كاملة ومتجددة، على ان المراحل الانتقالية على وفق تجربة التأريخ، ليست واحدة من حيث بعدها الزمني، فهي قد تستغرق وقتاً طويلاً، كتلك التي فعلت بين عهد الاقطاع ونشوء الدولة القومية، وهي قد تكون قصيرة مثل تلك التي عقبت نهاية الحرب العالمية الثانية وبدأ الحرب الباردة، فكيف الحال في عالم الاتصالات الحديثة الذي جعل العالم يبدو "قرية صغيرة". ولم يكن هذا التباين بمعزل عن بطء او سرعة حركة المتغيرات الدافعة الى التغيير باتجاه الجديد ونوعية اثارها. ومع ذلك يتفق الرأي على ان العالم لم يكن ساكناً[2]. اذ بدأ العالم يدرك خطر العولمة الامريكية وابعادها الثقافية والاقتصادية والسياسية[3].

ومن المثير ان هذا الرفض قد بدأ في الارض الامريكية نفسها واخذ بعض الامريكان يحذرون من خطر السياسة الاقتصادية الامريكية على المواطن الامريكي نفسه ووفقاً لذلك، نجد ان جيدنز يستعمل مصطلح "الطريق الثالث" للاشارة الى عملية تجديد الديمقراطية الاجتماعية، فهو يأخذ هذا المفهوم للاشارة الى اطار فكري واطار يضع السياسة والذي يبحث عن تكييف الديمقراطية الاجتماعية مع العالم الذي اصابه التمييز بشكل جذري، انه "الطريق الثالث" بمحاولة تخطي كل من الديمقراطية

(*) كلية العلوم السياسية – الجامعة المستنصرية

[1] شكري بلعيد، نظام دولي جديد ام مرحلة انتقالية، مجلة شؤون سياسية، بغداد، العدد٣، ١٩٩٤.

[2] Richard. Rosecrance. Intemational releations: peace of war, new yourk: Mcgraw-Itill book com paney, 1973, pp.25-49.

[3] حكمت عبد الله البزاز، العولمة والتربية، سلسلة افاق ٢٢، دار الشؤون الثقافية العامة، افاق عربية، ط١، بغداد، ٢٠٠١، ص٩٠٦.

الاجتماعية ذات الطراز القديم والليبرالية الجديدة، وفي تصورنا فأنه يحاول ان يؤلف بين الراسمالية والاشتراكية[4].

ويعلمنا تأريخ الافكار ان الجدل النظري لا يحسم قوة الاطراف الداخلة فيه والتي تتعارض رؤاها بالنسبة لموضوع محل الجدل ولكن حكم التاريخ هو الحاكم وهو يتمثل في وقائع ملموسة من شأنها ان تثبت صحة او زيف الاحكام التي صيغت في الجدل[5]. وهذا ما حدث في الواقع بالنسبة للجدل المتعلق بنهاية الايديولوجية الذي دار في الثمانينات وبالتحديد عام ١٩٨٩ بعد سقوط الانظمة الشمولية وانهيار الشيوعية ومن ثم انهيار مشروعها للتغيير الاجتماعي الرايدكالي للعالم[6].

ومن هنا ارتى الباحث تقسيم البحث وفق المحاور الآتية:

المحور الاول: مصطلح الطريق الثالث
المحور الثاني: اجواء التغيير (للجذور)
المحور الثالث: الجوانب التطبيقية للطريق الثالث
المحور الرابع: قضية المجتمع المدني
الخاتمة

المحور الاول
مصطلح الطريق الثالث

ان مصطلح الطريق الثالث تم تداوله منذ ان استخدام البابا بيوس الثاني عشر اواخر القرن التاسع عشر، حينما دعا الى طريق ثالث وسط بين الاشتراكية والرأسمالية، ومنذ ذلك الحين انتشرت استخداماته تحت مسميات مختلفة قريبة عن "الطريق الثالث"مثل طريق الوسط الذي استخدمه هارولر ماكميلان في بداية القرن العشرين وانتشر عندما تأسست حركة الاشتراكية الدولية عام ١٩٥١[7]. وهناك من يشير الى الأنموذج اليوغسلافي تحت قيادة تيتو بأنموذج الطريق الثالث وكذلك يشير الى معظم الحركات والنماذج التي قامت في الخمسينيات والستينات من القرن الماضي والتي لم تتبع الاشتراكية في أنموذجها السوفيتي ولا الراسمالية في أنموذجها السائد في

---

[4] انطونيو جيدنز، الطريق الثالث تجديد الديمقراطية الاجتماعية، ترجمة وتعليق د. مالك عبيد ابو شهيرة، ود. محمد خلف.

[5] د. رجاء ابراهيم سليم، النظام العالمي الجديد وانعكاساته على افريقيا، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٠٧، ف ك، لسنة ١٩٩٢، ص١٨٥.

[6] فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ، ترجمة وتعليق، د. حسين اشليخ، بيروت، دار العلوم العربية، ١٩٩٣، ص ص٨-١٥.

[7] انطونيو جيدنز، مصدر سبق ذكره، ص١٣.

الدول الغربية[8]. وفي السبعينيات استعمل المصطلح للاشارة الى اشتراكية السوق، وكان الديمقراطيون الاجتماعيون في السويد اكثر من تحدث عن الطريق الثالث، وفي اواخر الثمانينات واوائل التسعينيات برز مرة اخرى مصطلح الطريق الثالث للاشارة الى مستوى الحركة، الاحازاب الممثلة ليسار الوسط والموجودة في البلدان الاوروبية وعلى مستوى الفكر الى التوجه الذي يسعى الى اعطاء وجه انساني للرأسمالية الجديدة[9]. واصطلاح الديمقراطية الجديدة وبغض النظر عن المناقشات العديدة المختلفة والواسعة حول الطريق الثالث يمكن في النهاية تحديد المفهوم على انه يعني محاولة جديدة لتجاوز الاشتراكية الديمقراطية والليبرالية الجديدة وخصوصاً بعد التحولات الكبرى التي حصلت في المجتمعات الغربية نهاية القرن العشرين[10].

والطريق الثالث هو محاولة التوفيق بين ايجابيات التوجهات الاشتراكية ومنها اعتبارات العدالة في التوزيع، وكذلك بين حركة بعض النزعات الرأسمالية ومنها التركيز على الحافز الفردي كأساس للتقدم[11].

ولابد من الاشارة هنا من ان اغلب الكتاب والباحثين والمهتمين في السياسية ينظرون الى انطونيو جيدنز على انه المنظر الاول "الطريق الثالث" في بريطانيا وهو يعد الاب الروحي لتوني بلير الرئيس البريطاني الحالي فقد اعتمد بلير رئيس وزراء بريطانيا الحالي على الاسهامات الفكرية لجيدنز كي يؤسس حزب العمال الجديد والذي صاغ برنامجه السياسي في ضوء الافكار والطروحات الذي تبناها جيدنز في "الطريق الثالث"، ومن هنا يمكن القول ان "الطريق الثالث" اصبح فلسفة جديدة تحاول ان تتبناها مجتمعات غربية متعددة وذلك للخروج من مآزق اسلاتقطاب الايديولوجي الحاد بين الرأسمالية والاشتراكية[12]. حيث استطرد السيد يسين: قائلاً ستكون هنالك محاولات للتوفيق بين الفردية والجامعية على الصعيد الايديولوجي والاقتصادي والسياسي[13]:

- بين العلمانية والدين.
- بين عمومية مقولة الديمقراطية وخصوصية التطبيق.
- بين القطاع العام والخاص.
- بين الاستقلال الوطني والاعتماد المتبادل.
- بين المصلحة القطرية والمصلحة الاقليمية.

---

8 المصدر نفسه، ص١٤.
9 نقلاً عن المصدر نفسه، ص١٤-١٥.
10 نقلاً عن المصدر نفسه، ص١٤.
11 المصدر نفسه.
12 السيد يسين، الطريق الثالث ايديولوجية سياسية جديدة، مجموعة مقالات، ص٥٠-٦٠.
13 المصدر نفسه، ص٦٠-٧١.

- بين الانا والاخر على الصعيد الحضاري.
- بين الدول الكبيرة المركزية في مواجهة التجمعات المحلية.
- بيت تحديث الانتاج وزيادة الاستهلاك وتنويعه والبحث عن معنى للحياة في الوقت نفسه.
- بين زيادة التنمية في البلاد المتقدمة ومساعدة دول العالم الثالث.
- بين الاعلام القطري والاعلام العالمي: وقد حرص الكاتب "السيد يسين" ان يحدد سمات ما اطلق عليه الأنموذج التوفيقي العالمي بسمات ست وتحفظ قائلاً (لو استطاعت قوى التقدم ان تنتصر على قوى الرجعية)[14].

وهذه السمات هي:

١. التسامح الثقافي المبني على مبدأ النسبية الثقافية في مواجهة العنصرية والمركزية الاوروبية.
٢. النسبة الفكرية بعد ان تنتصر على الاخلاقية الايديولوجية.
٣. اطلاق الطاقات الخلاقة للانسان في سياقات ديمقراطية على كافة المستويات.
٤. العودة الى احياء المجتمعات المحلية وتقليص مركزية الدولة.
٥. احياء المجتمع المدني في مواجهة الدولة التي غزت المجال العالم.
٦. التوازن بين القيم المادية والقيم الروحية والانسانية[15].

المحور الثاني

اجواء التغيير (الجذور)

في التسعينات اثار عالم الاجتماع الامريكي دانيل بل في كثير من الدوائر السياسية والاكاديمية عن نهاية الايديولوجية ومنذ ذلك الحين قامت عدة مناظرات حول موضوع "الطريق الثالث" بين مؤيد ومعارض وان كان يمكن رد اصول الموضوع، ان اردنا تطبيق مناهيج واساليب علم اجتماع المعرفة الى المعركة الفكرية الكبرى التي كانت دائرة بين الشيوعية والرأسمالية ابان الحرب الباردة[16]. لقد ادت التحولات الكبرى التي حصلت في المجتمعات الغربية في نهاية هذا القرن الى حدثين مهمين:

١. سقوط الاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية في اوروبا الشرقية وما ترتب عن ذلك من تداعيات، اهمها فقدان الثقة في المشروع الماركسي وفشل التخطيط ومخالفة حقوق الانسان وغياب الديمقراطية وابتلاع المجتمع المدني

14 نقلاً عن المصدر نفسه، ص٦٢.
15 سيد يسين، مصدر سبق ذكره، ص ص ٦٢-٦٣.
16 المصدر نفسه، ص٧٠.

من طرف الدولة وبعد ان اتضح "ان الانسان لا يعيش بالخبز وحده"[١٧] وانما يحتاج الى ان يمارس حرياته كافة وخاصة السياسية منها والتي تتمثل في حرية التفكير وحرية التعبير وحرية التجمع وحرية الاختيار بحيث لا يتناقض مع حريات ومبادئ المجتمع المدني[١٨].

٢. ضعف الاجتماع حول فكرة الرفاهية التي كانت مهيمنة في الدول الصناعية حتى نهاية السبعينات من القرن العشرين وتحول الرأسمالية الى رأسمالية متوحشة تسعى الى الربح بلا حدود الامر الذي عمق سيادة حكم الاقلية الثرية، واخفاق مشروع دولة الرفاهية في معالجة هذه المشاكل وازدياد الفقر، وازدياد المهمشين وانتشار العنف والجريمة وارتفاع معدلات البطالة[١٩]. وهذا اثبت بان الحريات السياسية التي تمارس في المجتمعات الراسمالية لا يمكن بديلاً عن عدالة التوزيع.

ومن هنا تبني بأن "الطريق الثالث" افرزته مجموعة من الظروف والتطورات المتتالية منذ اواخر الثمانينات واوائل التسعينات في اوروبا وامريكا وذلك للتوليف بين قيم الاشتراكية (عدالة التوزيع) او التأليف بين العدل والحرية[٢٠].

فبعد سقوط الاتحاد السوفيتي ونظامه الشمولي عام١٩٨٩ ظهرت اهتمامات من قبل الكثير من الكتاب والباحثين لمراجعة الماركسية وحركتها وما الت اليه وقد ظهر هذا الاهتمام حتى من قبل الماركسين انفسهم ومن ابرزهم المفكر الماركسي الامريكي (رولاند ارنسون) مؤلف الكتاب المعروف ما بعد الماركسية والذي حاول من خلاله صياغة برنامج راديكالي جديد متحرر من جمود الفكر الماركسي، واعقبه كتاب (لاسترشروا) ما بعد الرأسمالية وهذان الكتابان يرمزان الى مراجعة الفكر العالمي والتي تتحدث عن لما بعد الرأسمالية وما بعد الاشتراكية، وهي اثارة الى القلق والتوتر التي تنتاب العالم على مستوى النخبة والجماهير كما تبين من خلال استطلاعات الرأي العالمية[٢١].

لقد كان الصراع بين الرأسمالية والماركسية يتمحور حول الديمقراطية فالماركسية كانت تؤكد الديمقراطية الاجتماعية والتي تعني تحقيق العدالة الاجتماعية ومن خلال تأميم وسائل الانتاج والغاء الملكية الفردية في حين نجد الحريات السياسية

---

17 انطونيو جيدنز، مصدر سبق ذكره، ص١٤.

18 فرنسيس فوكوياما، مصدر سبق ذكره، ص ص ٩-١٠.

19 انطونيو جيدنز، مصدر سبق ذكره، ص١٥.

20 د. جميل مصعب، الطريق الثالث، محاضرات القيت على طلبة الدراسات العليا، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، للعام الدراسي ٢٠٠٠-٢٠٠١.

21 لاسترشرو، المتناظرون، ترجمة د. محمد فريد، ابو ظبي، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط٢، ١٩٩٦، ص ص ١٤-٥٠.

في النظام الرأسمالي تقتصر على شريحة الطبقة البرجوازية المستقلة[٢٢]. الا ان الماركسية عدت الحريات الاساسية مسألة ثانوية، بعبارة اخرى يمكن القول ان الرأسمالية ضحت بالعدالة والتوزيع والمساواة لحساب الحرية في حين ضحت الاشتراكية بالحرية لحساب العدالة والتوزيع والمساواة[٢٣].

القيم والبرامج والتحديات التي يؤمن بها "الطريق الثالث":

يمكن سرد اهم هذه القيم والبرامج والتحديات التي يؤمن بها الطريق الثالث وكما يأتي:

١. المساواة في كل شيء.
٢. حماية الجماعات المهمشة اجتماعياً.
٣. لا حقوق دون مسؤولية.
٤. لا سلطة دون ديمقراطية.
٥. الحرية كاستقلال ذاتي.
٦. التعددية العالمية.
٧. الايمان بالنزعة الفسلفية المحافظة[٢٤].

اما البرنامج الذي يؤمن به الطريق الثالث فيستند الى المعايير الاتية:

١. الوسط الرديكالي.
٢. الدولة الديمقراطية الجديدة (دولة بلا اعداء).
٣. الايمان بالاقتصاد المختلط.
٤. الاسرة الديمقراطية في كل شيء.
٥. المساواة كأداة للاستيعاب المجتمعي.
٦. الرفاهية الايجابية.
٧. دولة الاستثمار الاجتماعي.
٨. العمل بشكل اساس بالديمقراطية الكونية[٢٥].

اما التحديات التي تواجه "الطريق الثالث" فهي:

١. الشركات العابرة للقارات والتي تعد اكبر مؤسسات المجتمع المدني.
٢. عدم الاهتمام بالمنظمات غير الحكومية.
٣. التفاوت الكبير بين الدولة الغنية والدولة الفقيرة وبين سكان الدول انفسهم.

---

22 ارنست ماندل، المنار، العدد ٥٩، ص ص ١٠٢-١٠٤.
23 المصدر نفسه، ص١٠٤.
24 انطونيو جيدنز، مصدر سبق ذكره، ص١٠٨.
25 المصدر نفسه، ص١١٣.

٤. المؤسسات التكنوقراطية كالبنك الدولي وصندوق النقد الدولي.
٥. مؤسسات الامم المتحدة سواء في مجلس الامن والتصويت فيه ودورها المتراجع بسبب الهيمنة الامريكية عليه.
٦. فقدان الديمقراطية على المستوى الدولي[٢٦].

وقد تبين من خلال ما تقدم على ان "الطريق الثالث" هو طريق وسط يحاول التوفيق الخلاق بين ايجابيات الرأسمالية وحسنات الاشتراكية[٢٧]. ومن هنا نطرح السؤال الآتي؟ هل ان مهمة الطريق الثالث ممكنة حقاً على مستوى النظرية والتطبيق.

المحور الثالث

الجوانب التطبيقية "للطريق الثالث"

ان اهمية الطروحات الفكرية للطريق الثالث ينبع من كونها محاولة جاءت لاعادة النظر في تيار الديمقراطية الاجتماعية كما انه "الطريق الثالث" ليس مشروع سياسي لادارة الازمة التي تعاني منها الدولة في المجتمعات الرأسمالية، ولا هو مجرد مشروع نظري ينحدر الاولويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للتحول الديمقراطي في العالم ولم يعد على اساس قبول النظم الدكتاتورية بجميع اشكالها. بل هي سياسات تطبق بالفعل في العديد من الدول الاوروبية التي تحكمها في الوقت الراهن احزاب اليسار الوسط مثل بريطانيا، فرنسا، ايطاليا، المانيا، اليونان، وبعض الدول الاسكندنافية ودول اوروبا الشرقية[٢٨].

وجوباً على السؤال الذي طرح حول مهمة "الطريق الثالث" على مستوى التطبيق؟ ولكن اذا عدنا صياغته من جديد، وقلنا هل يمكن استنتاج مبادئ الطريق الثالث من واقع التطبيقات الفعلية التي تقوم بها الحكومات التي تتبناه في شكل سياسات اقتصادية واجتماعية، لقد اختلفت الاراء بين الكثير من الباحثين فبعضهم فضل تسميته بالنهج التطبيقي وأخرون اطلقو عليه (النهج القيمي) ولكل نهج مميزاته وعيوبه غير انه لا يمكن فهم "الطريق الثالث" الا بدراسة كلاً من السياسات والقيم[٢٩].

يقوم المنهج التطبيقي بمحاولة استنتاج المبادئ من خلال تحليل السياسات المطبقة، كذلك في ضوء هذا النهج التطبيقي يتم التركيز على الضيقة القابلة للتطبيق بدلاً من محاولة فرض ايديولوجيات شاملة لاتلقي بالاً الى حدود الحقائق السياسية. ان الايديولوجية اذا عرفناها بأنها نسق محدد من القيم يحدد اهداف التطور الاجتماعي

---

[26] د. جميل مصعب، مصدر سبق ذكره.
[27] السيد يسين، مصدر سبق ذكره، ص ص ٦٠-٧٣.
[28] السيد يسين، مصدر سبق ذكره، ص٦١.
[29] Anthony Giddens: Begond left and right Combridge polity press 1994.

يمكن ان تتحول بسهولة الى صيغ جامدة لا تتسم بالمرونة، علـى سـبيل المثـال لا الحصر الايديولوجية الاشتراكية في الاتجاه التي تفضل القطاع العـام عـن القطـاع الخاص في عملية التنمية، اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار المميزات النسبية للقطاع العـام، قد يمكن قبول مثل هذا التوجه في ظروف معينة، ولكن لو تحول الامر الـى تقـديس صيغة القطاع العالم بغض النظر عن فشله او فساده او حتى لو تتحول لكـي يـصبح عائقاً للتنمية، فأن ذلك يعني تحول المبدأ الى صيغة جامدة يمكن ان يؤدي الى الـدمار الاقتصادي، وهكذا يمكن القول ان البركماتية يمكن ان تكون وصفاً اساسـياً للطريـق الثالث بمعنى التركيز على التوجه العملي للسياسات القابلة فعلاً للتنفيذ، ومن الاهميـة بمكان الا نجعل "الطريق الثالث" يركز على كل شيء، مثلاً لا يـدخل فـي اهتمامـه مباشرة الهوية القومية ولا السياسة الخارجية"[30].

ان القضية الجوهرية في "الطريق الثالث" هو حل اشكالية العام والخاص والتي اختلفت عليها معظم الانظمة السياسية المعاصرة، والفكرة السياسية المحورية للطريق الثالث في هذا المجال، ان الدولة يقع على عاقتها مسؤولية ضمان حصول الناس على سلع معينة ولكن ليس عليها ان تكون هي ذاتها التي توفر هذه السلع للناس، وقد ذهب بعض الباحثين الى اهمية النهج المتفتح فكرياً في تعامل الحكومة في بعض المجالات، ففي مجال التعليم والصحة يمكن ان تحتفظ الحكومة بحق الاشراف العام على الخدمات التعليمية والصحية وفي الوقت نفسه اتاحة الفرص للقطاع الخاص لكي تتخذ قراراتهـا بطريقة مستقلة على اساس ان تلك السياسة طريقة جيدة لتعظـيم الكفـاءات فـي اداء الخدمة من خلال المنافسة وتحقيق المساواة، وذلك عن طريق اشراف الدولـة علـى عملية التمويل، وبنفس الطريقة يمكن في مجال النقل العام ان تقدم خدمات اكثر فعالية وجودة من قبل اطراف من القطاع الخاص الخاضعين للقـرارات التنظيميـة للدولـة والمتلقين الدعم منها، فمن تلك المشاريع التي تمتلكها الدولة هي المشاريع العامة والتي تعاني من نقص في التمويل، فعلى سبيل المثال لا الحصر بالنسبة للحالة البريطانيـة، اقترح احد الباحثين تخصيص خطوط مترو لندن كل خط على ان يحتفظ بخط واحـد على الاقل ملكية عامة حتى تستطيع الحكومة ان تتعرف بشكل مباشر على اقتصاديات التشغيل وعلى كل الفعاليات المتعلقة بالجوانب العلمية[31].

ونستنتج من كل ذلك ان الخلافات في الرأي لا تدور حول تدخل الدولة او عدم تدخلها وخصوصاً في المجال الاقتصادي والاجتماعية ولكن في نوع هذا التدخل وفي الطرق المستحدثة التي يمكن فيها الدولة من خلال تـدخلها ان تركـز علـى تفعيـل

---

30 السيد يسين، مصدر سبق ذكره، ص ص ٦٠-٩٠.

31 السيد يسين، مصدر سبق ذكره، ص ص ٦٥-٦٩.

الديناميكية في الاقتصاد في نمط من العدالة للمواطنين وفي ضوء احترام كل الاطراف للمسؤولية المدنية[٣٢].

المحور الرابع

فقيه المجتمع المدني

المجتمع المدني(*)، يشير الى الدلالة على أنموذج من التنظيم الاجتماعي والسياسي والثقافي والذي ينأى خارج نطاق سلطة الدولة[٣٣].

او بعبارة اخرى ان المجتمع المدني يمثل مجمل البنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي لا تخضع لهيمنة السلطة لان الهامش يضيق ويتسع حسب السياق وينتج فيه الفرد ذاته وتضامنه وابداعاته ومقدساته، أي ان هنالك هوامش من الحصانة الفردية والجماعية تفصل بين المستوى الاجتماعي والمستوى السياسي وهذه الهوامش هي التي يمكن تسميتها مجتمعاً مدنياً[٣٤].

ان تقوية المجتمع المدني الفاعل عنصر من العناصر الاساسية لسياسة "الطريق الثالث" يعكس اليسار القديم الذي ينمو بصرف النظر عن القلق حول انهيار المواطنة، السياسات الجديد تقيل يمثل هذا القلق وانهيار المواطنة هو حقيقي وملموس في الكثير من المجتمعات المعاصرة، ويظهر ذلك من خلال ضعف الشعور بالتضامن في بعض من الجماعات في المناطق المختلفة والمدن وارتفاع حالات نسب الجريمة والبطالة وتفكك المجتمع[٣٥].اما اليمين فينحو الى انكار ان الحرمان الاقتصادي مرتبط بتلك المشاكل. واذا كان خطأ رد انهيار المواطنة للاقتصاد كما كان يفعل اليسار القديم، فأنه ايضاً خطأ انكار تأثير الفقر، ان ضعف المواطنة في دولة الرفاهية او معاكستها في

---

[32] المصدر نفسه، ص٦٩.

(*) اما الحديث عن مؤسسات المجتمع المدني فأنه يشير الى مجموعة من المنظمات الاجتماعية التي تتمتع بدرجة من الاستقلالية تحفظ لها مكاناً ووسط بين الدولة من جهة والمجتمع من جهة اخرى. ومصطلح المجتمع المدني (Civil Society) ليس بالمصطلح الحديث وجذوره تعود الى فلاسفة العقد الاجتماعي الذين تعاملوا مع العلاقات التنسيقية والتعاونية بين الافراد بأعتبارها علاقات منشئة للمجتمع وحافظة لاستمراره ومن ثم بعد تطور المفهوم على يد (هيغل) عندما ميز بين المجتمع المدني كشبكة من التفاعلات التلقائية القائمة على العادات والعرف والتقاليد، والدولة بوصفها مجموعة من المؤسسات السياسية والقانونية التي تمارس في اطارها شبكة العلاقات الدولية. د. علي الدين هلال، معجم المصطلح السياسي، تحرير نيفن مسعد، القاهرة، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، مركز البحوث والدراسات السياسية، ١٩٩٤، ص١٥٨.

[33] علاء جبار احمد، الدولة القطرية العربية بين العولمة والخيار القومي العربي، اطروحة ماجستير مقدمة الى جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، ٢٠٠٢م، ص٦٢.

[34] د. ثامر كامل، الدولة في الوطن العربي على ابواب الالفية الثالثة، بيت الحكمة، بغداد، طبعة اولى، ٢٠٠١، ص ص ٤٠٥-٤٠٦.

[35] انطونيو جيدنز، مصدر سبق ذكره، ص١٢٢.

حالة ترك المجتمع المدني لالياته الذاتية، فالحكومة بأمكانها فعل ذلك، وعلى الدولة ان تؤدي دوراً في تجديد الثقافة المدنية[٣٦].

ان السياسة الجديدة "للطريق الثالث" تدعو الى تجديد المجتمع المدني من خلال ما يأتي:

- اعتبار الحكومة والمجتمع المدني شركاء.
- تجديد الجماعة بالمعنى الواسع من خلال استخدام المبادرة المحلية.
- حماية المجال العام المحلي.
- منع الجريمة على اساس مجتمعي.

وعلى هذا الاساس الحكومة والمجتمع المدني يجب ان يتصرفا كشريكين كل واحد يسير للاخر اعماله ولكن كل واحد منهم يقوم بمهمة المراقبة على الطرف الاخر[٣٧]. اما اطروحة الجماعة الواسعة السياسية للسياسة الجديدة، تقدم العولمة يجعل الجماعة ذات مركز اهتمام لامكانية التأثيرالتي يمكن ان تمارسها في القاعدة الجماعية الواسعة لتعمل على استعادة اشكال التضامن المفقودة، انها تتوجه الى الايلات العملية لتعميق الخصائص المحلية. اذ ليس هنالك موانع بين الحكومة والمجتمع المدني، الحكومة تحتاج الى ان تكون في المجال المدني في بعض الاحيان واحياناً اخرى تتراجع، عندما تنسحب الحكومة من التدخل المباشر فأن مصادرها ضرورية لتأكيد النشاطات الى استعادتها او تقدمها المجموعات المحلية في المناطق الاكثر فقراً، لذا الجماعة الواسعة من خلال تعزيز المبادرات المحلية يمكن ان تعطي اعلى مردود[٣٨].

وسياسة الجماعة يجب ان لا تهمل المجال العام، فالمجال العام مهم على المستوى المحلي كما هو مهم على المستوى العام، وهو الطريق الوحيد الذي يرتبط فيه التحول الديمقراطي مباشرة بتطور الجماعة الواسعة ودون حيوية المجال العام فان مشاريع تجديد الجماعة توجه مخاطر انقسام الجماعة عن المجتمع[٣٩]. الدولة تستطيع ان تلقي المجتمع المدني، هذا ما حصل في الاقتصاديات الشيوعية لشرق اوروبا والاتحاد السوفيتي، حيث لم يكن هنالك مجال مدني عام متطور وحيث الحياة الاجتماعية ومحددة بالبيت والاسرة[٤٠].

---

36 المصدر نفسه، ص١٢٣.

37 **Robert Wuthnow: Sharing The Journey, New York free press, 1994. p.12**

38 انطونيو جيرنز، مصدر سبق ذكره، ص ص ١٢٣-١٢٤.

39 المصدر نفسه، ص١٢٩.

40 المصدر نفسه، ص١٣٠.

ومن هنا فان المجتمع المدني يحمي الفرد من هيمنة السلطة، وعلى الرغم من ذلك فالمجتمع المدني ليس مصدراً للتنظيم القوى والانسجام، لذا فان الجماعة المتحدة تخلق مشاكلها لذ يجب على الدولة تحمي الافراد من صراع المصالح في المجتمع المدني، الدولة لا تستطيع ان تتحول الى المجتمع المدني، واذا كانت الدولة في كل مكان فليس لها مكان[٤١]. وخلاصة القول ان الاهداف العامة للطريق الثالث في المجال الديمقراطية تتمثل في اعادة خلق وسائل جديد للحكم الفعال واعادة صياغة العلاقات بين الدول والاسواق والمواطنين واستكشاف المجالات الجديدة وفي هذا الصدد هنالك اشارة على اهمية خلق مؤسسات وسطية لتعميق الديمقراطية واعادة تأسيس المجتمع المدني، واذا تبينا تلخيص الاتجاه العام لتجديد الديمقراطية الذي يحاول "الطريق الثالث" تطبيقه سوف نجد انه يندرج تحت ما يطلق عليه (الديمقراطية التشاركية) التي تؤدي فيها مشاركة الجماهير دوراً اساسياً على حساب فكرة التمثيل السياسي، وفي هذا المجال يقع على عاتق الحكومة ان توسع دائرة التشاور مع المواطنين والمنظمات الاجتماعية خارج نطاق الاطار الدستوري التقليدي، الذي يعطي للحكومة ونواب البرلمان حق تشريع القوانين[٤٢].

غير ان هناك افكار متنوعة في مجال التجديد الديمقراطي، وفي مقدمتها تدعيم مؤسسات المجتمع المدني، وتحثيثها على المشاركة في اتخاذ القرار، بالاضافة الى تدعيم الحركات الاجتماعية المستقلة، وهنالك اشارات على خطورة العقبات التي تواجه عملية التجديد الديمقراطي التي تسعى الى اشراك اكبر عدد من الافراد في عملية تشريع القرارات التي تسن لصالحها، واهم هذه العقبات الحرب الشرسة التي يشنها في الغالب اصحاب المصالح، حيث من شأن هذه القرارات والتشريعات ان تمس مصالحهم الاقتصادية وخير مثال على ذلك الاصلاح في مجال الرعاية الصحية، الذي اراد ان ينفذه الرئيس الامريكي الاسبق كلنتون، وما جوبه به من اعتراض ومعارضة قوية[٤٣].

الخاتمة

خلاصة القول ان الكثير من الباحثين اتفقوا حول مستقبل الديمقراطية الاجتماعية وعبروا عن خيبة الامل في تحديد الديمقراطية الاجتماعية، كما فقد الاجتماعيون في اوروبا الثقة في كيفية مواجه فلسفة السوق الحرة، ولكن نتيجة لعدد من الاحداث التي ساعدت على انتخاب عدة زعامات من تلك الزعامات الرئيس الامريكي الاسبق بل كلنتون في عام ١٩٩٢ ساعدت على تغيير هذا التوجه ومناقضته،

---

41 **Emil Durkbeim in Anthony Giddens: Durkbeim of Politics and the State. Cambridge: polity press, 1986, p.56.**

42 **السيد يسين، الطرق الثالث ايديولوجية سياسة جديدة، مصدر سبق ذكره، ص٧٢.**

43 **المصدر نفسه، ص٧٢.**

ووصول ليونيل جوسبان الى السلطة في فرنسا، حيث جاء انتصار العمال في المملكة المتحدة حيث نظر اليه في الكثير من البلدان على انه بداية جديدة، وبعد ذلك انتصار رئيس الوزراء البريطاني الحالي توني بلير بعد انهزام العديد من هؤلاء الذين امتدحوا مدى النجاح الذي تحقق يرون ان مشروع العمال الجديد فارغ والاغلبية التي حصل عليها حزب العمال الجديد كانت نتيجة للدعاية الانتخابية التي اعتمدت على التكنولوجيا الاعلامية المتطورة التي روجت لذلك، وبذلك بدء ينظر الى حزب العمال الجديد، على انه يعتمد بشكل واسع على الاعلام السياسي اكثر مما يهتم بالمشاريع الضرورية، وبذلك يتضح للعيان ان "الطريق الثالث" سياسية، ولا يحق هي ايديولوجية، ولكنها تحولت الى مراجع سياسية نجحت على اساسها احزاب اوروبية عديدة وصلت الى الحكم، وايما كان الامر فيمكن القول ان "الطريق الثالث" لم يقدم حتى الان نظرية متكاملة الاركان تعطي المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية، انه خطوة في مجال التجريب السياسي في عالم ما بعد الحرب الباردة.

عرض كتاب : امبراطورية العقل الامريكي "الفوضى الشاملة والسلام الدائم"
تأليف سعد سلوم
اصدارات مسارات بغداد ٢٠٠٦
عدد الصفحات ١٦٧ ص

المدرس المساعد
سهيلة عبد الانيس (*)

"الولايات المتحدة الامريكية هي تلك التي يحدها الشفق القطبي شمالاً، والاعتدالان جنوباً، والعماء البدائي شرقاً، ويوم القيامة غرباً" جون فايسك

خلال مسيرة التأريخ تظهر بعض الدول التي يتلبسها الدور الامبراطوري فتحس انها تمثل البشرية قاطبة في مهمتها الرسولية في الحفاظ على الامن العالمي، ويكون ذلك حين يتوافر المناخ الملائم لدولة كبرى في توفير اسباب القوة مما يمكنها من فرض هيمنتها على "الآخر الموضوع" ومعاملته على انه "شيء مادة منفعلة" مما يتوجب خضوعه الى نظامها القيمي الفريد وهو ما شهده النظام العالمي بالوان لامبراطوريات ظهرت ملامح وجوهها على سطحه بتقاسيمه الرومانية والاسلامية بوجيهيها العربي والعثماني والامبراطورية البريطانية وامبراطوريتي الحرب الباردة السوفيتية والامريكية واخيراً الانعكاس النرجسي للوجه الامريكي على مرآة العالم بعد تمزق الوجه السوفيتي وتفكك ملامحه. الا ان النفوذ الامريكي وتوسعه الجيوسياسي يتميز عن طبيعة انتشار جميع الوان الامبراطوريات السابقة (الهيمنة الشاملة ذات الابعاد الافقية والعمودية والقيمية) وهذا التميز في اللحظة الامبراطورية الامريكية في مجرى الزمن قد دفع المخيلة في تجدد تخيل لحظة الانهيار حيث يلاحظ في الادبيات السياسية التي تتناول النظام العالمي طغيان نوع من الموضة تتناول مستقبل الولايات المتحدة تنطلق من تقديم تصور مغاير عن اللحظة الامبراطورية الامريكية.

على هذا يقارب الكاتب في فكره راي "توفلر" في ان العالم اليوم امام مفترق طرق، اما ان يحصل تفاهم دولي يحفظ الثقافات الوطنية من الذوبان ويسهل التعايش في عالم من التنافس القاس او الفوضى او ان يمر.

يحاول هذا الكتاب مواجهة هذا التحدي من خلال رسم نوع من خريطة طريق بين الفوضى الشاملة التي تعم عالمنا اليوم "عالم هوبز" ونقطة الاستقرار والتوازن في ظل عالم السلام الدائم "عالم كانط". فمن المحزن حقاً التفكير في ان الحروب وسلطان الفوضى لن تختفي في المستقبل، ويقرر "توفلر في كتابه" الحرب والحرب المضادة.

(*) كلية العلوم السياسية – الجامعة المستنصرية

انه اقدم على تأليف كتابه من اجل الطفل البوسني الذي مزق الانفجار نصف وجهه ومن اجل امه التي تراقب بعين معيشة ما تبقى من منزلها، انه من اجل ابرياء الغد الذين سيقتلون ويموتون لاسباب لن يفهموها. انه كتاب عن السلام... وهذا يعني انه كتاب عن الحرب في الظروف الجديدة والغريبة التي يكون البشر بصدد صبغها في سباقهم نحو مستقبل مجهول. فتوفلر يرى اننا نغرق في عصور وسطى جديدة تملؤها الكراهيات العصبوية، ويعم خرابها انحاء المعمورة وتتالئ فيها الحروب، ويرى ان الطريقة التي سنتبعها في مواجهة هذا العنف المتفجر ستحدد الى حد كبير كيف سيعيش اطفالنا، وربما كيف سيموتون، ويرى الكاتب انه ومن هنا تبرز اهمية التفكير لوضع حد لحروب المستقبل وتأسيس مستقبل السلام.

من هنا انطلق كتاب "امبراطورية العقل الامريكي" الذي تضمن ستة فصول كان اولها في نقد العقل السياسي الامريكي، الذي يبدأه الكاتب بالتصور العالمي لصعود القوة العظمى والذي تتوج باحتلال العراق ٢٠٠٣ اذ بهذا الحدث بدأ للعالم وكأن الولايات المتحدة الامريكية قد وصلت الى ذروة عالمية في انفرادها المطلق بالنظام الدولي، وبقى على المراقبين المنفعلين "اللافاعلين" ان يشاهدوا من خلال عدسات حضارية مزودة باضاءات بنوئية كيفية انحدار القوة العظمى المطلقة من قمة العالم الى سفح الحظر الذي انزلقت عبره الامبراطوريات الكبرى جراء سياسة الافراط في استخدام القوة.

ان الخيط الرفيع الذي ينسج تأكيداً عبر الحالات السابقة يدور حول الاستعراض الدرامي للقوة الماحقة التي اثبتت عبر حربها على العراق في بداية التسعينات وحربها على يوغسلافيا نهاية التسعينات وتدشينها بداية الالفية الثالثة باحتلال افغانستان ٢٠٠١ واحتلالها العراق ٢٠٠٣ سيطرة الامبراطورية الكونية المطلقة على النظام الدولي، مهما اختلفت الوسائل وتبدل الشركاء وتغيرت ساحات القتال.

ويرى الكاتب ان صناعة الازمة او تصيعها هي وجه الكتابة في عملة السياسة الامريكية اما وجه الصورة "صناعة الاعداء او تصنيعهم، ولابأس في تفريخهم ورعايتهم على الحدود الملائمة "أنموذج بن لادن" والعقل السياسي الامريكي لا يؤكد وجه النقيض فحسب، بل تباين حركيته من خلال دينامية تجاوزه ومحقة عبر السعي دوماً للوصول الى تركيبة، وهو ما يتطلب حسب "هيجل" قوتين متعارضتين، ومن هنا ندرك والكلام للكاتب حجم المأزق الانطولوجي الذي يواجهه العقل الامريكي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وانكشاف الفراغ الناجم عن انهيار النقيض، مما افقد العقل الامريكي المغزى والاتجاه وباتت "الامبراطورية او الدولة العالمية" التي تمثل هذا العقل، قوة "مطلقة السراح" لا يقف ازاءها النقيض، فواجهت الرعب الرهيب الكامن

في الانهيار من السفح المطلق لجبروتها المنفرد، وكاد العقل السياسي الامريكي ان يفقد المنظور لولا ان جمع شظايا المرايا المحطمة التي خلفها انهيار المنظومة الاشتراكية لتعكس امامه وجه دولة متوسطة القوة "العراق" فكانت النقيض الملائم له عبر لعبة التوازنات الجديدة فخرج منها بـ(عراق محتل "كمركب او توليفية ثم انشد منظوره الجديد للعبة الجدلية فوضع العراق "المحتل/ المحرر) ازاء عالم عربي "بحاجة للاصلاح" ووضع نصب عينيه ان يخرج من صندوق النقائض السحري "عالماً عربياً جديداً" لكن السخرية التي تتسم بالمأساوية تجعل المواضيع ونقائضها تتفجر على ذاتها في السياسة ولا تستقيم لسحر المنطق الجدلي فتأخذه على علاته، فالفوضى قد لا تؤدي الى النظام بقدر ما تؤدي الى المزيد من الفوضى "مما يشد اعماق العراقيين مثلاً، بقوة الى سحر النظام واغواء القوة الماحقة". من هنا تمارس الولايات المتحدة جاذبيتها بوصفها ضامنة النظام في ساحة اصبحت اكبر مثال على "الفوضى الخلاقة" (هي من الكلمات المحببة لدى برينجسكي) الذي ما يزال يرى بأن "التاريخ هو نتاج الفوضى اكثر منه نتاج المؤامرة".

ويصل الكاتب في نهاية نقده للعقل السياسي الامريكي بالقول ان تسويق الحروب الامريكية "الكورية-الفيتنامية-الحرب ضد الارهاب يجري في اطار المبالغة التي تلقن الاذهان القوة الامريكية في شكل من الاستعراض "السوبرماني" ولكن الاخر العدو ينبغي ان ينال شيئاً من بضاعة المبالغة. فلا يمكن للنصر الامريكي ان يترك اثره الكامل اذ ما تم القضاء على قوة كسيحة او اختراق دولة صغيرة او طقطقة عظام القدرات التقليدية لدول متوسطة- القوة" بل يجب التهويل من القدرات العسكرية التي يمتلكها العدو وتصوير سقوطه وانهياره بكونه معجزة ومفاجأة امريكية، وهذا ما حصل في العام ١٩٩١ من التهويل من قدرات الجيش العراقي "والتهويل من قدراته ذات الدمار الشامل" عام ٢٠٠٣، وكانت المبالغة الشديدة بالتهديد الذي يشكله نظام ضعيف فاسد كالنظام العراقي السابق وحقنه بأسلحة الدمار الشامل يجري في اطار عملقة منطاد عدو خارجي مما جعل الهة الحرب تنتصب في سياق التسويق لحرب وقائية ومن الافضل جمع كل الاعداء الصغار المارقين في اطار محور واحد وليكن "محور الشر" وهو ما لايعدو كونه صياغة مخلصة للثنوية السياسية الحاكمة للعقل الامريكي التي تضفي بعداً اخلاقياً على تحركاته الخارجية واعترافاً بجدوى تلاقي النقيضين ضمن الثنوية الانطولوجية الواقية للحضارة الامريكي من التفسخ والانهيار.

"الى أي نوع من السلام نتطلع.. انه ليس سلام الهيمنة الامريكية، التي تفرضه على العالم الة الحرب الامريكية، ليس مجرد السلام للامريكيين دون سواهم، بل سلام لكل الرجال والنساء.. ليس سلاحاً لزمننا فحسب بل سلام في كل حين". بكلمات "جون كيندي" افتح الكاتب فصله الثاني في محاكمة العقل السياسي الامريكي، على هذا يرى

الكاتب وجود اتجاهات في مجال العلاقات الدولية هذان الاتجاهان يعكسان رؤيتين متميزتين الى الطبيعة البشرية اولهما هو الاتجاه الواقعي "الميكافيلي-الهوبزي" الذي يذهب الى ان العلاقات بين الامم والشعوب منتظمة في نوع من العداء المتحكم بين امم وشعوب تحتمي وراء تواريخها الثقافية والجغرافية وتحكمها حتمية النظر من خلال عدسات الصراع الذي يمثل اللقاء الوحيد الممكن بين المجموعات البشرية المختلفة وهو ما يعكس الابحاث بوحشية الانسان حسب وجه نظرهم.

في المقابل هناك اتجاه مثالي "الاتجاه الكانطي" نسبة الى الفيلسوف الالماني "كانط" ويتأسس هذا الاتجاه على نزعة تفاؤلية في الطبيعة البشرية كما يراهن امكانية تغير مسار البشرية من التوحش الى المدنية ويتوافر على قدر كبير من الايمان بقدرة الانسان على وضع حد للحروب والصراعات والتطاحن الذي شغل البشرية طوال تاريخها عن حلم تحقيق سلام ابدي شامل.

الى ذلك اشار الكاتب الى مستويات العقل السياسي الامريكي في استخدام القوة مؤكداً وجود ثلاثة مستويات هي: مستوى التفسير "التبريري" مستوى التطبيق "الانتهاكي". مستوى التسويغ "التبريري". ويرى الكاتب من حيث مستوى التفسير تؤيد الولايات المتحدة التفسير الضيق لاصلاح "القوة" الوارد في المادة (٤/٢) من ميثاق الامم المتحدة والتي تنص على ان "يمتنع اعضاء الهيئة جميعاً في علاقاتهم الدولية عن التهديد باستعمال القوة او استخدامها ضد سلامة الاراضي او الاستقلال السياسي لاية دولة او على أي وجه آخر لا يتفق ومقاصد الامم المتحدة". اما على مستوى التطبيق فيرى الكاتب ان الولايات المتحدة تعد الدولة الاولى وبأمتياز من بين جميع دول العالم التي اخترقت وانتهكت المادة "٤/٢" من الميثاق، ومن حيث مستوى التسويغ يرى الكاتب هنا ان الولايات المتحدة طالما حاولت الالتفاف على الحظر الوارد في المادة المشار اليها من الميثاق وتسويغ تدخلاتها الدولية بدعوى ان تحريم استخدام القوة المنصوص عليه في الميثاق يجب تغييره للعديد من الاعتبارات اهمها اللجوء للقوة من اجل الدفاع عن بعض القيم المنصوص عليها في الميثاق من ديمقراطية وحرية وسلم، وعليه فأن استخدام القوة يصبح في نظر الولايات المتحدة مناسباً اخلاقياً للحفاظ على النظام القيمي للعقل السياسي الامريكي.

يتقدم الكاتب هنا بخطاب قيمي مضاد وان يكن جوهر ما ندعو له اليوم والكلام للكاتب بمناسبة محاكمتنا يبدو في ظاهرة دعوة مثالية قد لا تتفق مع حقيقة وواقع العلاقات الدولية، لكنه يمثل في نظرنا ضرورة عملية عاجلة، وبدون ان ترفع اصواتنا التي يطغي عليها ضجيج القنابل لن يتشكل لحاضرنا ومستقبلنا ارضية صلبة لبناء بيئة دولية سلمية ومستقرة يتوافر لها اطار قيمي يمثل بمبادئ الامم المتحدة ولاسيما واذ ما طبقت باخلاص وموضوعية تشكل اداة فاعلة في اعادة صياغة السياسات الفعلية، للقوة

والهيمنة بين الدول ذات السيادة الى سياسات مبنية على الآخر المتبادل وعلى عكس ذلك يرى الكاتب ان تهديد الامن والسلم الدوليين يكمن في فرض ارادة دولة قوية على العالم بواسطة الهيمنة الاقتصادية والسياسية والثقافية والعسكرية وان المفتاح لبناء بيئة دولية مستقرة يتمثل في تطوير العلاقات الدولية بين الامم مبنية على الاحترام الكامل لحق الشعوب في تقرير مصيرها وعلى درجة اعظم في المساواة الاقتصادية والاجتماعية على المستوى الدولي.

وبدأ الكاتب فصل كتابه الثالث عن "يوتوبيا السلام وقضبان الواقع" حلم نزع السلاح واسطورة تكوين جيش دولي عالمي، بمقولة ليروبرت هندي وجوزيف رتيلات" "ان مفهوم عالم مجرد من الحروب فكرة خيالية ورؤية بعيدة لا يمكن تحقيقها، وحتى الذين توصلوا الى تقبل مفهوم عالم مجرد من الاسلحة الوطنية مازالوا يرفضون مفهوم عالم مجرد من قوات حربية مسلحة وطنية". بنى على اساسها القول بأن الطريق نحو السلام العالمي ظل منذ عصر الامبراطوريات الكبرى مروراً بعصر الامبراطوريات الكبرى مروراً بعصر الدولة القومية وانتهاءً بعصرنا الموسوم بعصر التنظيم الدولي طريقاً صخرياً تكتنفه الصعاب والمهاترات وعدم الاكتراث وفقدان الحس بالاتجاه وضعف الاحساس بالمسؤولية التأريخية.

الى ذلك حاول الكاتب في الفصلين الرابع والخامس وضع خارطة طريق لاصلاح المنظمة العالمية "الامم المتحدة" مستنداً في ذلك الى تقرير الامين العام للمنظمة "كوفي عنان" في تقريره عن تجديد الامم المتحدة بالقول.. الان وبعد انقضاء الهياج الجنوني الذي ساد السنوات التي تلت انتهاء الحرب الباردة مباشرة، يمكن للامم المتحدة ويجب عليها ان تقف وقفة تعيد فيها تقييم السبل لمعرفة ايها اكثر فعالية في تحقيق اهدافها حاول الكاتب في هذا الفصل الاشارة وتحليل خارطة الطريق التي قدمها "بطرس غالي وكوفي عنان" للاصلاح مشيراً الى ان رؤيتهما انطوت على التميز بين اربعة مفاهيم لتحقيق الاصلاح وهو مفهوم "الدبلوماسية الوقائية ومفهوم صنع السلام ومفهوم حفظ السلام ومفهوم بناء السلام بعد انتهاء الصراع" الى ذلك لا ينكر الكاتب فكرة او الواقع الذي لا مفر منه وهو سيطرة قبضة الدول الكبرى على هذه المنظمة الذي يحجم بالنتيجة امكانية تحقيق الاصلاح المرتقب، وفي الختام وضح الكاتب ان وصفة اصلاح المنظمة موجودة في ميثاقها ورأى ان تفعيل بعض محاور هذا الميثاق جديرة بتحقيق الاصلاح ومنها احياء المشروع الكانطي ومناهضة المشروع الهوبزي وتحكيم مرجعية العقل.

وفي فصل الكتاب السادس والذي جاء تحت عنوان "داخل البرج العاجي للامم المتحدة في نيويورك انطلق الكاتب من مقولة لبريجنسكي في كتابه "الاختيار- السيطرة على العالم ام قيادة العالم".

"ربما كانت نيويورك ستصبح العاصمة العالمية الاولى لو ان النظام العالمي الجديد انبثق على اساس تعاون شامل بين الدول الاعضاء يستند الى تصور قانوني للتساوي في السيادة".

في نيويورك ينتصب مقر المنظمة الدولية التي تعد تتويجاً لافكار "كانط" وتجسد المرجعية القيمية والقانونية للسلام العالمي وفكرة الوحدة بين الجنس البشري والخط الفاصل بين الفوضى العالمية والحكومة العالمية حيث تخضع جميع الدول الاعضاء لمنطق واحد ومبادئ مساواة واحد في السيادة "من زاوية الميثاق النظرية على الاقل" وعن خارطة طريق للامين العام للامم المتحدة، حدد الكاتب ثلاثة نقاط اساسية لتكون البداية لاصلاح هذه المنظمة العالمية وهي التي تركز على حقوق الانسان والتنمية ونزع السلاح اذ يرتبط موضوع التنمية بعملية نزع السلاح، ويفترض على الامين العام مسؤولية التنبه لمخاطر سباق التسلح وتوضيح التغيرات الحاصلة في الامن الدولي.

وفي ختام كتابه اشار الكاتب بالقول "ان لم نستطع ان نتعلم كيف نتكيف ونتعايش مع بعضنا البعض بأحترام في القرن الحادي والعشرين، فقد نهلك بعضنا البعض هلاكاً مدمراً لايبقى من الجنس البشري الا قليلاً".

الى ذلك راى الكاتب انه على الرغم من ان الجنس البشري ليس الا في اول رحلته الانثروبولوجية على هذه الارض فأنه يقترب يوماً بعد يوم من القضاء على مستقبله ولاننا لا نريد والكلام للكاتب عن احقاد الماضي ان تأكل مستقبلنا فأننا نعي بأن تهديد السلام اليوم يعني تهديد البقاء، لذا سيمثل رفض اعتبار واقع اللحظة الامبراطورية الامريكية مرجعية مؤبدة لمستقبل عالمنا والدعوة لاستعادة اللحظة الكانطية عبر تفعيل مرجعية العقل والعودة الى التضامن الدولي الجماعي من خلال الامم المتحدة جوهر دعوتنا للوحدة الانسانية التي كانت تمثل حلم جميع الفلاسفة الانسانيين العظام.

الكتاب في حقيقته عبارة عن مجموعة من البحوث والمقالات التي نشرها الكاتب، واعاد كتابتها وصياغتها. في الكتاب العديد من الاسماء لمفكرين وفلاسفة وكتاب وسياسيين حاول الكاتب من خلالها احداث مقاربة واعتمادها كأساس لافكاره وعلى هذا فالكتاب جدير بالقراءة والاهتمام كونه يحوي الكثير من المعلومات المهمة التي خضعت لتحليل الكاتب. وعلى ما تقدم من عرض موجز لكتاب امبراطورية العقل الامريكي نضع تساؤلاً مفتوحاً عسى ان نجد له جواباً. هل سيبقى عالمنا عالماً "هوبزياً" "امريكياً" ام سيتحول يوماً ما الى عالم "كانطي"؟.

عرض رسالة ماجستير
الدولة القطرية العربية بين العولمة والخيار القومي العربي

المدرس المساعد
خضير ابراهيم سلمان (*)

تنبع اهمية الدراسة في كونها اسهاماً علمياً في دراسة وتحليل الخيارات المتاحة بين الدولة القطرية العربية وبين العولمة والخيار القومي، وتحليل ظاهرة العولمة في مختلف حقول المعرفة سواء الاقتصادية ام الثقافية ام السياسية ام الاجتماعية. حيث هنالك دعوات تروج عن محاسن العولمة وايجابياتها، فأن المتفق عليه ان العولمة يترتب عليها مخاطر تنال من المقدسات الوطنية والقومية للامم والشعوب، وتتجه الدراسة الى الكشف عن مخاطر العولمة على الدولة القطرية والقومية ومن ثم الوقوف على الخيار المستقبلي الذي يضمن للامة العربية القدرة على مواجهة هذه التحديات.

وقد ركزت الدراسة على ان العولمة ظاهرة تهدف الى اعادة هيكلية العالم اقتصادياً وسياسياً وثقافياً على اسس جديدة تختلف عن الهيكلية السابقة، وتعني التوحيد والتكامل العالمي على اساس الليبرالية الغربية من الجوانب المختلفة. وعلى الرغم من كون ظاهرة العولمة موغلة في القدم وليست حديثة، الا ان بروز القطبية الاحادية الامريكية وهيمنتها على التفاعلات السياسية في اطار العلاقات الدولية اثر انهيار الاتحاد السوفيتي كقطب مهيمن في العلاقات الدولية المعاصرة قد جعل العولمة احد مظاهر الهيمنة الامريكية على العالم.

ومن جانب آخر تمثل العولمة مرحلة تأريخية تفرضها القوة الفاعلة والمؤثرة في النظام العالمي والتحدي الذي تفرضه العولمة على الدولة القطرية والعربية ويتجسد ذلك في كيفية تحقيق التوازن بين الحفاظ على الهوية والوطن والامة وبين ضرورات ضمان البقاء داخل نظام العولمة ذاته. وعلى هذا الاساس فأن الموقف العربي بين رافض ومؤمن، وتحديداً بعض مواقف الاقطار العربية من العولمة المتمثل بالنظر اليها على انها عملية تأريخية غير قابلة للرفض يعكس حقيقة ضعف القدرة على مجابهة مخاطر العولمة. من حيث يطرح البعض امكانية التكيف العربي مع العولمة عن طريق جني ثمارها وايجابياتها وتفادي مخاطرها الضارة على الامة والوطن والهوية. فهذا لا يؤخر المعدات الحقيقية الكافية لمنع الوقوع في شرك العولمة، ومن ثم خسارة الهوية القومية والسيادة الوطنية والاستقلال الوطني.

(*) كلية العلوم السياسية – الجامعة المستنصرية

وفي هذا السياق بينت الدراسة، بأن المضامين الاقتصادية والسياسية والثقافية للعولمة بقدر ما تعكس أنموذجاً وابتكاراً غريباً فأنها تشكل تحدياً خطراً امام الدولة القطرية العربية ان ظلت متفردة في مواجهة هذه المخاطر، ومن هنا فأن بناء قاعدة قومية عربية قوية يمثل الخيار الحاسم الذي يمكن ان يجنبها المخاطر المحتملة. وعلى هذا الاساس انطلقت فرضية البحث:- ان العولمة بأنماطها واليآتها المعروفة لها انعكاسات خطيرة على الدولة القطرية العربية فهي لا تستطيع منفردة مواجهة تحديات وانعكاسات وآثار العولمة، فخيار الدولة القومية العربية يمثل خياراً حاسماً للتغلب على الانعكاسات الخطيرة وتجاوزها في عالم متسارع التطورات والاحداث.

وفقاً لذلك عالجت هذه الدراسة الخيارات بين الدولة القطرية العربية وبين العولمة والخيار القومي العربي، في ثلاثة فصول مع مقدمة وخاتمة. جاء اولها لدراسة الاطار النظري لمفهوم العولمة وتطورها التاريخي مركزاً على المضامين الاقتصادية والسياسية والثقافية للعولمة.

وجاء فصل الدراسة الثاني:- لدراسة آثار وانعكاسات العولمة على الدولة القطرية العربية وابراز التحديات التي تضعها امامها وهي العولمة، وهوية الدولة القطرية، ودراسة العولمة وشرعية الدولة القطرية العربية.

كما ركز على دراسة العولمة والوظائف السيادية للدولة القطرية العربية. اما الفصل الثالث، كرس للوقوف على خيار الدولة القومية العربية في مواجهة العولمة، وركز على دراسة الدولة القومية العربية والامن القومي العربي، ودراسة القومية العربية وسبل مواجهة التكتلات الاقليمية والعالمية، كذلك ركز لدراسة القومية العربية في مواجهة الهيمنة الامريكية.

وخلصت الدراسة:- ان الدولة القطرية العربية عاجزة عن مواجهة هذه التحديات والتهديدات بمفردها وحماية امنها الوطني، وهي ازاء مخاطر تطال كيانها وهويتها بينما تمثل الدولة القومية العربية الخيار المستقبلي الذي يضمن اجتماع الامكانات العربية الاقتصادية والمالية والبشرية والسياسية والعسكرية والتنسيق بينهم من اجل تحقيق التكامل القومي في مواجهة التكامل العالمي المضلل الذي تدعو اليه العولمة(*).

(*) رسالة ماجستير تقدم بها الطالب علاء جبار احمد الى كلية العلوم السياسية-جامعة بغداد ٢٠٠٢.

Ministry of Higher education
And Scientific Research
Al-Mustansiriyah UniversityCollege of political Sciences

The International and Political Journal



No.6 2006-2007